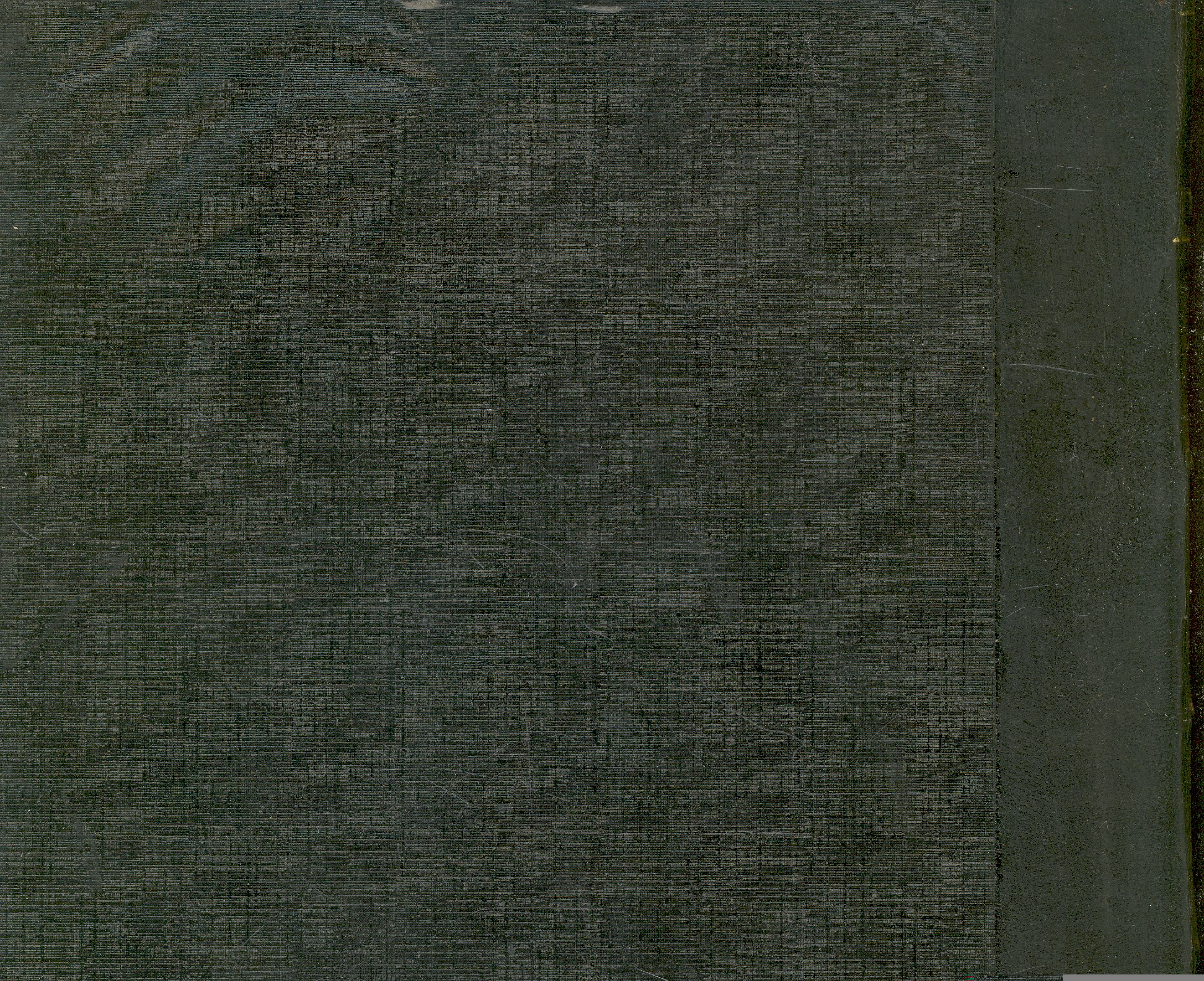


أبو نظارة

امام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح في مصر
١٨٣٩ — ١٩١٢

تأليف
الأستاذ الدكتور ابراهيم عبده

الناشر
مكتبة الآداب بدرب الجماميز ت : ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية
٦ حارة البابلي بالحلمية الجديدة

الطبعة الأولى ١٩٥٣

للمؤلف

١ — كتب فى الصحافة

١ — تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية (١٧٩٨ — ١٨٠١)	الطبعة الأولى ١٩٤١ الطبعة الثانية ١٩٥٠
٢ — تاريخ الوقائع المصرية (١٨٢٨ — ١٩٤٢)	الطبعة الأولى ١٩٤٢ الطبعة الثانية ١٩٤٢ الطبعة الثالثة ١٩٤٦
٣ — تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية	الطبعة الأولى ١٩٤٤ الطبعة الثانية ١٩٤٥ الطبعة الثالثة ١٩٥١
٤ — أعلام الصحافة العربية	الطبعة الأولى ١٩٤٤ الطبعة الثانية ١٩٤٨
٥ — حول الصحافة فى عصر اسماعيل (حقائق غير مطوية)	الطبعة الأولى ١٩٤٧
٦ — تاريخ جريدة الأهرام فى خمس وسبعين سنة	الطبعة الأولى ١٩٥١
٧ — Etudes Journalistiques en Europe	الطبعة الأولى ١٩٥١
٨ — دراسات فى الصحافة الأوروبية (تاريخ وفن)	الطبعة الأولى ١٩٥١ الطبعة الثانية ١٩٥٢
٩ — أبو نظارة — إمام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح فى مصر	الطبعة الأولى ١٩٥٣

٢ — كتب فى التاريخ

١٠ — فى السودان	الطبعة الأولى ١٩٣٦ الطبعة الثانية ١٩٤٦
١١ — تطور النهضة النسائية فى مصر ـ بالاشتراك (تاريخ تعليم البنت فى مصر الحديثة) وله طبعة باللغة الانجليزية تصدر فى واشنطن بعد أسابيع	الطبعة الأولى ١٩٤٥
١٢ — تذكار طلعت حرب ـ بالاشتراك (دراسة تاريخية لفكرة بنك مصر فى عهدى محمد على واسماعيل)	الطبعة الأولى ١٩٤٥

٣ — كتب فى الأدب

١٣ — الحياة الثانية (قصة إجتماعية للحياة فى مصر والسودان)	الطبعة الأولى ١٩٣٣ الطبعة الثانية ١٩٤٤ الطبعة الثالثة ١٩٤٧ الطبعة الرابعة ١٩٥٠
١٤ — فى المصايف (دراسة للحياة الاجتماعية فى المصايف)	(الطبعة الأولى ١٩٣٤

تحت الطبع

١٥ — دراسات فى الصحافه الأمريكية . (تاريخ وفن)

١٦ — صحافة العرب فى الأمريكتين

الإهـــداء

أحب أن يقرأ الصغيران سيرة الفنّان المفتن الذى حاربه بعض مواطنيه وأنكروه ، فأوفى بالعهد وحمل الأمانة وقضى شهيداً فى منفاه . . .

أحب أن يقرأ الصغيران هذا الكتاب ، ليعلما أن المواطن الأبى لا يموت ولو كان خصومه من الملوك والوزراء . . .

إلى ولدىّ كمال وعصام

أهدى هـــذا الكتاب . . . .

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ ثمانية عشر عاماً توافرت على دراسة تاريخ الصحافة المصرية ، ونشرت فى هذا التاريخ نحو عشرة كتب ، عرضت فيها سيرة الصحافة فى مصر ، سواء اتصلت السيرة بصحيفة من الصحف أو بصحفى جدير بالذكر والخلود .

ولم يقف بحثى فى هذا الحقل الجديد عند الكتب والرسائل ، بل أعلنت عن صحافتنا فى المجلات العلمية والأدبية ، وفى دور الإذاعة فى مصر والخارج ، مبيناً أن هذا التاريخ حرى بعناية المؤرخين،إذ أنه سجل لآمالنا وآلامنا ، فضلا عن أنه دراسة حية للشعب المصرى ، لايمكن أن تصدق روايتها وتبين حقائقها وتكشف دقائقها إلا بالعودة إلى هذا التاريخ ، وكشف المستور منه بصدق وأمانة ، وفى شجاعة لاتخشى غضب الحاكم ولا تنافق المحكومين !

وقد نشرت فصلا عن تاريخ يعقوب بن صنوع ، أو (أبو نظارة) كما يسميه التاريخ ، ولم أرض قط عن هذا الفصل المنشور ، لأن مراجعى فيه كانت شذرات كتبت عنه هنا وهناك ، وبعض أعداد قليلة عثرت عليها فى مكاتب مصر العامة والخاصة ، وهى لاتبلغ جزءاً من مائة من أعداد صحفه التى نشرها فى مصر وباريس زهاء ثلاثين سنة دون توقف أو تخلف بالرغم مما صادفه من ضيق وأزمات . . .

وكنت حريصاً أشد الحرص على أن أدرس يعقوب بن صنوع ، إمام الصحافة الفكاهية المصورة وأستاذ المسرح فى مصر ، فبحثت عن آثاره فى المكتبة الأهلية بباريس حيث أمضى معظم حياته منفياً عن وطنه ، كما بحثت عن تلك الآثار فى المتحف البريطانى بلندن والمكاتب العامة فى نيويورك وواشنطن ، فلم أجد إلا بضع أعداد متناثرة من صحفه الكثيرة التى أصدرها ، ولا تزيد تلك الأعداد عما فى متناول أيدينا فى القاهرة .

وشاء حسن الطالع أن أعلم أن ليعقوب بن صنوع ابنة فى باريس ، تعيش عنواناً طيباً للمرأة الفرنسية العاملة ، وقدهيأ لى صديقى الأستاذ اسكندر شحاته ، أحد العاملين

على إعلاء شأن مصر فى سفارتنا بباريس إذ ذاك ، فرصة التعرف بتلك السيدة الوقور .

وما طربت لشىء فى بحوثى العلمية طربى لوجود مجموعة صحف المترجم له عند كريمته السيـــدة « لولى صنوع » التى راعنى أن يكون بين النساء سيدة مثلها علماً وفضلا وأدبا .

ومدام (صنوا ميلهو Sanua-Milhaud) أو لولى صنوع ، سيدة فاضلة لها تاريخ عظيم ، إذ درست فى كلية سيفينيه Sévigné وخدمت فرنسا بالقدر الذى خدم به والدها مصر ، فقد أسست قبيل الحرب العالمية الأولى وعقب وفاة والدها سنة ١٩١٢ اتحاداً للمدرسات ، كما أنشأت فى مايو ١٩١٦ معهداً للدراسات التجارية العالية خاصاً بالإناث ، وقد اعترفت الحكومة الفرنسية بهذا المعهد سنة ١٩٢٢ ، وتخرج فيه عدد من الآنسات شغلن وظائف هامة سواء فى الشركات أو فى مصالح الدولة ؛ وفى سنة ١٩١٦ أنشأت أيضاً مدرسة للتدبير المنزلى لقيت نجاحاً منقطع النظير ، هذا إلى مدرسة أخرى للإعلان أسستها السيدة لولى صنوع فى سنة ١٩١٩ ، وقد ضمت بعد ذلك إلى معهد الدراسات التجارية العالية .

وفى سنة ١٩٢٦ ، وبعد رحلة قامت بها إلى الولايات المتحدة ، قدمت مدام صنوا إلى الغرفة التجارية الفرنسية مشروع إنشاء مدرسة فنية للبيع ، الغرض منها إعداد نخبة من مستخدمات المحال التجارية ، إعداداً تجاريا ، ثم أسست اتحاداً رياضياً يجمع شمل خريجات مدرستها ، وقد أصبح هذا الاتحاد جزءاً من اللجنة الرياضية التابعة لأكاديمية باريس والمعهد الأهلى للتربية البدنية .

وقد قامت تلك السيدة خلال رحلاتها المتعددة إلى أمريكا والسويد والنرويج وانجلترا وألمانيا وإيطاليا ومصر وسوريا بزيارة مدارس التعليم العام والتعليم الفنى فى تلك البلاد ، الأمر الذى دعا مجلس الوزراء الفرنسى إلى تعيين مدام صنوا فى سنة ١٩٢٥ عضوا فى المجلس الأعلى للتعليم الفنى .

لقد امتازت تلك السيدة طوال سنى حياتها بصفة قلما نجدها فى الكثيرات ، إنها تنظر إلى المستقبل وتحتاط له ، وتتهيأ للاحداث قبل وقوعها بسنوات عدة ، لقد أدركت مدام صنوا فى أوائل الحرب العالمية الأولى بأن المرأة الفرنسية ستضطر قريبا إلى العمل لتكسب عيشها ، فأعدت لها المدارس والمعاهد الكفيلة بأن تضمن لها عيشا

كريماً وحياة بعيدة عن مذلة السؤال ؛ وإن المرأة الفرنسية التي تعمل اليوم في التجارة والصناعة والتعليم لتذكر فضل تلك السيدة في هذه الميادين .

لقد نهلت السيدة لولي صنوع كثيرا من علم والدها وأدبه ، حتى ذخرت المكتبة الفرنسية بمؤلفاتها العظيمة ، وأصبحت مرجعا وحجة في النشاط النسائي في فرنسا جميعا

وقد شملتني السيدة لولي صنوع بعطفها ، ومنحتني مجموعة والدها الصحفية كاملة غير منقوصة ، فوجدت أخيرا تحت يدي الجدول الأصيل لمن يريد أن يغترف من تاريخ يعقوب وفنه ، فضلا عما أهدتني من وثائق وصور وكتب مخطوطة متصلة بهذا الموضوع ؛ تكمل تاريخ أبي نظارة وتجعله حيا قويا جديرا بالنشر في أوسع نطاق وفي مقدمة ذلك تاريخه الذي كتبه عن نفسه بخط يده ، وكناشة سجل فيها الأعداد الخمسة عشر الأولى التي نشرها في مصر ولا يوجد لها نظير في مكتبة عامة أو خاصة

وفي هذا الكتاب أبين حقيقتين هامتين ، الأولى تتصل بنشأة الصحافة الفكاهية ، وهي نشأة مصرية خالصة ، لم يسبقنا إليها أحد من بلاد الشرق الأدنى ، كما أثبتنا في بحوثنا من قبل أن الصحافة في مصر من صنع أيدينا ، وليس لغير مصري فضل في إنشائها ، بل أثبتنا أننا أسبق البلاد العربية جميعا علما وفهما لهذا الفن الجميل .

وتؤكد الحقيقة الثانية أن إنشاء المسرح في مصر سنة ١٨٦٩ قام على كواهل المصريين ، ولم يقم به أحد من غير المصريين ، وأن الفرق التمثيلية التي شاهدتها البلاد في عهد اسماعيل بعد ذلك بسنوات ، جاءت متأخرة من الشام ، وفي أعقاب وعي مسرحي مصري ملحوظ ، كما يتضح من هذه الحقيقة أيضا أن عمر المسرح المصري أربع وثمانون سنة ، وليس عمره ثلاثين عاما كما خيل للمسؤلين وهم يحتفلون بنشأة المسرح منذ أسابيع . . .

وهناك طرائف انطوت عليها سيرة يعقوب بن صنوع ، وبسطناها في هذا الكتاب بسطا لامزيد عليه لمستزيد ، ومنها أن المترجم له ولد مسلما من أبوين يهوديين ! ثم تزوج كاثوليكية أنجب منها طفلين احتفظا بدين أمهما ! فكانت شخصية يعقوب همزة الوصل بين الأديان الثلاثة التي يعيش في أعطافها العالم المتحضر منذ آلاف السنين

ومن الطرائف التي عرضت لها في هذا البحث ، تصوير العناد الرائع المروع الذي سيطر على نفسية الكاتب في الحملة على البيت المالك والسياسية الانجليزية عامة

وسياستها فى مصر خاصة ، وهو عناد لم تنفع فى تخفيفه وسيلة أو حيلة ، ولم يفد فى تهوينه ترغيب أو ترهيب ، وهو عناد حرم المواطن نسمات الوطن حيا ، كما حال بين جثمانه وبين ثراه حين نزل به قضاء الله .

وقد كبا فى الميدان صحفيون وصحفيون ، فانتقلوا من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ، ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، فأفسدوا كل عهد بنفاقهم وتدليسهم ، ومضوا يطبلون لكل حاكم ويزمرون لكل طاغية ، حتى سقطت القيم الاخلاقية وهوت المهنة الرفيعة الى الحضيض ، ولم نجد فى سيرة الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى يومنا هذا إلا قلة نادرة تقف فى التاريخ إلى جانب يعقوب بن صنوع ، صلبة على الشدائد ، قوية على المحن ، لا تتزعزع ثقتها فى وطنها أو مثلها ، ولا تقف دون رسالتها حواجز وعقبات ، ولا تحول دون عقيدتها سدود أو قيود .

حقا إنها طريفة ، قمينة بالرواية والتفصيل ....

القاهرة فى ٧ أبريل سنة ١٩٥٣

إبراهيم عبده

روح العصر

كان روح العصر الذى نشأت فيه الصحافة الشعبية يدعو إلى لون جديد من الصحف التى لم تعرف من قبل فى الشرق الأدنى ، ولم يكن من طبيعة الأشياء أن تصدر صحف ساخرة إلا فى البلاد المصرية التى ولى أمرها الخديو إسماعيل ، وأشاع بالأزمات التى مرت بها أثناء حكمه كثيراً من الفكر الجديدة التى كانت منطوية فى نفوس النخبة المنتقاة من أعلام الرأى الذين درسوا فى مصر أو نهلوا من أوروبا .

ولى إسماعيل الأريكة الخديوية ، فكان ضرورة لمصر بخيره وشره ، فقد كان الرجل مغرماً بالمظاهر معنياً بتقليد الأوروبيين ، يريد أن يأخذ حياة شعبه كما يأخذ ملوك أوروبا حياة شعوبهم ، واعتملت فى نفسه تيارات مختلفة من القديم والجديد ، وتطاحن إرث الآباء والأجداد المنطوى على احتقار الشعب كبيره وصغيره ، مع فكرة التقليد الذى يرفع من قدر الوطن ويضع له فى الحساب وزناً واعتبارا ، ودارت المعركة حامية الوطيس بين نفسية الحاكم الشرقى العتيقة وبين نفسية الأمير الذى يريد جديداً يماثل حياة الغرب المتحفز الوثاب .

وخرج إسماعيل من هذا الصراع العنيف يترنح من هول المعركة ، فلا هو على سجية الأسلاف ، ولا هو صورة من أمراء الغرب المحدثين ، كثير التردد ؛ يذهب مرة إلى أقصى اليمين ، ويذهب أخرى إلى أقصى اليسار ، فنجده يحتضن حيناً رجال المدرسة القديمة من الأتراك ، فأوغل عليه بذلك خونة الشعب وخصومه الطبعيين ، ثم نراه حينا آخر يفتح صدره لنخبة من الشبان المجتهدين الذين درسوا فى أوروبا وهم من أبناء الفلاحين ، فأكبر بذلك الوطن والوطنيين ، وفجأة ينصرف عن الأتراك والمصريين ، فيجعل من بطانته وأصدقائه جماعة من الفرنجة يسمع إليهم ويصغى إلى نصحهم ويعمل بمشورتهم ، وإن خالفت صحبتهم عرف البلاد ودينها ، وإن أساءت أيضا إلى خزانة الدولة وأغرقت الأمير فى الديون .


الخديو إسماعيل أو شيخ الحارة !

ومن الأدلة على هذا الاضطراب الفكرى الذى كان يعتمل فى نفس إسماعيل، موقفه من الصحافة والصحفيين ، وموقفه من التمثيل والممثلين . . .

ولى إسماعيل الحكم فبدأ يصلح من جريدة (الوقائع) صحيفة الدولة الرسمية حتى رفعها إلى مقام الصحف « المعتبرة » كما يقول ، ثم أنشأ إلى جانبها صحفاً شتى تصدرها الحكومة ولا تبخل عليها بالأدوات الأدبية والمادية ، فكانت لها صحف يعسوب الطب ، والجريدة العسكرية المصرية ، وجريدة أركان حرب الجيش المصرى ، ثم روضة المدارس صحيفة التلاميذ والمعلمين .

فهذا الأمير الذى يصطنع حياة الأوروبيين وتفكيرهم يصدر الصحف على سبيل المحاكاة والتقليد ، ثم يذهب إلى أبعد من صحف رسمية تخضع خضوعاً شاملا لتوجيهه وإرادته فيأذن بأصدار صحيفتى « وادى النيل وروضة الأخبار » وكلتاهما من الصحف الشعبية الأولى ، ولكنهما تخضعان لتوجيه الحكومة ، وتتلقيان منها مقابل ذلك إعانة مالية مجزية ، وهى إعانة مستخفية لا يعرفها عامة الناس أو خاصتهم ، حتى تبدو الصحيفتان حرتين لا رقيب عليهما .

فإذا ظن بعض المجددين من الشبان المصريين أن إسماعيل ينهج نهج الغرب ، فيمنح لمن يشاء ترخيصاً بأصدار صحف حرة ، تقدم من بينهم اثنان ، ونالا ترخيصاً بأصدار صحيفة « نزهة الأفكار » وكتبا فيها كما يكتب الأحرار ، فاذا هى مغلقة بأمر منه بعد صدور العدد الثانى ؛ ذلك أن طبيعة الحاكم الشرقى الموروثة أبت عليه أن يبعد بحرية الكتابة إلى أكثر من صحف تصدرها الدولة أو صحف تخضع للرقابة والرقيب .

وكذلك كان الشأن فى أمور التمثيل والممثلين ؛ كان يأذن للممثل أن يؤلف أو يترجم أو يعتلى خشبة المسرح ، حتى إذا وجد أنه قد تجاوز المفهوم فى ذلك الزمان ، عصف به وحرمه مهنته أو نفاه كما صنع مع صاحب هذا الكتاب الذى نترجم له ،

وقد حال فعلا بين كثيرين من أبناء البلاد الشآمية وبين الاستمرار فى التمثيل حين وجد منهم انحرافاً فى إشارة أو عبارة ، ولم يثق إلا على المسارح الرسمية وفى مقدمتها دار الأوبرا التى شهدت خيرة الفرق الأوروبية فى سنوات حكمه .

ولم يكن من المحتمـــل أن تتجاوز الصحافة المصرية هذا المدى الذى رسمه لها إسماعيل ، غير أن الحوادث كانت أقوى منه ، بل ألزمته الحوادث بأن يفزع هو إلى الصحافة والصحفيين ، يستعين بها وبهم فيما جد على وطنه من أحداث ، الأمر الذى فرض عليه أن يفتح صدره للمصريين والشآميين ليتخذوا من الصحافة مهنـة لهم ، حتى إن الممثلين الذين عجزوا عن أداء رسالتهم التمثيلية لسبب أو آخر ، رحبوا بتلك الظروف ، وانتقلوا إلى الصحف منشئين لها أو محررين فيها .

كانت من أهم الأحداث التى فتحت ثغرة فى طبيعة الحاكم الشرقى ، وفرضت عليه محاكاة الغرب محاكاة سليمة فى تكريم الصحافة وإطلاق قيودها ، الحرب التى قامت بين الأتراك والروس ، وقد مست الحرب حياة المصريين مساً شديداً ، بما كان يجب عليهم تقديمه لسلطان الأتراك من عتاد ومال ورجال ، وأراد إسماعيل أن يتهرب من أداء هذه الالتزامات التى فرضتها الفرمانات المختلفة ، فجمع مجلس نوابه ، وعرض عليه العجز المالى ، فأقره بالطبع على وجهة نظره ، وفى هذا إعلان رسمى عن قصر يد الحكومة المصرية فى القيام بالواجب المفروض عليها فى محنـــة أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين .

ثم كان إسماعيل يرى فى اشتباك الدولة العلية فى حرب قاسية مع الروس فرصة لتوسيع سلطانه ، ولا يمكن أن يتم توسيع سلطانه إلا إذا تهيأ الرأى العام الأوروبى وتهيأ الرأى العام المصرى لقبول هذه الفكرة بكشف نواحى الضعف فى دولة الرجل المريض ، وذلك بذكر مساوئ الأتراك على صفحات الجرائد والمجلات ، ونشر مفاسد الحكم فى القسطنطينية وإيالاتها فى الشرق والغرب على السواء .

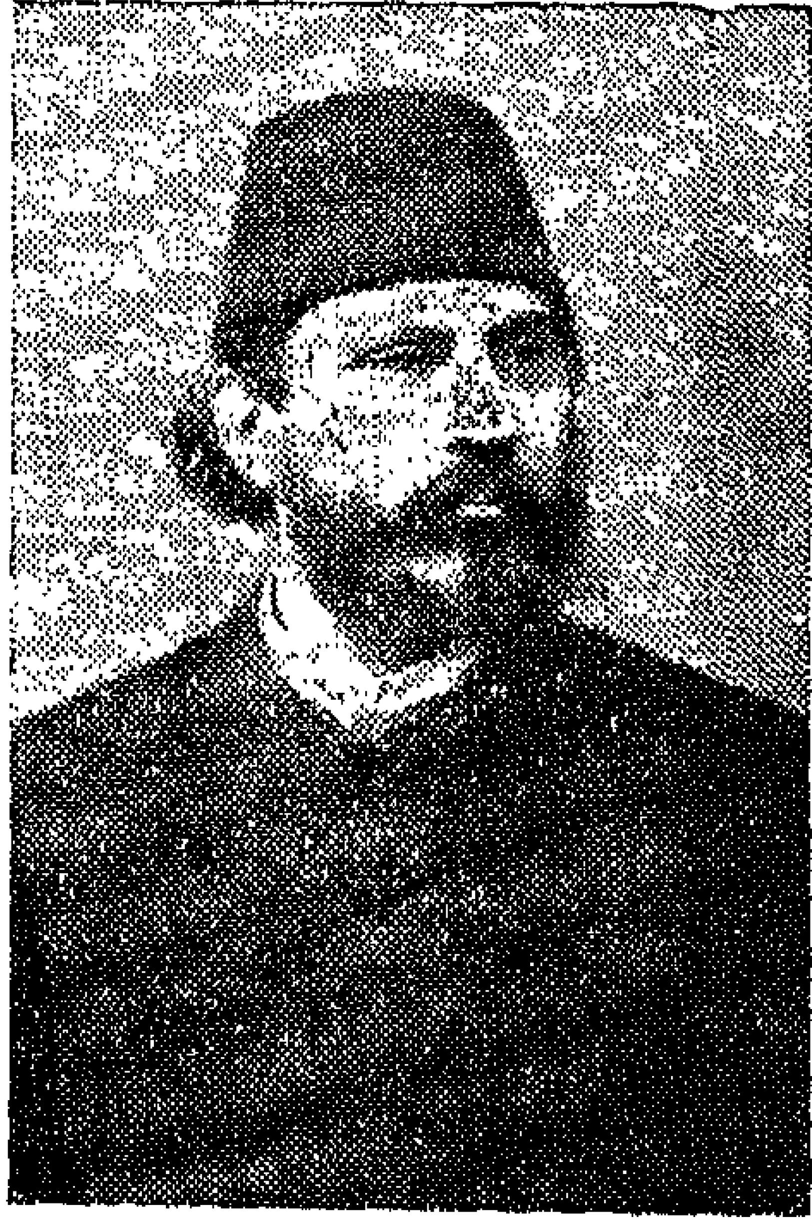
وكانت تلك الحرب مفترق الطرق فى رسالة الصحافة والصحفيين .

فقد نشأت عدة صحف ، القليل النادر منها وقف إلى جانب السلطان ، والكثير القادر فيها كان حرباً عواناً على مفاسد الأتراك ، وهلل إسماعيل لهذه الحرية التى نالتها الصحف ، والتى كشفت بمقتضاها عن مواطن الضعف فى الدولة العثمانية ، ولم

يفطن إلى أن حرية الصحافة مكنت للصحف وهى تتناول قصة الحرب وأسبابها من أن تعلن عن مباذل الملك فى دولته وهى تقارن بين الدول الغربية الحرة وبين دولة الخليفة المريضة وما يدور فى فلكها من دويلات ، ولم يطل الزمن حتى سفرت الصحف المصرية ورفعت النقاب ، وهاجمت فى عنف وشدة حاشية الخديو ويده المبسوطة من غير حساب ، وتدخل الأجنبى فى مقدرات البلاد ، وسلطة الحاكم المستبد الذى أفسد طبائع الناس ومد للرشى والظلم والعدوان .

وجاءت المصادفة برجل أشعل فى النفوس لهيب الثورة بما نشرته له الصحف من مقالات ، وبما ألقاه على الصفوة فى المناظر والبيوت من الآراء والأفكار ، وكان هذا الرجل شعلة متنقلة فى بلاد الشرق جميعا ، واحتفلت به مصر احتفالا منقطع النظير ، واستطاع فى الفترة الوجيزة التى قضاها فى البلاد أن يكسب اكبار العلماء والفضلاء ، ويكسب رجال السياسة والحكم ، وينشىء مدرسة من الصحفيين والأدباء

كان السيد جمال الدين الأفغانى ومضة برقت فى حياة خاصة المصريين لم ينطفىء نورها قط ، فقد استمر هذا النور فى تلاميذه جيلا بعد جيل ، وان كان توفيق قد استطاع أن يقصيه عن البلاد حين ولى أمور الحكم ، وكان فى عهد أبيه — وهو ولى للعهد — من أشد أنصار الشيخ وأكثر رجالات مصر اعجاباً به وبما نقله الى البلاد من تيارات فكرية بقيت على مدى السنين .



هدية مني الى الظريف اللطيف
حبيبي الشيخ جمس ابو النظارة
جمال الدين الحسيني الافغاني

الأفغانى يهدى بخط يده صورته الى يعقوب بن صنوع

كان جمال الدين الأفغانى

يرحب بالممثلين والصحفيين أيما ترحيب، فقد كانت هاتان الفئتان فى مقدمة من استعان بهم على اشاعة مايرجوه لمصر من تقدم وانتباه فكان يكتب للصحف ويسعى لأصحابها عند الحكومة لتمنحهم تراخيص الصدور ، وكان يستمع الى الروايات التى يزمع البعض تمثيلها ، وكانت ندوات الأدب والفن تستيقظ فى بيته منذ الصباح الباكر وتمضى الى ساعة متأخرة من الليل ، وكان يؤثر جماعة خاصة من أهل الفن والأدب بالحب والعطف والتقدير .

وكان من بين من آثرهم بالود والتأييد يعقوب بن صنوع صاحب هذه الترجمة ، فقد كان له موجها على نحو ما سنقرأ فى هذا الكتاب .

فروح العصر كانت تفترض فيما تفترض من جديد أن تكون فى مصر صحافة لم تعرفها من قبل ، ولم يكن الجديد ، تلك الصحافة الشعبية الحرة التى أصدرها جماعة من الأحرار ، فقد عرفت تركيا وبعض بلاد الشرق العربى هذه الصحافة ، بيد أن الجديد حقاً ماجاء به أبو نظارة فى صحيفته الخالدة على التاريخ ، وهى صحيفة كان فيها للمؤآنسة والطرائف والفكاهات والرسوم مكان الصدارة ، ولم يكن فى صحيفة أخرى شىء من هذا لعدة سنين ، فأصبح ماجاء فيها من حكايات ومحاورات وصور حدثاً لم يعرف له نظير فى الشرق من قريب أو بعيد .

ولاءمت (أبو نظارة) طبع صاحبها ، بل لاءمت طبع العصر نفسه ، وقد جاءت فى زمن تعددت فيه ألوان الحياة وتباينت غرائبها وأصبحت سجلا لها يرويها على طريقة كاتبنا الساخرة ، وكانت صحيفتنا نعم السجل لتلك الحياة التى رقت ولانت وماعت فى بعض الأحايين !

أنظر كيف أخذ الناس حياتهم اليومية فى عصر إسماعيل . . .

إنك لتدخل بيوت الأمراء والعظماء والأغنياء فتسمع إلى الموسيقى والأغانى ، وتسمع توقيع نسائهم على البيانو أو أناشيد بناتهم فى (مقابلات) الصديقات والقريبات . . .

وإنك لتدخل بيوت السادة القادرين فتجد أكثر من مجلة أجنبية للتجمل والأزياء ، وتسمع حديثاً باللغة الفرنسية بين سيدات البيت وآنساته ، وتكاد تنكر أنك فى بيت شرقى وأنت تنصت إلى الموسيقى أو إلى الحديث أو تشاهد ربة البيت

بناتها جالسات إلى لوحات الرسم تقضين أمامها وجه النهار . . .

وإنك لتدخل بيوت الموسرين فتجد الموائد قد أعدت على الطريقة الفرنجية ، وتجد الصخب يملأ فراغ أصحاب البيت ، فقد كانت بيوت القوم منتديات للسمر لعابث فى كثير من الليالى ، وللرقص الخليع حتى الصباح ، وكان للخمر وغير الخمر مكان فى سمر الرجال بل فى سمر النساء بين آن وآن . . .

وإنك لتسمع الناس يحدثونك عن مباهج القصر الخديوى ، وما شهده من حفلات (الباللو) كما تقول صحف ذلك العهد ، ويروى لك عامة الناس قبل خاصتهم ما دار فى تلك الحفلات من ألوان الرقص الفرنجى . كما تنصت إليهم وهم يتندرون بملابس النساء والرجال ، ويحكون لك عن الشراب والطعام ، وما يصحب الشراب والطعام من موسيقى صاخبة أو حالمة ، ويرتبون على ذلك كله أشياء وأشياء ! . . .

وإنك لتقرأ فى الصحف المعاصرة وفى مقدمتها الوقائع الرسمية ، وصفاً ممتعاً لسباق الخيل ، وهو السباق الذى كان يشارك فيه الخديو ووزراؤه وأعيان البلاد ، وينهج نهجهم الفقراء من العامة ، حتى اختلت موازينهم بالمراهنة والمقامرة ، وما ترتب عليهما من فساد الحال وسوء المآل وذل السؤال . . . .

وإنك لتذهب إلى قهوات الفرنجة أو إلى قهوات أبناء البلد فتجد السمّار جلوساً فيها ، قل منهم من ينصرف إلى صحيفة القهوة فيقرأها ، وكثر منهم من يلعب النرد أو الورق ، وكثر منهم أيضاً من يحكى النوادر أو يروى الحكايات فيضحك لها المستمعون حتى يستلقوا على أقفيتهم ، ويتنقلوا بها من مكان إلى مكان ، وبذلك طفح قاموس النكات المصرية بأروع ما أثر عن المصريين من نكات ، واحتفظ لهم العصر بالصدارة فى التنكيت والتبكيت على أنفسهم وعلى غيرهم من المواطنين ، بل على غيرهم من شعوب الأرض قاطبة ، وبذلك أصبحت القهوة المصرية فى أيام إسماعيل ندوة للرواية والحكاية والنكتة ، ومكانا يخف إليه كل مفتن وأديب

كان روح العصر يفرض على صاحب الترجمة أن يصدر صحيفته ، فكل شىء فى مصر جديد . . . . ارتفعت طوابق المنازل ، وأنيرت الشوارع ، وأبيحت الخمر فى كثير من الأحياء التى ما كان يستطيع أن يشرب الخمر فيها مواطن من المسلمين أو المسيحيين ، وجرت العربات بخيولها المطهمة فى الشوارع والميادين المرصوفة ، وانتشرت

دور التمثيل وفى مقدمتها دار الأوبرا الخديوية ، وخفت العذارى إلى الحدائق العامة فى جنح الليل أوفى وضح النهار ، وصفت العربات فى أطراف المدينة تزخر بما يندى له الجبين . . . .

كل ذلك كان فى حاجة إلى مؤرخ أو أديب ، وكان ابن صنوع هذا المؤرخ وذاك الأديب ، وإن اختلف الناس فى شأنه ، فقيل إنه صحفى ، وقيل إنه ممثل ، واختصم مؤرخوه فيما كانت عليه طبيعته ، أكان صحفياً أم كان مؤرخاً وأديباً أم كان ممثلاً بعيد الصيت ؟ . . .

وفى تمثيلياته ، مؤلفة ومعربة ، تبين قدرة الممثل وتبرز ملكة النقد وتظهر شخصية الفنان المفتن . . .

وفى صحفه تروى الحقائق طبيعة يعقوب بن صنوع ، الأديب الشاعر الناثر ، والصحفى القارح الساخر ، وإمام الصحافة الفكاهية من غير منازع . . . .

مدارج الطفولة

هذه قصة الفنّان المفتن يعقوب بن صنوع ، الفنان الذى خلق فى بيئته وجيله مالم يعرفه من قبل جيله وبيئته ، نروى تلك القصة منذ ولدت سنة ١٨٣٩ إلى أن قضى صاحبها فى مطالع القرن العشرين .

هى قصة اليهودى المسلم الذى قرن بين دينين ، وكان تحية كريمة من اليهود إلى إخوانهم المسلمين، لقد حملت فيه أمه اليهودية ، وولدته مسلماً ، هبة منها للإسلام والمسلمين وإصغاء منها لوحى فى قلبها ، وتلبية لتعاليم العراف الذى أنبأها بالخبر اليقين . .

حقا إن مولد يعقوب يشبه سيرته الحافلة بأمتع ما أثر عن سيرة صحفى فى تاريخ القرن التاسع عشر . . .

إن قصة مولده يرويها صاحبها فى ذكرياته التى كتبها عن تاريخه بخط يده ، وأخذنا على عاتقنا إذاعتها وتحقيق مافيها من بيانات جانبت الصواب فى قليل من الحوادث والتفاصيل ، غير أنها قصة ممتعة ، ماكان لأحد أن يعرف دقائقها لولا أن صاحبها كتبها فى ساعات من التجلى ، ولم تسعفه تلك الساعات ليواصل كتابة هذا التاريخ الجميل فوقف به عند نفيه الى باريس (١)

كان الولد الوحيد لأمه وأبيه ، لم يرزقهما الله غيره من البنين ، وقد واريا قبل مولده أربعة أطفال لم يروا نور الحياة الا أسابيع . ثم مضوا الى جوار ربهم مخلفين الحسرة فى قلب الوالدين اللذين كانا ينشدان طفلا يخفف من غصة الحياة ، وما أصعب الحياة على والدين يفقدان فى كل سنة وليدا بعد قليل من ولادته المعسرة !

---

(١) إن تاريخ ابن صنوع الى يوم نفيه لايزال مخطوطاً عند ابنته فى باريس ، وقد سمحت لنا بنقله فاعتمدنا عليه ، بالرغم من أن المترجم له نشر هذا التاريخ فى أبيات شعرية باللغة الفرنسية ، ولكنه لم يذكر هذه التفاصيل الممتعة التى فى المخطوط ولا تزال ابنته محتفظة به الى الآن — يراجع فى ذلك Les Soupirs dn Proscrit وكتابه Mon Théatre en Prose Ma Vie en Verets وهما من قلم المترجم له ثم ما نشره مجلاته وأشرنا اليه فى موضعه

يذكر يعقوب بن صنوع أنه مات لأمه أربعة أطفال، فأذا دب هو فى أحشائها نصحت لها صديقاتها أن تفزع الى شيخ مسجد الشعرانى فعنده التمائم والتعاويذ ، وعنده المحصنات ضد موت الأطفال اوفيه من الصفات الطيبة مايقربه الى الله ، فأذا استجار به من أجلها ، قبل شفاعته وأبقى على جنينها وحفظ له الحياة الى أمد طويل ! . .

وإن الام الحزينة لتفزع الى شيخ مسجد الشعرانى ، وهو رجل وقور شارف على المائة ، فيه صلاح وتقوى ، ترجوه أن يتوسل الى الله أن يحفظ لها جنينها ويبقيه قرة لعيون والديه ، وقال الشيخ الوقور وكأنه يكشف عن الغيب البعيد « ان ربنا سيبارك ثمرة أحشائك وسترزقين بولد » وكادت الأم تفقد من الفرح اتزانها ، فأن الله سيبقى على جنينها ! وهو ولد ! وما أسعد أمهات ذلك الزمان حين يكون فى بطونهن ولد ، فأن ذلك يكبر من مقامهن عند أزواجهن ويبعدهن عن الحسرة التى تشعر بها كل أم تنجب بنتا ! غير أن الشيخ الوقور يستكمل نبوءته بقوله «..وان نذرته للدفاع عن الإسلام فلسوف يعيش ، إكسه من حسنات المؤمنين ليكون متواضعا، ولسوف يجد مايريد بفضل بركة خالقه » !

وأصغت أم يعقوب الى نصيحة الشيخ وأطاعت ما أمرها به وأقرها زوجها على أن يهب ابنه للاسلام والمسلمين ، غير أنه اعترض فى أول الامر على فكرة كساء الطفل المرتقب من حسنات المحسنين ، واعتبر فى ذلك مهانة لاتليق به . وهو يتمتع بالحظوة لدى البلاط ويستشيره الأمراء فى مسائلهم الخاصة » غير أن الزوجة أصرت على أن تلبي نصيحة شيخ الضريح بحذافيرها حتى تضمن سلامة وليدها حين يرى النور .

ويذكر أبو نظارة أنه حين كبر حفظ القرآن وعاهد والدته على أن يوفى نذرها وأن يجند نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين ، ويحكى لنا عن مولده فيقول «وما أن فتحت عينى لأرى نور الحياة حينما وصلت إلى وادى الدموع حتى انزلقتُ من بين يدى المولدة التى كانت فى استقبالى . وظللت ثلاثة أيام بين الحياة والموت دون أن يعرفوا أن رأسى قد شج ، ولكن كان مكتوباً على أن أعيش لأؤدي رسالة مقدسة ألا وهى مكافحة الأباطيل التى تفرق بين المسلمين والمسيحيين ، بأظهار سماحة القرآن وحكمة الإنجيل ، وهكذا تتسنى لى الملاءمة بين قلوب الفريقين »



أم يعقوب بن صنوع

ومن الطريف أن يعقوب بن صنوع لم يشرقط فى تاريخه إلى أنه ولد من أبوين يهوديين ، مع أن جميع الكتب وكل من ذكره عابراً أو محققاً أكد هذه الحقيقة التى ينطق بها لقب الأسرة ، وتنطق بها معالم وجهه اليهودى الأصيل ، وخاصة عينيه ، وفيهما من نظرات اليهود الشيء الكثير ، وإن كان قد رد مافيهما إلى الرمد الذى أصابه وهو صغير ، وبقى يلازمه مدى حياته لافتقار أبويه طبيبا إخصائيا يعالج ماأصاب عينى ولدهما من هذا الداء الثقيل، غير أن صحفياً أجنبياً زار مصر وكتب بعد عودته فى سنة ١٨٧٩ عن يعقوب ابن صنوع فصلا ممتعاً (١) أنبأنا فيه عن مرض عينيه ، وحلل المرض وهو يحكى لنا عن المترجم له بقوله « . . . . ومن البداهة بمكان أنه أستاذ من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ومن أخمص قدميه إلى قمة رأسه ، فلنتخيل رجلاً ربع القامة أصلع نوعاً إلا من بضع شعرات سوداء متناثرة ، وهى من السواد الخاص الجميل الذى يميز الجنس الإسرائيلى . إنه مصاب بنوع من الرمد أو بالأحرى بشيء من الضخامة فى العينين ناشئة فيما يظن من توهج الرمال فى فلسطين ، وقد انتقل إليه أثر هذا التوهج بطريق الوراثة من جيل إلى جيل »

ثم يستطرد الصحفى متحدثاً عن المفارقات فى (يهودية) يعقوب بقوله « وكثيراً ما سمعت حولى العبارة الآتية : إن فى عينى يعقوب صنوع ذاك اللهب الوهاج الذى نراه فى عينى البارون جيمس روتشلد وهى الصفة الوحيدة التى تجمع بينهما . . لقد أصابوا كبد الحقيقة، ذلك لأن يعقوب صنوع لم يتسم بأية صفة من صفات

---

١ – Saturday Review فى ٢٦ يولية ١٨٧٩

رجال المال ، فمزاجه ثائر على الأرقام والتشكيلات الحسابية إلى أبعد مدى بل إن الخلاف مستحكم الحلقات بينه وبين علم الحساب منذ نعومة أظفاره .... »

هذا رأى الصحفى فى كاتبنا العظيم ، وقد أخطأه التوفيق فى تقدير كفاية المترجم له فى شئون المال والحساب ، وإن كفاحه وصلاته فيما بعد برجال الحكم والمال لدليل على أن كثيراً من صفات آل إسرائيل لايزال لها مكانها المقدور فى نفسية الكاتب الأديب ! ....

حقاً إن المترجم له لم يقم وزناً لمغريات الخديو اسماعيل حين قرر مخاصمته ، ومضى فى هذه الخصومة إلى نهاية الشوط ، ولم يقف خصومته عند إسماعيل الخديو الذى نفاه بل مضى يجاهد ابنه الخديو توفيق ، ويكافح معه أنصاره من الوزراء ورجال الاحتلال ، وكان فى مقدوره أن يحصل على المال الوفير إذا مشى فى الركب وانتظم فى صف المنافقين وطلاب المصالح ، إلا أن هذا كله لا ينفى أن عامل الوراثة أهله للكفاح المادى ، فانتصر فى باريس ، وحصل على المال اللازم الذى مكنه من تخليد إسمه فى التاريخ

ثم نصغى إلى صاحب التاريخ يروى تاريخه فيقول « وحين بلغت الثانية عشرة من عمرى كنت أقرأ التوراة بالعبرية والإنجيل بالإنجليزية والقرآن بالعربية وأفهمها تماماً . وكان أول شعر نظمته باللغة العربية مديحاً لناظر المدرسة الذى كان يعاقب التلاميذ الذين دأبوا على الضحك منى بسبب عينى المحمرتين ، وقد تلوت هذا الشعر على والدى ، وكان يقرض الشعر ، فبصرنى بأخطائى فيما نظمت ونصحنى أن أصيغ قصيدة فى مدح الأمير أحمد حفيد محمد على الكبير ، فكتبت قصيدة طويلة قدمها والدى لسمو الأمير الذى لم يصدق أن صبياً فى سن الثالثة عشرة يستطيع أن يكتب هذه الأشعار التى — بينى وبينك ! — لم تكن جيدة ، وقال لأبى إنه يريد أن يرى هذا الطفل ذا الذكاء الخارق »

وتم لقاء يعقوب بالأمير الكبير ، وكان أبوه قد أوصاه حين يحظى بهذا اللقاء أن يتقدم فيقبل يد الأمير باحترام وتوقير ، وفى هذا اللقاء تكشفت طبيعة الصبى الثائر على الأوضاع والتقاليد ، وهو يرويها لنا فى بساطة ووضوح لا يشكك فى صحة معظمها ، ومستقبلُ جهاده ينبىء عن جوانب الصدق فيما حكاه عنها « لقد كانت قاعة


زوجة يعقوب فى سنة ١٨٨٣

الاستقبال غاصة بالزائرين عندما دخلت وقدمنى والدى إلى صاحب السمو وهو يقول : هذا هو الشاعر الصغير الذى يطلب شرف لثم يديكم أما أنا فقد حييته بتلك العبارة البسيطة «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فنهرنى أبى بعنف وقال لى بصوت خفيض «قبل يده أيها التعس» فأجبته : لا ، لن أقبلها ، فما كان من والدى إلا أن هددنى ولكننى تماديت فى الرفض »

ويذكر الصبى الصغير أن الأمير لاحظ هذا اللغط الذى شغل الابن وأباه فاستوضح الوالد أسبابه غير أن يعقوباً سبق أباه إلى جواب حازم فى كبرياء ملحوظة ، وتوجه إلى الأمير قائلا «لا أدرى لماذا يريد والدى منى أن أقبل يدكم الملكية . هل أنت إمام أو قسيس أو حاخام ؟ لا إنى إنسان مثلك ، لا بل أنا أعرف قرض الشعر وأنت لا تعرفه» (١) .

ويعلق المترجم له على ذلك بأن هذه الكلمات وإن نزلت على أبيه نزول الصاعقة إلا أنها كانت مفرقاً من مفارق الطرق التى صادفت حياته ، فان الأمير الذى بدت عليه علامات السرور فهنأنى وأرسلنى على نفقته لأتلقى العلم فى أوروبا » ثم يمضى يعقوب فيقول إنه أمضى عدة سنوات فى أوروبا فلما عاد نزل قضاء الله فى الأمير الكريم الذى أولاه « نعمته » وفى أبيه أيضاً ، فوجد نفسه رب أسرة ، ليس له مال يغنيه وإن كان له علم تام بلغات أربع ، كانت هى كل رأس ماله الذى تقدم به إلى إحدى المدارس الحرة التى قبلته مدرساً بها ؛ وهكذا أقام أوده بما تدره عليه المدرسة من أجر ، ووجد وقتاً طيباً للتمكن من اللغات التى يعرفها وأضاف إليها لغات أخرى

---

١ — يبدو أن المترجم له قد بالغ فى هذه الرواية كما بالغ فى بعض فصول تاريخه كما سنبين ذلك بعد قليل

حتى إنه استطاع حين بلغ الخامسة والعشرين أن يجيد ثمانى لغات كتابة وحديثاً بل تمكن منها إلى حد إجادة قرض الشعر بها جميعاً .

ويؤكد الصحفى الإنجليزى المشار إليه فى أول حديثنا أن (أبو نظارة) كان يجيد فى سنة ١٨٧٩ « العبرية والعربية والتركية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والبرتغالية والأسبانية والمجرية والروسية والبولونية » وفى قول هذا الصحفى الرحالة الذى ربطته الصلات بالمترجم له ما يؤكد صحة البيانات التى ذكرها يعقوب فى المخطوط الذى سجل فيه تاريخه ، بل زاد الرحالة على ماذكره أبو نظارة أربع



نجلاه فى طفولتهما

لغات أخرى يبدو أنه فى سنة ١٨٧٩ لم يكن قد حصلها أو أجادها إجادة تامة ، على أن صحف يعقوب التى أصدرها فى باريس أكدت ماذهب إليه المترجم له والصحفى

كلاهما بما احتوت عليه بعض نسخها من لغات مختلفة بلغ عددها عشراً أو يزيد .

ويصف محرر جريدة Saturday Review طرائق العيش التى اتبعها أبو نظارة فيقول إنه « كان يتنقل من قصر إلى قصر ومن خان إلى آخر ليعلم أبناء الخديو



لباس يعقوب بن صنوع حين كان يخطب فى أوروبا أو يحضر حفلة رسمية

والباشوات من صبيان وبنات اللغات والرسم والموسيقى ، ولا أستطيع أن أجزم بأن يعقوب صنوع لم يكن أستاذا فى علم الرقص . فأنه قادر على كل شىء إذا ماعزف بصفارته » ويذكر أبو نظارة من البيانات مايؤكد أقوال المحرر المذكور ويزيدها

تفصيلا فيروى أن بعض الشخصيات المدنية والعسكرية التى كانت تحكم مصر فى أواخر القرن التاسع عشر تلقت عنه دروسا خاصة أو تتلمذت عليه فى المدارس الحرة أو الأميرية ، فإنه أمضى بضع سنين مدرسا أول فى المهندسخانة وعضوا فى لجنة امتحان المدارس الأميرية .

ويحكى يعقوب فى تاريخه صلته بالخديو اسماعيل فيذكر أنه أعجب به قبيل ولايته للحكم فقد ظن أنه سيكون علما على المدنية والحرية ، فلما تربع على كرسى الخديوية مدحه فى قصيدة عصماء ذاكراً أن ملكه سيفتح عهدا جديداً لمصر ، وأن شخصيته ستعيد إلى العلوم والآداب والفنون ازدهارها القديم على ضفتى النيل ، ولم يقف ثناء المترجم له عند القصيدة بل تجاوزه فكتب فى الجرائد المحلية والخارجية مقالات بديعة عن التقدم السريع الذى أصاب أرض الفراعنة بفضل الخديو اسماعيل

وينتقل يعقوب من التحدث عن الخديو وعلاقته به إلى المجهود الذى بذله لتعريف الغرب بآداب اللغة العربية والدراسات الاسلامية فترجم قصائد من لغة الضاد إلى اللغة الإيطالية ، ثم نشر دراسات عميقة من الآداب الإسلامية فى الجرائد الإنجليزية ، ثم يقول «وبينما كنت أطرى الحضارة الأوروبية فى جرائد الشرق ، كنت أكشف فى الصحف الأوروبية عن جمال الشعر العربى وعمقه » ثم انصرف أبو نظارة إلى تأليف التمثيليات باللغة الإيطالية فكتب ثلاثاً منها عن العادات المصرية لقيت نجاحا كبيرا على المسارح الإيطالية فى الشرق ، بل لقيت النجاح فى بلاد دانتى نفسها .

الفنان المفتن

قص علينا أبو نظارة كيف ولد وكيف ازدلف الى بيوت العظماء ينشر فيها ألوانا من الفنون الرفيعة ، وبين لنا أنه كتب شعرا ونثرا فى الصحف السيارة وأعلن فيما كتب عن حضارة الشرق ودين الاسلام ، وخلق له مدرسة من المدنيين والعسكريين الذين كان لهم فى تاريخ مصر — فيما بعد — تاريخ . . . ثم أخذ ينشىء التمثيليات ليشبع بها نفسه المطبوعة على الحكاية والرواية والنقد المباح ، وكان نجاح تمثيلياته الايطالية الثلاث حافزا على المضى فيما أهله له طبعه ، فعزم على أن يقيم مسرحا قوميا مصريا ، وهو عمل فنى لم يسبقه اليه أحد فى مصر . ولم يكن إنشاء مسرح مشروعا سهل التنفيذ ، ولكنه توكل حين عزم متشجعا بما يبديه الخديو اسماعيل نحو تأييد المسارح الفرنجية وفى مقدمتها الأوبرا الايطالية والكوميدى فرانسيس ، وهما مسرحان جميلان بالقاهرة .

كان ذلك فى سنة ١٨٦٩ حين فكر يعقوب صنوع فى تأسيس مسرح للوطنيين تعرض على خشبته تمثيليات عربية ، وكان ذلك حدثا جديدا وابتكارا غريبا ، فالى ذلك الحين لم يكن أحد قد كتب أو مثل على مسرح وطنى أمام نظارة أو متفرجين ، ويقول المترجم له « فألفت حينئذ فودفيل قصيرة تتخللها أشعار ملحنة تلحينا شعبيا ، وقد مثل تلك الفودفيل » فى القصر أمام باشوات وبيكوات البلاط الخديوى فضحكوا لها من أعماق قلوبهم » وشجعوه على أن يعرضها فى حديقة الأزبكية وكانت مشهورة بمسرحها القائم فى الهواء الطلق .

وتوكل يعقوب — كما يقول — وقرر إنشاء فرقة تمثيلية ، واستغرق ذلك أسبوعين تمكن خلالهما من تكوين تلك الفرقة من بعض تلاميذه الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والعشرين ، وهم جميعا من الذكور . وتخصص واحد منهم فى تمثيل أدوار النساء ! ثم أقيمت الحفلة الأولى وحضرها رجال البلاط والوزراء ، وأقبل معهم أكثر من ثلاثة آلاف مشاهد بين أوروبى مقيم ووطنى أصيل ليشاهدوا هذه البدعة الجديدة . . . تمثيلية باللغة العربية ! . .

ويؤرخ لنا أبو نظارة فيما يرويه عن فرقته سيرة المسرح المصرى الأولى ، وهى سيرة لا يعرفها المصريون ، ومن حسن طالع هذا التاريخ أن صاحبه عنى بتفاصيله وأتاح لنا أن نقف على كثير من أخباره المستخفية، والتى لم يذكرها مؤرخ من المؤرخين، وهو يحدثنا عن الفرقه التمثيلية العربية الأولى حديثاً شائقاً فيذكر أن الممثلين الشبان حفظوا أدوارهم عن ظهر قلب « ولكنهم كانوا يرتعدون خوفاً قبل رفع الستار »فرأى زعيمهم — أبو نظارة — أن يشجعهم ، فوقف على خشبة المسرح وحوله الممثلون وتحدث إلى النظارة ليعطيهم فكرة عن الفن المسرحى ، وأخذ يقدم أفراد الفرقة للجمهور، وطلب منه أن يغض الطرف عن الهفوات أو العجز على اعتبار أنها التجربة الأولى التى تقوم بها أول فرقة تمثيلية عربية فى وادى النيل ، ويمضى قائلا «ثم ألقيت خطاباً عن فوائد ومباهج المسرح وختمت كلمتى بمدح الخديو »

وقد أعادت تلك الخطبة الثقة إلى قلوب الممثلين فأدوا أدوارهم كما لو كانوا أهل خبرة ومن أعلام الممثلين ، ويذكر يعقوب أن «سرور وحماس الناس فى ذلك اليوم لا يوصفان ، فقد طلبوا إعادة ثلثى مناظر الفودفيل وحملونى على أكتافهم ، وبكيت لأول مرة من الفرح »

خلق يعقوب بن صنوع بفرقته فكرة المسرح العربى فى مصر الحديثة ، وهى فكرة لم يسبقه إليها أحد من المصريين أو الشآميين الذين نزحوا إلى مصر بعد ذلك واتخذوا من التمثيل مهنة وحرفة ؛ غير أن المترجم له لم يرض أن تعيش فرقته عيالاً على تلاميذه ، غير مستكملة أدوات الفرق الجديرة بهذا الاسم، وقد استطاع أن يؤلف فرقة محترفة ضمت العنصر النسائى ليقوم بالتمثيل بدلاً من الرجال المتنكرين فى ثياب النساء ! فعثر على فتاتين فقيرتين ، وتمكن من تعليمهما بنفسه القراءة فى شهر واحد ، ومرنهما على التمثيل فأديا أول الأمر أدواراً قصيرة خصصها لهما فى تمثيلياته ،وساعدهما على النجاح شباب نضر ووجه جميل وخفر نادر فى ذلك الزمان ؛ وقد كان لظهورهما على المسرح أحسن الأثر فى نفس الجمهور الذى استقبلهما بالتشجيع والتأييد وأحاطهما بالرعاية الملحوظة فى إقباله على كل تمثيلية، لهما فيها نصيب

ويجب أن يدخل فى اعتبار من يؤرخ للتمثيل العربى أثر البيئة فى التوجيه وفى النجاح أو الإخفاق ؛ فقد كان إنشاء مسرح عربى فى عهد اسماعيل مجازفة يتعرض

فيها صاحبها لتزمت المتزمتين وخصومة الرجعيين ومحاربى البدع ، وما أعجبها من بدعة تصرف الناس عن العمل الصالح فى عرفهم ! وتبيح وقوف الأنثى إلى جانب رجل تطارحه علانية الغرام أو يطارحها الحب والهيام ! لذلك يعتبر نجاح يعقوب فى مسرحه انتصاراً رائعاً للفن وهزيمة مروعة لأهل الرجعة وهم كثيرون

ويقص أبو نظارة مدارج النصر التى نالها فى عمله ، فيذكر أن مسرحه ظل يعمل سنتين عرض فيهما على خشبته اثنتين وثلاثين تمثيلية من تأليفه ، منها الملهاة ذات الفصل الواحد والمأساة ذات الفصول الخمسة ، إلى جانب كثير من التمثيليات التى ترجمت عن الفرنسية ، ثم يقول « وبعد مضى أربعة أشهر على تأسيس مسرحى ، دعانى الخديو إسماعيل وفرقتى لأمثل على مسرحه الخاص فى القصر ، وقد مثلت ثلاث روايات وهى « آنسة على الموضة » و « غندور مصر » و « الضرتان » وكانت كلها من نوع الملهاة الأخلاقية ؛ وبعد



منشىء المسرح يعقوب بن صنوع وهو فى القاهرة

أن شاهد الملهاة الأولى والثانية استدعانى وقال لى أمام وزرائه ورجال حاشيته « أنت موليير نا وسيخلد اسمك » بيد أنه عندما شاهد التمثيلية الثالثة « الضرتان » وكانت تعلن عن مساوىء تعدد الزوجات ، وأنه سبب التصدع الذى يحدث فى الأسرات بل سبب الجرائم التى تغشاها ، تحول سروره إلى غضب ، وأرسل يطلبنى قائلاً بلهجة تهكمية « سيدى موليير مصر ، إن كانت كليتاك لاتحتملان إرضاء أكثر من امرأة واحدة فلا تجعل الغير يفعل مثلك » ! وقد وجد رجال الحاشية كلام سيدهم فى محله فنصحونى بأن أشطب هذه التمثيلية من قائمتى على الرغم من تقديمى إياها للجمهور

ثلاثاًوخمسين مرة ، ولكنني اضطررت إلى الرضوخ إبقاء على حياة مسرحي »

كانت لفتات اسماعيل عاملاً قوياً من عوامل نجاح مسرح يعقوب بن صنوع ، فقد كان لقب « موليير مصر » الذى خلعه عليه ، يشبهه من قريب براءة رتبة عالية منحها له الخديو الكبير ، وكان للرتب فعل السحر فى نفوس عامة الناس وخاصتهم ، لذلك تجنب أبو نظارة غضب الأمير وأسقط من حسابه تمثيلية « الضرتان »ومضى قدما فى مسرحه موضع تقدير الرواد من كل طبقات الشعب .

وبعد أكثر من مائتى عرض لمسرحياته طلب منه إسماعيل أن يمثل ثلاث قطع فى حفلة ساهرة كبرى ، وقد نال إعجاب الحاضرين وعلى رأسهم الخديو الذى صفق له ، غير أن كبار الجالية الإنجليزية الذين حضروا السهرة لاحظوا السخرية اللاذعة التى أطلقها كبير الممثلين على جون بول وهو يؤدى دوره على المسرح ، فحفظوها له ومضوا بالدس عند الأمير حتى أقنعوه عن طريقهم المباشر أو عن طريق صنائعهم فى القصر بأن التمثيليات التى يقدمها أبونظارة تتضمن تلميحات وإيماءات خفية ضد سياسته وسياسة حكومته ، وفيها خطر عاجل على نظام الحكم ومقدرات البلاد ، فأمر إسماعيل بأغلاق المسرح ، وبدأ منذ ذلك العهد اضطهاد يعقوب بن صنوع

ويؤرخ معاصرو (أبو نظارة) لتمثيلياته وأهدافها ، وللدور الطبعى الذى أعد نفسه له ، فيذكرون أنه أنشأ المسرح العربى ليعبر به عما يختلج فى أعماق نفسه من انفعالات،فأضحك الناس حين طرب قلبه ، وأبكاهم حين سالت دموعه الصادقة على وجنتيه ، وكانت ملاحظاته لاذعة وبعض مرحه ساخراً ، وكان حين تنبض نفسه بالألم لما يراه من حياة مواطنيه البائسين الشاكين « يتقمص فى جسمه جنسه الذى لايحاكيه جنس فى العالم ، والذى تحمل فى ماضيه الطويل مختلف الاعتداءات واجتاز شتى العقبات والاضطهادات ، ولكنه استطاع أن يعيش رغم ذلك وأن يحتفظ بكيانه دون تغيير أو تبديل » (١) ويمثل ذلك كله على خشبه المسرح ، فيعلن عن مواطنيه ومثلهم ، ويحكى آمالهم وآلامهم ، حتى رأت الحكومة أن ضحكاته مثيرة للخواطر ودموعه مهيجة للأفكار ، فأغلقت مسرحه ، وظنت أنها قد حبست لسان الرجل من أن ينطلق على خشبة المسرح ، ونسيت أن له قلماً سينطلق بعد قليل على مسرح الحياة .

---

(١) راجع ما كتبه الرحالة الإنجليزى فى المصدر السابق .

وقبل ان نسدل الستار على قصة الممثل الكبير نتركه يحدثنا عن الطرائف التى صادفته فى أثناء عمله المسرحى ، فهى ، وإن تكن تفكهة لقارئها ، إلا أنها عند المؤرخ شيء جدير بالتسجيل وهو يروى سيرة المسرح المصرى ، حتى يلاحظ المختصون على ضوئها التطورات التى حدثت لهذا الفن فى بلادنا ، ويزنوا المجهودات الضخمة التى انتهت بمسرحنا إلى شيء قريب من النضج والاستواء .

يذكر أبو نظارة أنه كان مديراً للمسرح ومؤلفاً لتمثيلياته ، وكان يقوم فى بعض الأحيان بمهمة الملقن ، وقد حدث أن تغيب الملقن فى إحدى الليالى بسبب وعكة أصابته ، ولما كان المترجم له لا يستطيع أن يقرأ فى تلك الظروف لضعف نظره الشديد فقد جاء بشاب وحدد له مكانه بين الكواليس ليلقن الممثلين ، وطلب إليه أن يقرأ الحوار بصوت منخفض ويترك الممثل يتبعه ، غير أنه لم ينفذ التعليمات حتى اضطرب الأمر على الممثلين وكادوا يعجزون عن أداء أدوارهم ، ولم يقف عجز الملقن عند هذا الحد بل أطل برأسه على المسرح وقال لأحد الممثلين « لا تسرع هكذا ، ألا تعلم أن العجلة من الشيطان ؟ أتركنى ألقنك وكرر الكلام من بعدى » . فانفجر الجمهور ضاحكاً ! فما كان من يعقوب إلا أن شد على أذنى الملقن الذى ضايقه ذلك ، فانطلق مغتاظاً إلى المسرح « وقذف وجه الممثل المسكين بمخطوط التمثيلية ، ونشب عراك بين الرجلين ، واضطررت إلى الظهور على المسرح لأفض المعركة بين ضحكات الجمهور وتهليله » .

ويعلق أبو نظارة على ذلك بقوله « ولو وقع هذا الحادث فى أحد المسارح الأوروبية لاعتبر فضيحة من الفضائح ، أما فى مسرحى الذى كان فى ذاك الوقت فى دور الطفولة فقد لقى الحادث نجاحاً كبيراً ، وفى الليلة التالية أعلن الجمهور عن رغبته فى مشاهدته مرة أخرى » ؟ ! !

ويحكى الفنان المفتن ألواناً من القصص عما صادفه فى عمله المسرحى ، وهو يصور لنا بساطة الشعب الذى كان يمثل له وبراءة سريرته وسماحة خلقه ، فقد كان النظارة يتدخلون فى التأليف والتمثيل ! ويفرضون آراءهم على المؤلف رضى أو سخط ، وما كان له إلا أن يرضى أو ينصرف عنه المعجبون من رواد مسرحه ، وهو يذكر على سبيل المثال أنه كتب عدداً كبيراً من التمثيليات المضحكة

وقدمها لمسرحه ، وكان معظمها يتألف من فصل واحد ، ثم رأى من واجبه أن يضمنها نصائح أخلاقية ، فألف لذلك الغرض تمثيلية من فصلين ، بطلتها فتاة لعوب عبثت بكثير من الرجال ، حتى ساءت سمعتها فهجرها جميع الناس وأصبحت وحيدة لا معين لها ، ولم يرض الجمهور عن هذه النهاية المؤلمة للممثلة — وكانت فتاة قادرة حقا بما أوتيت من جمال وفتنة — على انتزاع إعجاب النظارة على اختلاف مراتبهم وأسنانهم ، فاستقبلت التمثيلية بالصفير في اليوم الثاني ، فبرز يعقوب على المسرح مستوضحاً أسباب غضب الرواد وصفيرهم ، فأجابه شاب قائلا « أنت تعلم ياموليير أن صفصف — وهو اسم الممثلة — فتاة شريفة... وينبغي إذن أن تجد لها زوجاً جديراً بظرفها وجمالها . عليك أن تخصص الفصل الأخير من تمثيليتك لزواجها إن أردت أن نصفق لك وإلا فأننا لن نختلف إلى مسرحك أبداً » ويضطر المؤلف إلى النزول على رغبة الجمهور فيزوج الفتاة اللعوب آخر الأمر وإن خالف ذلك منطق الرواية والعبرة فيها !



صنوع عقب نفيه إلى باريس

ويؤكد لنا أبو نظارة أن مستوى المتفرجين ارتفع ارتفاعا ملحوظا في السنة التالية لإنشاء مسرحه ، وأنهم كانوا يميلون إلى الروايات الجدية ويستقبلونها استقبالا حسناً ، وتجاوب المؤلف والممثلون مع جمهورهم فقدم لهم تمثيليات مترجمة عن اللغات الفرنسية والايطالية والانجليزية ، غير أن ذلك لم يمنع القوم من التقاط الهفوات وتسقطها وقلب المسرح من الجد الخالص إلى هزل يتندر به الجيل جميعاً .

ويضرب أبو نظارة مثلا على تلك الهفوات بأنه كلف إحدى الممثلات بأن تقوم

بدور الحبيبة الوالهة أمام ممثل كانت — على غير علم من يعقوب — تكرهه ولا تطيقه مع أن الممثل كان ولهان حقا حتى إنه طلب يدها فردته ساخطة ، واضطرت الممثلة الحسناء أن تقول فى التمثيلية أمام النظارة لذلك الممثل البغيض إلى قلبها «إسأل نجوم السماء التى تحاكى جمالك عن سهادى . . إنى أقضى الليالى لا أذوق طعم الراحة فأناجيها وأنا أفكر فيك ... يانور عينى الذى يعشقك قلبى وتعبدك روحى ! آه لو تعلم كم أنت عزيز على ؟ لن تسحر فتيات أخر بنظراتك الالهية وابتساماتك الملائكية . الرحمة الرحمة بعصفورتك ودعها تؤمل فى أن تكون عبدة حبك ! آه لو هجرتنى فلسوف أموت . ولكن لو انى كنت واثقة من زيارتك لقبرى لرجوت الله أن يسترد إليه روحى ... »

وحين استمع الممثل الى حديثها راقه التمثيل وأعجبته المعانى ، فهمس اليها قائلا «ليبارك الله المسرح الذى يجعلك تتنازلين عن كبريائك ويضطرك الى أن تبوحى لى بحبك أمام آلاف الناس » وغاظها القائل والمقول فنسيت الممثلة أنها على المسرح ، ودفعها غضبها بما سمعت الى صفع الممثل المسكين صفعة قوية ! ثم التفتت الى الجمهور وقالت له فى غضب « ان كلمات الحب التى وجهتها لهذا الفتى المغرور الغبى لا تعبر عن احساسى الحقيقى نحوه فأنى أوثر العمى على حبه . ان مؤلف الرواية موليير مصرهو الذى وضع تلك الكلمات على لسانى » !!

وذهل أبو نظارة بما شاهد وسمع ، فقد وقفت التمثيلية ، وقام الممثلان برواية أخرى استقبلها الجمهور بالتصفيق الحاد ، فقد راقه حوار الممثلين وما تضمنه من مفارقات، فلما استؤنف تمثيل الرواية طالبوا كما هى العادة فى التقاط الهفوات بأعادة تمثيل هذا الفصل المضحك ، وقد أعيدت فعلا التمثيلية نحو شهر ولم تخل ليلة من صفعة يتلقاها الممثل من زميلته ويضحك لها الجمهور من أعماقه ، وبذلك خفت مرارة الممثلة وأصغت بالمودة الى زميلها، وبلغ السرور من النظارة مداه والاعجاب بالممثلين أقصاه حين علموا أن تمثيل هذا المنظر الدخيل قد قرب بين الخصمين حتى تلاقيا بعد شهر زوجين حبيبين ...

ويقتصر أبو نظارة فى رواية النوادر التى مرت بحياته المسرحية ، ويرى أنها جديرة بكتاب ، ليته قام بتأليفه ! فما أحوج صناعة التمثيل فى مصر إلى سجل لتاريخها القديم ،

وهو تاريخ نجهله ، وإن كنت اليوم قد عرضت نشأته ، وهى نشأة قديمة ، وهى أقدم أوتكاد أن تكون أقدم من نشأة الصحافة الشعبية نفسها ، وحسبنا مارواه فى هذا الشأن صحفينا الكبير يعقوب بن صنوع ، فقد ختم حديثه عن تلك النوادر بقصة طريفة ، فيها تصوير لخبث الخبثاء وسذاجة الساذجين .

قال وهو يحدثنا عن متاعبه ، إنه عرض رواية (ليلى) لأول مرة على مسرحه «التياترو الوطنى» وهى مأساة كتبها لصديقه الشيخ محمد عبد الفتاح ، وحضرها الوزراء وكثير من العلماء والشعراء ، وكان فى التمثيلية منظر لطاغية يقتل أولاد سيد القبيلة الأربعة ، وكان فى القاعة لحراستها شرطيان حديثا العهد بخدمة البوليس ، فانتهز أحد الخبثاء من المتفرجين تلك الفرصة وقال لهما بصوت خفيض « أيرضيكما أن تقترف هذه الجرائم أمامكما ؟ » وماأن سمع الشرطيان الجاهلان هذا الكلام حتى قفزا إلى خشبة المسرح وقبضا على الممثل الذى كان يقـــوم بدور الطاغية ! « ودوت القاعة بقهقهة المتفرجين وتصفيقهم » وكانت تلك الحادثة مثار التعليق فى جميع الأوساط؟!

ولم تقف الحوادث عند ذلك الحد ، فقد كان هناك بعض النظارة الذين لا يخلو فصل من تعليقاتهم العلنية أثناء التمثيل ، وكانوا يوجهون كثيراً من الأسئلة والإيحاءات إلى الممثلين والممثلات ، كأن يقولوا لأحدهم «سوف نرى إن كنت ستتركه يخطف منك محبوبتك » ؟ثم يقولون لإحدى الممثلات« كيف تفضلين هذا الأهبل المتعجرف على هذا الشاب الغنى الوقور الذى يموت فى حبك » ؟ وكان أبو نظارة يختفى وراء الكواليس ليلقن الممثلين إجاباتهم المناسبة على ملاحظات الجمهور ، وكان الحديث بين ممثلى فرقته وبين النظارة يطول أحياناً ، بل قلما كانت تنتهى تمثيلية له من غير أن يلبى طلب الجمهور ويظهر بنفسه على خشبة المسرح ويقول شيئاً مضحكاً وجديداً! وقد أوحت هذه المتاعب إلى المترجم له بأن يؤلف مسرحية ساخرة ينقد فى أكثرها ممثلى فرقته وموظفى مسرحه . . .

تلك قصة المسرح العربى المصرى فى نشأته وهى قصـــة فيها شيء من السذاجه والبساطة الملحوظة ، غير أنها قصة تؤكد أن المسرح فى مصر لم ينشأ إلا بين يدى مصرى ، وأن أحداً من البلاد العربية المجاورة لم يكن له فضل فى إنشائه ، وهى قصة تؤكد أن هذا المسرح الساذج قد استطاع أن يباشر مهمة تعليمية كانت مصر

تفتقدها بين أدوات التعليم الأخرى ، وهى قصة تؤكد أن صاحب المسرح كان ممثلاً بطبعه ، فأن حياته — كما سنعرفها فى مصر والخارج — تمثيلية رائعة مروعة ، وهى قصة تبين أن المسرح قد رفع عن قلب الممثل الكبير غصة كانت حبيسة فيه بما مثل على مسرحه من أدوار تعلن بؤس البائسين وتروى حكاية الأحرار المتطلعين ،وتنقد مساخر العصر وتقاليده البالية وتفتح عينى الشعب خاصته وعامته، وتبصره بما ينبغى عليه من واجبات إزاء الطغاة الظالمين .

لم يكن عجباً أن ينشأ فى مثل تلك الظروف مسرح (أبو نظارة) ولم يكن غريباً أن يضيق بمسرحه الخديو إسماعيل وتضيق به بطانته من رجال السوء ، إنما العجيب الغريب حقاً أن يرضى الخديو عن وجود هذا المسرح سنتين كاملتين . . .

الأستاذ الأديب

كان إغلاق مسرح يعقوب بن صنوع مفرق الطريق فى سياسته إزاء إسماعيل ، فأن إغلاق المسرح بأمر الخديو أفقد المترجم له النخبة المنتقاة من أنصاره القريبين من القصر ، ولم يقف اضطهاده عند حد ، فقد أغلقت دونه أبواب الوظائف العامة وتعقبه المسئولون فى الصحف القليلة التى كانت تصدر إذ ذاك ، وأشهروا عليه حرباً عواناً حالت بينه وبين الكتابة فيها ؛ غير أن يعقوبا صمد للمحنة فلم يتطرق اليأس إلى قلبه ، واتجه إلى نشاط ثقافى وطنى يلائم ذوقه وحسه ، فأسس جمعيتين علميتين أدبيتين ، سميت الأولى (محفل التقدم) وسميت الثانية (محفل محبى العلم) وانتخب لهما رئيسا ، وهما جمعيتان تعتبران فى رأى البعض نواة للحزب الوطنى القديم .

وكان أبو نظارة ، وزملاؤه من أعضاء الجمعيتين المبرزين يقومون بإلقاء المحاضرات عن تقدم الآداب والعلوم فى أوروبا ، وكان يحضر اجتماعاتهم ومحاضراتهم المسلمون والنصارى واليهود ، وبذلك خفت حدة العصبية الدينية ، وأنهت الجمعيتان الفكرة السائدة لدى الأوروبيين من أن المصريين إذا اجتمعوا فى ندوة أو اختلفوا إلى ناد كان التعصب رائدهم وكراهية الأجانب ديدنهم ، فقد كان شيوخ الأزهر وأعلام الدينين الآخرين يساهمون فيما يلقى من محاضرات وخطب ، وكان المتحدثون جميعا يدعون للحكمة والإخاء بين الشعوب دون تمييز عنصرى أو دينى ، وكانت الصحف المحلية تحتفل بنشر أخبار الجمعيتين مفصلة ، الأمر الذى مكن لهما فى نفوس الكثيرين حتى أقبل عليهما طلبة الأزهر وكبار ضباط الجيش المصرى ليغترفوا من منهلهما مبادىء الحرية الأوروبية عامة والفرنسية خاصة .

ويحدثنا أبو نظارة عن المتاعب التى صادفته فى هاتين الجمعيتين ودور الانجليز فى القضاء عليهما فيقول « وكان تاريخ فرنسا وآدابها من الموضوعات الرئيسية لمحاضراتى مما ضايق الانجليز الذين كانوا يريدون أن أدعو لنفوذهم وأشجعه بين أبناء وطنى . وقد انتقموا منى . . ونجحوا بوسائلهم الوضيعة وبدسائسهم الرخيصة فى أن يلقوا فى روع الخديو إسماعيل أن هاتين الجمعيتين إنما هما مركزان للثورة ؛ فما كان منه إلا

أن منع التلاميذ والطلبة والعلماء من حضور اجتماعاتنا ، واضطرت الجمعيتان إلى إغلاق أبوابهما » وهكذا كبت إسماعيل المتنفس الثانى لابن صنوع فى سنة ١٨٧٤

قضى على المتنفس الأول وهو مسرحه الذى كان يعبر على خشبته عن لواعج نفسه ، وقضى على الجمعيتين المذكورتين اللتين كان يختلف إليهما كثيرون من الساخطين المتبرمين ، وظن إسماعيل أنه قد قضى على كل ناد للاحرار ، وأنه تغلب على المعارضة أفراداً وجماعات ، سواء عن « سوء هضم القهوة » للافراد ! أو عن طريق إغلاق منتديات العلم والأدب ، وكان خصومه يخرجون من بيوتهم فلا يعودون ، ولا يدرى أحد مآلهم طال الزمن أو قصر . وكان الناس إذا تحدثوا برأى جديد أو نقدوا فكرة من أفكار الحاشية الطائشة نالهم من غضب الخديو الشيء الكثير ، وفى مقدمة مانال معارضى اسماعيل مصادرة أملاكهم . ولم يسلم منهم حتى عمه حليم الذى صادر أملاكه ونفاه . وجعله بذلك قبلة الأحرار من المصريين .

ولم يمنع الخوف أو الذعر والهلع عامة المصريين من التحدث عن الفساد الذى استشرى فى البلاد ، فكانوا يتسقطون الأخبار السياسية والاقتصادية من الأجانب المقيمين أو الوافدين . ويقبـــل بعضهم على قراءة تلك الأخبار فى صحف الفرنجة أو برقيات وكالات الأنباء وقد أصدر اسماعيل — لعلاج ذلك الموقف — أمراً بمنع طبع البرقيات التى تأتى من أوروبا وتترجم الى اللغة العربية ، ومع ذلك كله فأن جماعة من الأحرار قد أخذوا على عاتقهم إعداد ماتضمنته البرقيات وغيرها من مقالات الصحف الأجنبية الوافدة وترجمتها الى العربية ونسخها ثم توزيعها على أوسع مدى مستطاع ، هذا إلى ان أنصار الحزب الوطنى من الرعيل الأول عاودوا الاجتماعات سراً لتدارس الموقف وبث الدعايات المختلفة ضد الخديو وبطانته .

مضى أبو نظارة مساهماً فى ذلك كله ، عائلا لأمه وشقيقته ، محتملا مصاعب الحياة واضطهاد المسئولين ، لا ينى عن الخطابة والكتابة كلما استطاع إلى ذلك سبيلا حتى هاجت أفعاله وأقواله غضب إسماعيل فقال « إن هذا المولبير المعتوه بخطبه وأشعاره يفتح أعين رعاياى أكثر مما يجب ، وإن لم أقض عليه فلن أستطيع الحكم ولن يطيعنى أحد » .

ويبدو أن حدة الخلاف بين يعقوب بن صنوع والخديو إسماعيل خفت قليلا

فى سنة ١٨٧٥ أى بعد غلق الجمعيتين الأدبيتين العلميتين بسنة واحدة ، وكانت هناك قلة فى الحاشية ترجو أن تستقيم الأمور للقصر ، ولا يتمادى الأمير فى خصوماته لأهل الرأى وزعماء الفكر فى مصر ، وكان على رأس تلك القلة أديب أريب هو أحمد خيرى باشا « مكتوبجى الحضرة الخديوية الفخيمة » وهو من الرجال الممتازين المحيطين « بولى النعم » اسماعيل ، وتربطه بكثير من الأحرار صلات مصدرها الإعجاب المتبادل بالآراء الجديدة التى شغلت البلاد فى ذلك الوقت ، وقد عرفه الناس منذ أشرف على تحرير الوقائع المصرية فى سنة ١٨٦٥ فقد كان توجيهه لها دليلا مادياً على تفوق الرجل واعتدال مزاجه وبعد نظره فى جليل الأمور . (١)



مدام لولى صنوع فى شبابها

استطاع خيرى باشا — وكان فى تلك السنة كبيراً لأمناء إسماعيل — أن يقنع الخديو بأن يعقوباً مواطن شريف جدير بتقدير الوطن ، وأنه رجع الصدى للنهضة الشاملة التى خلقها حكمه الزاهر ، وأنه قمين بثقة ولى الأمر ، وأصغى إسماعيل إلى كبير أمنائه وشرط لعطفه على المترجم له أن يعتدل فى كتاباته وخطبه ، وخاصة تلك الخطب التى كان يلقيها فى المحافل الماسونية العربية التى ساهم يعقوب فى تأسيسها

(١) راجع تاريخ الوقائع المصرية للمؤلف — الطبعة الثانية ، ص ١١٥ وما بعدها .

منذسنة ١٨٦٥ ، ووعد خيرى أن ينفذشروط إسماعيل مقابل الرضاء على أبى نظارة وعمل على تحقيق هذا الرجاء بطرق عملية واضحة تقرب يعقوباً إلى المسئولين وتعينه على الحياة

ووقع خيرى باشا (المعاهدة) دون علم يعقوب ! ولم ينكر ابن صنوع أنه رضى ما أنتهى إليه أمر الوثيقة الشفوية بين الخديو وصديقه الحميم ، ويؤكد ذلك بفقرات مما كتبه عن تاريخه بقوله « ومنذ ذلك اليوم أخذت أقضى سهراتى فى قصر عابدين مقر الخديوية ، فتعرفت بجميع وزراء إسماعيل ، وقد كلفنى معظمهم بتعليم أولادهم الفرنسية والإنجليزية . وهكذا عدت ابتداء من ذلك التاريخ إلى ما كنت عليه من قبل ، أى شاعر البلاط ، وكنت أبعث بشعرى فى مناسبات الأفراح وأعياد الميلاد »

وعاد يعقوب بن صنوع إلى ماكان عليه من قبل ، مادحاً للبيت المالك ، مسجلا مديحه فى أشعار بعث بها فى المناسبات المختلفة ، غير أنه كان فى هذه العودة دارساً باحثاً يتسقط الحوادث والأخبار ويستوضح مغالق السياسة التى أنتهجها إسماعيل لشئون الداخل والخارج ، منتوياً الشرحين يحين وقته ، فكانت معاهدته التى أقرها بالنيابة عنه خيرى باشا معاهدة على دغل ، ويروى أبو نظارة نواياه فى قوله « فقد كنت أشاهد عن كثب جميع جرائم إسماعيل ، وإن عشت فلسوف أنشر أفعاله الوحشية التى سترتعد لهولها فرائص العالم أجمع » .

ومضى يعقوب بن صنوع قريباً من القصر وعيونه ، يدرس كل مايدور حوله من خفايا حتى وجد انحراف الخديو انحرافاً ظاهراً ، فقد تأكد منذ سنة ١٨٧٧ أن إسماعيل كان يلقى فى روع الشعب عن طريق عملائه فى الصحف وأعوانه فى الريف أن الضرائب المجحفة التى كان يفرضها على الفلاحين ، إنما كان يضطر إليها ليتمكن من أن يسدد المبالغ الضخمة للأوروبيين ، وهى المبالغ التى كان يحكم عليه بدفعها إثر محاكمات ظالمة ؛ وكان أبو نظارة — كما رأينا فى تاريخه الطويل — يؤثر ود الأجانب ويرجو ألا تسوء العلاقة بينهم وبين مواطنيه .

ولا أريد أن أحكم على (أبو نظارة) حكما جائرا فى نظره إلى هذا الأمر ، فأعيب ميوله نحو التخفيف من ضيق الشعب بالأوروبيين ، فقد يكون الرجل مؤمنا بأن هذا الضيق لن يؤتى ثمرة يرجى من ورائها خيرلوطنه ، كذلك لا أعيب عليه أبداً تبرمه بسياسة الخديو المالية ، فقد كانت سياسة جديرة بالحملة عليها وتبصير

الشعب بسوء المصير فيها ، وهكذا مضى الكاتب معلنا تبرمه باسماعيل وثورته عليه ثورة كانت عدتها مقالات نشرت له لم نعثر عليها ولم يشرهو إلى مكانها بين صحف الجيل ، وإنما يؤكد المترجم له أنه هاجم ولى الامر بحملة كتابية كلامية واسعة النطاق « لا لأنه كان يبتز أموال رعيته فقط بل لأنه كان يبذر فى قلوبهم كراهية الأوروبيين ، فيبعث فى صدورهم نار التعصب التى كدت أنا وأصدقائى أعضاء الحزب الوطنى أن نطفىء جذوتها » .



من صور يعقوب فى أوائل عهده بباريس

ويذكر أبو نظارة أنه استرسل فى خصومته لاسماعيل فذهب إلى المحافل يخطب ناقداً لسياسته الحالية وإسرافه فى فرض الضرائب » ويحكى أنه اختلف إلى معظم صحف العصر فنشر مقالات كثيرة فى هذا الموضوع ، وحذر مواطنيه إذا خطب أو كتب من فكرة التعصب التى كان يوحى بها الخديو عن طريق عملائه وأدواته الرسمية فى المدن والريف ، وترتب على موقف يعقوب هذا أن خسر عطف إسماعيل مرة أخرى ، حتى إن أبواب المحافل والصحف أغلقت دونه ، وهددت بالعصف والتعطيل إن أعطت فرصة للكاتب الناقد بالخطابة أو التحرير .

ويروى لنا أبو نظارة أن إسماعيل انتقم منه انتقاما مادياً فى الظروف العصيبة التى كان يمر بها المترجم له ، فقد كلفه فى سنة ١٨٧٤ بالسفر إلى أوروبا ، وقام بالرحلة تلبية لأمره ، ولم يفصح الكاتب عن الأسباب التى دفعت إلى هذا التكليف ، ولا

القصد منه ، وإنما يذكر أنه أدى المهمة على خير ماتؤدى المهمات الشبه رسمية ، وأنه حين عاد إلى مصر عكف على كتابة تقرير مفصل متضمناً أشياء كثيرة لم يشر إليها أبو نظارة وهو يروى تاريخه ، ويبدو أن إسماعيل احتفظ بصورة التقرير عدة سنوات ، فأذا غضب على صاحبه أبى عليه نشره فى الصحف بل هدد الصحف بالإغلاق إن حاولت ذلك ، ولم يقف الأمر عند حد منع نشر التقرير بل إن الخديو أعدم المخطوط بحجة أنه تقرير ثورى ورفض أن يدفع تكاليف الرحلة وهى ثمانية آلاف فرنك...

كان يعقوب يجتاز فى تلك الفترة أزمة مالية حادة ، وزاد من أزمته أن رفض الخديو دفع تكاليف مهمته ، وغاظه أن يرى إسماعيل يبسط يده كل البسط لكثيرين من الصحفيين المصريين والأجانب ويقبضها دونه ، وكانت تلك الأزمة من العوامل التى دفعت بالمترجم له إلى شن الحملة على الأمير بعنف ودون هوادة ، والتمس لها ألف سبيل لينتقم لنفسه ، وينتقم أيضا — كما يقول — للشعب الذى راضه إسماعيل على الذل وأخذ يضطهده بفرض الضرائب متعللا بمطالب الأجانب وأحكام محاكمهم

لم يقف نشاط يعقوب لحظة فى الحملة على إسماعيل ، بل قام هو مقام الصحف برواية كثير من فضائحه فى المجتمعات المتباينة التى كان يختلف إليها ، وأحس خطر تلك الحملة شريف باشا وكان ناظراً لخارجية الخديو وممن يرون فى يعقوب بن صنوع الرأى الحسن ، وعلم الباشا أن الحملة التى يقوم بها المترجم له قد تركت أثراً كبيراً فى نفوس عامة الناس وخاصتهم ، فقد كان يعقوب معروفا للشعب جميعاً ، وهو راوية يحسن الحديث فى ندوة العلماء كما يحسنه فى قهوات أبناء البلد ، فأشار شريف على الخديو بأن يصحح الوضع ويلتمس لهذا التصحيح وسيلة ترضى ابن صنوع فأجابه الخديو قائلا « إن لم يسكت هذا المغرور فأنى سأعرف كيف أسكته ، وإن ضايقنى أكثر مما ينبغى فأنى سأسحقه بين أصابعى كما يسحق البرغوث » ! وقد نقل لنا هذه



أحمد خيرى باشا

الرواية أبو نظارة فى تاريخه ، وسجلها حين قصها عليه شريف باشا قبل أن يقضى بفترة قليلة .

ولما وجد أبو نظاره أن الصحف المصرية قد أوصدت أبوابها دونه ، قرر أن ينشىء هو الصحف على نفقته ويتولى بنفسه القضايا التى كان يريد أن يتولاها بالعرض والتفصيل فى الصحف المصرية ، واستند فى الجولة الجديدة إلى القنصلية الإيطالية فنال حمايتها كما كان يصنع كثير من أحرار الصحفيين ، وبدأ نشاطه باصدار صحيفة هزلية باللغة الفرنسية سماها La Moustique أى (البعوضة) ثم أنشأ صحيفة أخرى باللغة الايطالية سماها L'occhialino أى (النظارة) ، ثم أسس بعد ذلك صحيفة أصدرها بثمانى لغات هى Le Bavard Egyptien أى (الثرثار المصرى) وكانت هذه الصحيفة من أوسع صحف هذا العصر انتشاراً ولقيت رواجاً فى جميع الأوساط حتى تنبهت لها الحكومة فأصرت على إغلاقها .

وفجأة وجد يعقوب صنوع نفسه من غير قلم أو قرطاس ، واحتبست فى صدره الأفكار والآراء ، وعز عليه أن يعبر عن أغراضه بأية وسيلة من الوسائل ، فرأى أصدقاؤه القريبون من القصر ، أو الذين لهم حظوة فيه أن ينصحوا له بأن يخفف من حدة هذه الخصومة ، بل طالبوه بأن يغير سياسته إزاء الخديو حتى يستطيع أن يعيش فى فلك الأمير كما يجرى غيره من كبار الناس ، واستمع أبو نظارة إلى نصحهم « واعتكف شهرين مظهراً ندمه لولى النعم» على مابدر منه ، وكان ذلك وسيلته الوحيدة لرضاء إسماعيل ، هذا الرضاء الذى أذن له أن يعيش ، وأن تفسح له الدنيا مكانها ، وأن يحتل فى تاريخ الصحافة المصريه أعز مكان ، وأن يكون علماً من أعلام النخبة المنتقاة من المصريين ، وأن يكون خصم البيت المالك إذا أخطأ وصديقه إذا أصاب وأن يحيا لكفاح الاستعمار الإنجليزى فى مصر والسودان ، وأن يعلن عن مصر بأحسن ما يعلن المواطن الحر الشريف عن بلاده .

هذا الرضاء قد أذن له بأن يصدر مجلة (أبو نظارة) ليحيا فيها أبو نظارة ما بقى السكون وبقى فى السكون إنسان .

مجلة أبو نظارة فى مصر

صدر العدد الأول من مجلة أبو نظارة فى ٢١ ربيع أول سنة ١٢٩٥ هـ بمدينة القاهرة ، وكان إسمها (أبو نظارة زرقاء) وتحت العنوان كتبت عبارة (جريدة مسليات ومضحكات) وليس فى العالم كله فيما نعلم مكتبة عامة أو خاصة تحتفظ بالعدد الأول من (أبو نظارة زرقاء » ، ولا بالأعداد التالية التى صدرت فى مصر وعددها خمسة عشر عددا ، وقد حصلت على هذه الأعداد فى مخطوط كتبه يعقوب بن صنوع صورة مطابقة كل المطابقة لما صدرت به تلك الأعداد فى عهد اسماعيل ولكنها حرقت تحريقا ولم يحتفظ أحد بأى عدد منها .

ويشير يعقوب صنوع إلى الظروف التى أوحت باسم مجلته(١) فيذكر أنه اجتمع طويلا بالسيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لاختيار الاسم المناسب، وبالرغم من هذا الاجتماع الطويل فإنه ترك بيت الأفغانى صفرا من أى اسم فأحاط به المكارية ، وكان كل واحد منهم يريد أن يختار حماره ويقول « ده يا أبو نظارة » وهكذا وجد اسم الصحيفة . . . . وقد أعجب بهذا الاسم كثيرون من أصدقاء يعقوب ، فهو ينم عن معنى عميق ، فإن أبا نظارة تومىء إلى أنه رجل يرى من بعيد ، وفى ذلك ما يعنى أنه رجل ملهم لا تفوته فائتة .

وقياسا على ما كان يتبعه الصحفيون فى ذلك العهد ، قدم يعقوب لصحيفته بافتتاحية تضمنت رسالتها وغايتها ، رأينا — لعجز الباحثين عن الحصول على العدد الأول — أن نسجلها هنا بحذافيرها فقد يرون فى فقراتها وبين سطورها ما يفيدهم إذا رجعوا إليها فى تحقيق شىء ما ، وقد استغرقت تلك المقدمة ثلاث صفحات من خمس تضمنت العدد الأول من الكناشة التى احتوت على أعداد المجلة فى مصر . قال أبو نظارة فى افتتاحيته .

« إن مما يسر به المحب لهذه الديار المصرية وتكمد به نفوس أعدائها ما صار إليه

---

(١) لمراجعة هذا التاريخ أنظر ما كتبه فى صحيفته فى ورقة صفراء قبل بدء سنة ١٨٨٦ مباشرة من أبو نظارة ثم العدد الثانى من أبو نظارة سنة ١٨٨٧ ص ٢ ، ٣ ثم مقال من الخارج عدد ٥ من أبو نظارة سنة ١٨٩٦ وكذلك العدد الخامس عشر من أبو نظارة زرقاء الصادر فى أول يوليو سنة ١٨٧٩ .

أمرها فى هذه الأيام من الترقى فى التمدن كما يعلم ذلك من يطلع على أفكار أهاليها وأعمالهم بعين التبصر والتأمل فإنا نرى عندما ننزه أبصارنا فى أرجائها وأسواقها أن كل واحد منهم عاكف على عمل من الأعمال الشريفة والصنائع المهمة بغاية الهمة والاجتهاد وليس فيهم شائبة الفتور والكسل والميل الى البطالة. وذلك من أدل دليل على صلاحهم وفلاحهم حيث أنهم قدانتبهوا الى ماهوالوسيلة العظمى الى ثروتهم وغناهم واذاخاطبهم العارف وخالطهم يرى أن جميعهم أرباب الأفكار الجيلة متقلب فى العلوم والآداب وخبير بأحوال العالم وماهو عليه من تقلب أحوال السياسات وما يلزم لكل انسان بالنظر الى شخصه فى ذاته وبالنظر اليه فى ملته ووطنه وغير ذلك مما هو يشيرلنا بقدوم سعادتهم ويرى أنه قد وقع فيمابينهم الائتناس بغيرهم من الأمم والملل فلا يستنكرون صورة ولا يستغفلون هيئة ولا يتوحشون ديانة حتى أضحوا يعدون الانسان إسم جامع لجميع أفراده والكل فيه اخوان يسعى بعضهم لنفع بعض فيحب كل واحد منهم لأخيه مايحبه لنفسه ؛ وصاروا كأعضاء مختلفة لبدن واحد من سعى لاصلاح ذلك البدن . ولا ريب فى أن هذا دائما هو من نور البصيرة والاستضاءة بأنوار المعارف التى قد نالوها فى عهد خديويهم المعظم ، فإنه فضلا عن كونه قد فتح لهم مدارس ومكاتب فى جميع الفنون التى توجب إيقادنورالاستبصارفى مشكاة الأنوار ، قد تفضل بأن أذن بإنشاء جملة جرنالات فى العربية وغيرها حتى إن من لم يستطع أن يفنى زمنا أويصرف درهما أو يقطع مسافةطويلةلنيل العلوم والآداب إلى باب منزله (كذا (١)) فأضحى الكل سميعا بصيرا وبالحقائق خبيرا ، وحقيق أن يكون لهم ذلك فان من نزه بصيرته فى روضتى المدارس والأخبار (٢) ونظر إلى ماالشتملتا عليه من الفنون والآداب التى تغذى العقل وتربى النفس فلا محالة يرجع القاصد إليهما وقد اقتطف من أزهارهما ، ونال ما نال من ثمراتهما . ومن تأمل فى مبانى الأهرام (٣) ومعانيها التى تسابق إلى الأفهام وقف على حقيقة الواقع

(١) يقصد أن العلوم والمعارف تختلف إلى بيته عن طريق الصحف دون عناء

(٢) روضة المدارس صحيفة رسمية للمعلمين والتلاميذ أصدرها اسماعيل والثانية صاحبها محمد أنسى افندى وصدرت فى عهد اسماعيل أيضا للآداب والفنون وكان الخديو يعينها بسخاء

(٣) يقصد جريدة الأهرام التى صدرت في أغسطس سنة ١٨٧٦

فى الأخبار الدولية والمخابرات السياسية ، وأقر عقله بما ينشر فيها من المقالات الأدبية والجمل العلمية ، ولا يذهب عليك ما فى باقى الجرنالات من الفوائد ، فلا جرم أضحى الناس متبصرين ، وبما أتاهم الله من فضله مبتهجين ، إلا أنه كما كان لكل مائدة فاكهة تخفف ثقل الأغذية ، كذلك لابد لموائد العقول من فاكهة تخفف عن العقل أتعابه التى قد نالها من إعمال الفكر ، فأهل أوطاننا وإن كانوا قد نالوا من العلوم والمعارف ما قد نالوه إلا أنهم قد فقدوا فاكهة تسليهم عند كلال عقولهم وتعبها من النظر فى الأمور وعواقبها ، مع اشتمالها على الأخبار الحالية والحوادث الوقتية من داخلية وخارجية ، فمن أجل هذا قد رأينا أن ننشر جرنالا يشتمل على ذكر الوقائع بوجه يزيل عن النفوس بؤسها ويريحها من أتعاب إحساساتها ليكون ذلك داعيا لتنشيط عقولهم وفك عقالهم ، على أنه ليس الغرض منه مجرد الضحك بل مع الاشتمال على الحكم والمواعظ الحسنة التى تقود الإنسان إلى سعادته ، والتواريخ المهمة وأحوال البلدان والدول والملل على وجه لا تمل منه النفوس ولا تسأم فهو جد لبس لباس الهزل ، وأسف قد تحلى بحلى الفكاهة والغزل ، فإن كون هذه الحقائق على وجه معجب أدخل فى النفس وأدعى إلى القبول ، فإن الإنسان ، فى أى حد درجة كان ، هو بالنسبة إلى مافوقها طفل يدعى إليها بما يألفه ويحبه وترتاح نفسه اليه حتى يميل إلى المألوف فيصل إلى ذلك الأمر المقصود فيستفيد فائدتين : الفرح الحالى والخير الاستقبالى ، كما قال الشاعر الإيتاليانى المسمى تاسّو الذى كتب ديوانا كبيرا فى حرب الصليب المشهور ، إن الصغير اذا مرض وطلب مداواته فلا يستطيع أن يسقيه الدواء المر الا إذا طلى حافة الإناء بالعسل الحلو ، حتى لا يلاقى فى أول مذاقه الا حلاوة فيندفع الى شرب الدواء حتى ينال الشفاء ، فذلك الطلاء كان غشاً ، ويا عجباً إن ذلك الغش هو عين النصيحة ، ولو أنه أتى له بالدواء فى أول وهلة لما أقدم على شربه فيموت بعلته ، فهكذا ، إن أرباب الأمراض النفسانية أى الغافلين عن بعض خيراتهم إنما يساقون إليها على وجه مُرض لديهم مفرح لنفوسهم ، فإن ذلك أدعى لقبولهم من أن يلقى إليهم بوجه آخر ، خصوصا الأشخاص الذين لم تتمرن عقولهم على الحبس والصبر على الإيغال فى الفكر ، بل عدوا أنفسهم فى عداد

نص صحيح ١   ١/٦

عدد ١   ~~المحروسه~~   بمصر القاهرة في ١٢ ربيع اول سنة ١٢٩٥

ابو نظارة زرقاء

(جريدة سياسات ومضحكات)

ان مما يسر به المحب لهذه الديار المصريه وتكمد به نفوس أعدائها ما صار اليه أمرها في هذه الايام من الترقي في التمدن كما يعلم ذلك من يطلع على أفكار اهاليها واعمالهم بعين النظر والتأمل فانا نرى عندما ننزه ابصارنا في رجالها واسواقها ان كل واحد منهم عاكف على عمل من الاعمال الشريفه والصنائع المهمة بغاية الهمة والاجتهاد وليس فيهم شائبه الفتور والكسل والميل الى البطالة وذلك من ادل دليل على صلاحهم وفلاحهم حيث انهم قد انتبهوا الى ما هو الوسيلة العظمى الى ثروتهم وغناهم واذا خاطبهم العارف وخالطهم يرى ان لجميعهم ارباب الافكار الجميله منغلب في العلوم والاداب وخبير باحوال العالم وما هو عليه من تقلب احوال السياسات وما يلزم لكل انسان بالنظر الى شخصه في ذاته بالنظر اليه في ملته ووطنه وغير ذلك مما هو يشير لنا بتقدم سعادتهم ويرى انه قد نفع مما يرهم الاستئناس بغيرهم من الروم والملل فلا يستنكرون جهوره ولا يستثقلون هيئته ولا يتوحشون ديانته حتى انهم يعدون

الانسان اسم جامع لجميع افراده والكل منهم اخوان يسعى بعضهم لنفع بعض فحسب كل واحد منهم لاخيه ما يحبه لنفسه وصاروا كاعضاء مختلفه لبدن واحد من سعى في صلاح لاصلاح ذلك البدن ولا ريب في ان هذا انما هو من نور البصيره والاستضاءه بانوار المعارف التي قد نالوها في عهد خديويهم المعظم فانه فضلا عن كونه قد فتح لهم مدارس ومكاتب في جميع الفنون التي توجب ايقاد نور الاستبصار في مشكاة الافئدة قد تفضل بان اذن بانشاء جمله جرنالات من العربيه وغيرها حتى ان من لم يستطع ان يفني زمنا او يصرف درهما او يقطع مسافة طويلة لنيل العلوم والآداب الى باب منزله فاضحى الكل سميعا بصيرا وبالحقائق خبيرا وحقيق ان يعرف لهم ذلك فان من نزه بصيرته في روضتي المدارس والاخبار ونظر الى ما اشتملتا عليه من الفنون والآداب التي تغذي العقل وتنمي النفس فلا محاله يرجع القاصد اليها وقد اقتطف من ازهارهما ونال ما نال من ثمراتهما في مباني الاحكام ومعانيها التي تساق الى الافهام وقف على

الصفحة الأولى من أول عدد أصدره يعقوب من (أبو نظارة زرقاء) فى مصر وهى من خط يده

أرباب الفكاهات والظرف ، فهؤلاء لاتنقاد نفوسهم إلا لما هو من قبيل ما يألفون وليس مشروعنا هذا بيدعة بل قد سبقنا إليه أهل أوروبا ، فإنه من بلاد الإنجليز من يشترك فى (التيمس) الذى هو الجرنال الرسمى للحكومة يشترك فى (بنش) الذى هو جرنال الضحك ، وفى فرنسا يشترك فى جرنال (ريبو بليك) أى الجمهورية يشترك فيه (شار تفرى) أى جرنال الضحك أيضاً ، وفى إيطاليا من يشترك فى فى جرنال (نتسيونه) أى الأمة يشترك فى (فانفولا) وغير ذلك فى سائر الممالك لهم جرنالات الآداب والمعارف بطريق الجد المعروف عند أرباب الكتب ، وجرنالات الفكاهة المشتمله على الحكم والمواعظ ، وإنه وإن كان فى تلك الممالك جرنالات الفكاهات يقلدون أحوال حكوماتهم ووزرائهم ، حتى إن كافور الوزير الشهير ، الذى قد فعل بتدبيره وسرقلمه بإيطاليا مالم تفعله أسلحة غاريبالدى ، كان ينزل بنفسه ويرى ما فى الجرنال الذى يسمى (سبرتو فوليتو) أى العفريت المجنون من الصور والتقاليد التى من جملتها صورته وتقليده ، وكان إذا وجد التقليد محكماً يمدح المصور ويشكره على صنيعه وإذا لم يجده كذلك يقول له إنك لم تقلدنى حقا فاتقن عملك بعد هذه المرة . ولكننا لا نحتاج إلى مثل هذا فى حكومتنا أيدها الله تعالى ، بل لا نتعرض فى هذه الفكاهة لا للديانة ولا للسياسة الوطنية ونقتصر على ماعساه يكون مفرحا للقلوب ومنتجا للمطلوب من ذكر أدبيات وظرائف تتعلق بوطننا هذا وما يقع من أهاليه ومايحكيه الظرفاء منهم فى أى محل سواء كان وفى بلدنا هذا وفى غيره ، فإن لنا مكاتبين فى الجهات يكاتبوننا بما يحدث من هذا القبيل ، وكذلك فى بلدنا هذا من يتكفل بإيراد ما يحدث وما يحل فيها من الأمور التى تأخذ بالقلوب فرحا وسرورا وعظة واعتبارا ، وذكر جميع الحكايات والنوادر الأوروباوية مترجمة باللغة العربية الفصيحة المنبئة عن كل مايحدث فى تلك الأقطار ويكتبه أرباب الجرائد والرسائل من الآداب واللطائف المروحة للنفوس وأحوال سياسة الدول الخارجية ومايقع فيها من تضارب الأقوال وارتباك الأحوال . وإن شاء الله تعالى نضم لذلك تصوير بعض مايلزم تصويره ، إذ يكون ذلك أقرب تناولا للعقول ، فإن عندنا من هو جدير بذلك على إتقان ، إلا أن لوجود الافلاس فى مالية هذا الجرنال ،

إذ هو فى ميدانه فقير لم يمكن المبادرة إلى هذا من أول وهلة وسيكون ذلك إن شاء الله وبالجملة . فالمرجو من الله تعالى أن يكون هذا الجرنال مفيد لعموم الأهالى وكافلا بانتباههم إلى خيراتهم ؛ ومؤدياً لهم عن تناول مضراتهم(١) . ونحن لا نبتغى بمثل هذا الجرنال إلا تقدم أبناء وطنه على العموم وليس لنا من غرض سواه ، فالمأمول من أرباب الهمة سواء الطربوش والعمة أن يشتركوا معنا فى هذا الأثر الجميل السالى شراب السلسبيل ، وهو حسبى ونعم الوكيل » .

هذه هى خطة الصحيفة ورسالتها ، نشرناها بحذافيرها على ما فيها من أسلوب ركيك وعبارة غير سليمة فى كثير من المواقع ، بل لعلها أضعف ما كتبه يعقوب أسلوباً وعبارة سواء فى مصر أو فى أوربا ، غير أن إهمال نشرها لم يكن جائزاً ونحن نؤرخ لأقدم الصحف الهزلية فى الشرق كله ، ونؤرخ لها من مجموعة خطية قد تضيع على مدى الزمن وتختفى فيها ذكريات رائعة من تاريخ الصحافة المصرية .

لقد تحدث أبو نظارة كثيراً عن نفسه فى هذه الافتتاحية ، وهو لن يتركنا فى عدد من أعداد صحفه إلا ويذكر لنا شيئاً من ذكرياته ومشاهداته ، وسيمضى فى ذلك نحو ثلاثين عاماً ، فأذا فرغ من ذلك شغلنا بمحاوراته الفكاهية التى جرت بينه وبين « أبو خليل » أو « أبو الشكر » أو « الصدفجى » أو غير ذلك من الأسماء ، وأحياناً يختفى أبو نظارة من هذه المحاورات ويتركها على لسان آخر ، وكثيراً ماوجدنا « المستربول » يحاور مصرياً « كأبى الشكر » فى موضوعات شغلت معظم الخمسة عشر عدداً التى صدرت فى مصر .

ثم كان يقدم فى تلك الأعداد فصولاً تمثيلية فيها نقد لحياتنا الاجتماعية ، ونقد لحياتنا السياسية ، وإن كان فى عرض هذا النقد الأخير متحرجاً أشد التحرج ، حريصاً أشد الحرص على ألا يسيء للخديو أو بطانته أو حكومته ، ومن هذه الفصول (القرداتى — لعبة تياترية حصلت فى أيام الغز سنة ١٢٠٤)(٢) ومن أشخاص هذه « اللعبة التياترية » السنجق دبوس أغلو ، وسعد ، وبقلاوه أغا ، وشيخ الحارة

ويريد يعقوب أن يصور بهذه المحاورات مدى الظلم والعبث بحياة الأفراد

---

١ — يقصد مبصرا لهم بالأضرار.

٢ — العدد الرابع من المخطوط في يوم الأربعاء ١٤ ربيع الثاني ١٢٩٥ هـ ص ٢٢،٢٣،٢٤،٢٥



الخديو توفيق أو « توقيف » كما يسميه أبو نظارة . . . !

والجماعات فى عهد إسماعيل وإن أرجعها إلى تاريخ سابق قديم ، ويريد أن يعطى صورة عن الحكومة التى تسيطر على شئون الناس ، وهذه اللعبة التياترية التى ضربنا بها مثلا تصور فى منظرها الثانى ديوان السنجق دبوس أوغلو ، وفى حضرته الأشخاص الآخرون الذين أشرنا إليهم فى الفقرة السابقة : إن موضوع القضية يعنى أن « سعداً » هذا سرق حمار المعاون ليدفع الضريبة ، وأن المعاون نفسه هو الذى حضه على السرقة وإلا حبسه ، وهو يقصد من ذلك تصوير الحياة المصرية بما فيها من مفاسد : مفاسد أدوات الحكومة التى تطالب بالضريبة ولو عن طريق السرقة وهو — حتى ذلك الحديث — لم يهاجم رأس الحكومة بل هاجم أدواتها فقط ، ومن الحق علينا أن ننشر هنا الفصل الثانى كاملا حتى نعطى صورة طيبة لألوان هذه المحاورات « التياترية » وهى محاورات سيطرت على قلم يعقوب بن صنوع فى معظم صحفه ، وفيها يعبر عن طبعه الغالب على حياته ، حياة المفتن الذى بدأ ممثلا ، وكان يرجو أن يمضى فى مهنة التمثيل ، فأذا أعجزته الظروف

أجرى قلمه فى صحفه على طريقته التمثيلية التى تفرد بها ، وعز على آخرين أن يجاروه فيها

نحن فى ديوان السنجق دبوس أوغلو

قال السنجق — كولوا(١) أنتم ياشيك(٢) الحارة ، ماذا هصل فى كضية همار(٣) بقلاوه أغا . لكن كولوا كلاماً دوجرياً(٤) وإلا كطعتو رأسك

قال شيخ الحارة — ياسيد سناجق الدنيا - يا أمير المؤمنين - يا بطل - يا أسد - يا سيد الشجعان ...

قال سعد — ده السنجق ما يحبش الكلام ده - احكى له الحكاية بكلمتين والا خلى المعاون يحكى

قال السنجق — إهكى إنت يافرعون

قال سعد — أنا ما اسميش فرعون وحياتك . أنا إسمى سعد إنما من يوم ما حكمتو بلادنا أنتم يا غز ، السعد شافنا وهرب

قال السنجق — جلاد جال ياجلاد

قال سعد — الجلاد ده صنعته إيه

قال بقلاوه أغا — اكطعتوا رأس بتاع انت

قال سعد — حليمتلو وشفقتلو (يعنى حلمك وشفقتك) ياجندى خلينى أولا أحكى لك قصتى وبعد أأمر جلادتلو أفندى ينزع رأساتلو من كتافتلو (يعنى من كتفى)

(السنجق يضحك ضحكة رطل) !!

طيب ياقرادتجى إهكى كصه بتاع أنتم

(سعد يقول فى نفسه) — والله الرطان نفع ، الكلمتين التركى رطبوا خاطر السنجق

قال شيخ الحارة — يا الله يا سعد ياحبيبى - كلم سعادة السنجق

---

١ — أي قولوا

٢ — أى ياشيخ الحارة

٣ — يقصد ماذا حصل فى قضية حمار بقلاوة أغا

٤ — يقصد . قولوا كلاما دغريا والا قطعت رأسك

قال سـعد — بقى المعاون ده اللى قدامك ياسيدى ، ده ثقيلتلو قوى ورزالتلو موش زى سعد أفندى خفيفتلو ولطافتلو ، لاده بيراضام جاته أضامه ـ قال لى روح اسرق وهات الفردة والا يافلاح وحيات راس الأمير...(١) . مراده يقول أخبسك ـ بس هو مايعرفش عربى . فخرجت أنا محتار فى أمرى ، وأولادى الحمار والقرد والكلب بيبكوا ورايه وكان شىء يحزن قلب الكافر ياسنجق ، اسأل شيخ الحارة ، فرفعت عينى لأبى خيمة زرقاء ، وقلت له ـ يارب العباد يارحمن يارحيم اشفق على عبدك وخلصه من يد الظالم ده ، فضربت بعينى وشفت حمارى الصغير بيبوس فى حمار المعاون الحصاوى ، وماكانش لاجنبه لاسايس ولاخدام فركبته وبرطعت ياجندى على آخر سرعتلو وأولادى ورايا ، فقابلنا ابن الحلال ، وكلمه منه وكلمه منى بعت له الحمار بخمسة محابيب ، فرجعت على المعاون حالا وأنا فرحان وناولته واحد منهم وضربت الأربعة فى شدقى

قال السنجق — صحيح بوهكايه

قال شيخ الحارة — وحيات راسك صحيح ـ بعد ما خرج سعد جا سايس المعاون يجرى وأخبرنا أن الحمار انسرق فى غيابه ولما رجع سعد ، بدون ما نسأله أخبرنا بما حصل

قال سـعد — المعاون أمرنى بالسرقة فسرقت واعترفت بذنبى ومن قرّ بذنبه غفر الله له

قال السنجق — جلاد جال اكطع راس بقلاوه أغا

قال سـعد — واحشيها لوز وسكر

قال السنجق — وأنت ياسعد خلى عند أنت الأربعة محبوب ، وخد كمان عشرة من خزنة بتاع إحنا عليهم

قال شيخ الحارة — أدى الإنصاف والا بلاش ـ ربنا يطول عمرك ياأميرنا

---

١ ـ هنا لفظ يمنعنا الحياء من ذكره

قال سـعد — إيدك على دول ياسنجق لما ألطعها ، واجمعنا على العشرة محاييب
خلينا نروح نفتنظ الليلة ونشد ، وانت يابقلاوه أغا دودالأرض
رايح ياكل منك بقلاوه وبلوظه - وإخوانك المعاونين لما يسمعوا
بآخرتك يفتحوا أعينهم تمانتاشر ولا يظلموش العالم .

هذه صورة من محاورات (أبو نظارة زرقاء) تعطى فكرة عن الحياة العامة التى أراد أن يفضحها بطرقه الخاصة ، وتعطى أيضاً فكرة عن حياة المواطنين إذا



أسرة يعقوب بعد أربعين سنة من وفاته

١ — جان ميلهو زوج لولى صنوع .
٢ — سرج ميلهو صنوع بن لولى صنوع كريمة يعقوب .
٣ — حرم حلمى صنوع .
٤ — حلمى صنوع بن يعقوب .
٥ — جيمس ميلهو صنوع بن لولى صنوع .
٦ — السيده لولى صنوع .
٧ — جنفييف صنوع كريمة حلمى صنوع .
٨ — حماة لولى صنوع .

أصابهم التوفيق المادى ، وحسبنا شرحاً لذلك قول سعدحين تناول المحاييب العشرة من السنجق ، فقد راح (يفنتظ ويشد) أى راح إلى العبث الصارخ ومن بينه تناول الحشيش ، وهو علة المواطنين عمالاً وزراعاً من قديم الزمان .

ثم يمضى يعقوب بعد ذلك فى أعداده التالية حاملا على الفساد فى (حكم قراقوش — لعبة تياتريه حصلت فى قبلى فى أيام الغز سنة ١٢٠١ هـ) وأشخاصها « السنجق ظالم أوغلو وطرطور أغا القواص وأبو نفوسه شيخ البلد » وهو يبين لنا قسوة الضرائب المفروضة على الفلاحين ، حيث يطلب السنجق من أبى نفوسه شيخ البلد « العوايد والمال والفرده والإعانة والمكايله والصخرة »(١) فيرد أبو نفوسة قائلا « هو أنتو خليتو فى البير بكره والاسلبه ، والتوروحيات السنجق بعناه بربع الثمن — بجا أجيب من الهوا المحاييب للعوايد والمجابله والدواهى الحره دى كلها اللى خربتنا وجفلت ديارنا وفضحتنا على آخر الزمن »(٢) ثم يستمر الحوار على هذا الغرار عدة صفحات تروى مظالم العهد — عهد إسماعيل — وإن كان الكاتب أخفاها تحت حجاب التاريخ القديم.

وتتطور سياسة الصحيفة رويداً رويداً ، فقد كان يعقوب إلى نهاية العدد الخامس ينقد حاضره بنقد ماضيه ، ويحكى مايراه على لسان أشخاص مضى على زمانهم أكثر من أربعة أجيال وكان يصب النقد على أدوات الحكومة من موظفيها الأتراك ، وخاصة أولئك الذين كانوا يقومون بتحصيل الضرائب ، ولم يسفر قط فى أعداد الصحيفة الأولى عن خصومته لإسماعيل ، ويناقض مارأيناه فى مخطوط الأعداد ماذكره عن نفسه فى رواية تاريخه فى مصر ، فقد قال « وفى العدد الرابع من صحيفتى أخذت أمدح التعليم الذى يبدد نوره ظلمات الجهل حيث يحرمه الطغاه على شعوبهم ليمعنوا فى استغلالهم — وفى الأعداد التالية أخذت أبين فضائل الحرية التى هى ينبوع السلام والسعادة والنجاح ، وأحارب التعصب الدينى بسلاح الإخاء ، وقد شجعنى نجاح صحيفتى المتزايد ، وقد بلغ توزيعها آلاف النسخ فى حين لم تكن أوسع الصحف انتشاراً توزع فى ذلك العهد أكثر من خمسمائة أو ستمائة نسخة ، فكشفت النقاب عن وجهى وهاجمت الخديو إسماعيل بشجاعة ، ذلك الحاكم الذى كان ينهب رعاياه

---

١ — يعنى السخرة .
٢ — العدد الخامس الصادر فى يوم الأربعاء ٢١ ربيع الثانى ١٢٩٥ هـ

بفرض الضرائب التى لا عداد لها ويقصم ظهورهم بالرسوم المجحفة . . . وبينت حينئذ للمصريين أن الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة هم أصدقاؤهم ، وأنهم يريدون أن يروهم سعداء ، وأن الدولة الغربية الوحيدة التى تطمع فى مصر هى بريطانيا العظمى التى منذ بداية هذا القرن تنظر إلى بلادنا لأن احتلالها يضمن طريق الهند » (١)

يذكر أبو نظارة أنه بدأ سياسته تلك منذ العدد الرابع من صحيفته (٢)، ومن يتصفح ذلك العدد يجد أنه قد بالغ فيما سجله عن تاريخه فى تلك الفترة ، فالعدد الرابع احتوى على محاورة بين (أبى خليل وأبى نظاره) واللعبة التياترية التى نشرنا طرفاً منها وهى الخاصة بسعد القرداتى ، ثم محاورة بين (الصدفجى وأبو نظارة) وليس فى هذا كله مدح للتعليم وإن كانت فيه إيماءات إلى ألوان الظلم الذى يغشى حياة المصريين ، ثم بالغ أبو نظارة فزعم أنه كان يوزع منها عدة آلاف بينما يذكر فى العدد السادس وهو يحاور (أبا خليل) أنه يطبع نحو ألفى عدد فقط قائلا رداً على سؤال أبى خليل عن حاله « ماشى زى الحلاوه . ينطبع منه ييجى ألفين نسخة كل نمره — دى الناس راغبه له قوى ولو أنه حاجه هلس »

ولم تكن أبو نظارة زرقاء شيئاً « هلساً » كما يتواضع صاحبها فيذكر ذلك فى أكثر من موضع ، بل كانت شيئاً جديداً كل الجدة فى حياة المصريين وصحافتهم ، وكانت لساناً يعبر عن عواطفهم ويقص مآسى العهد بطريقة قريبة التناول سريعة الهضم ، وقد أخذت رسالتها تتضح تماماً منذ عددها السادس حيث أعلن المحرر عن ضيق الأمراء بصحيفته ولا أقول الخديو اسماعيل ، وإن كانت المعانى التى نشرها تحمل فى طياتها السخرية به ، إستمع إلى المحاورة بين (أبو خليل وأبو نظارة) عن مقام المجلة وخطرها وماتركته فى نفوس البعض ، قال أبو خليل : « هلس إيه ياسيدى ، ده عين الجد ، والحكومة لازم تكون مبسوطه منه ، بيورى للأهالى الظلم اللى كان حاصل فى أيام الغز والعدل والإنصاف اللى حاصل فى عصر ملك مصرنا الحليم

---

١ — نقلا عن تاريخه الذي كتبه بخط يده وتحتفظ به ابنته في باريس

٢ — ذكر أبو نظارة ذلك فى العدد ٢٤ من أبو نظارة زرقا فى السنة الثالثة ص ٣ نمر ١ أنه طبع أل ١٥ عددا التى نشرها فى مصر على شكل كتاب بعث منه الى القاهرة بخمس عشرة ألف نسخة ولكن توفيق صادرها ولم نعثر على أية نسخة منه فى أى مكتبة عامة فى أوروبا أوفى واشنطن أو فى نيويورك .

الشفوق اللى بيحب الرعايا كأولاده العزاز كما ترى » فيرد أبو نظارة بقوله « إنما بعض الأمراء ماهمش فاهمين الأمر ده — ربنا يظهر الحق »

ومنذ طلع العدد السادس على قرائه ، والصحيفة تعبر تعبيراً سليماً عن الساخطين البرمين بالحكم وأساليبه ، الناعين على الإنجليز تصرفاتهم وتدخلهم فى شئون البلاد تدخلا يسىء إلى كرامتها وحريتها وعدالتها واستقلالها ، وهو حين يتحدث عن الظلم والظلمة فكأنه يرسم صورة ممتعة للخديو إسماعيل وحكومته ، ومع ذلك يبعد المظنة عنه بقوله فى آخر كل محاورة «يارب العالمين إحفظ لنا عزيز مصر لكونه يحب عبادك ويسعى فى سعدهم » (١)

ثم انظر كيف يسجل يعقوب بن صنوع ما كان يجرى به الهمس من أن إسماعيل إذا غضب على صاحب أو صديق دعاه إلى قصره وقدم إليه فنجاناً من القهوة مخلوطاً بالسم فيخر صريعاً عند عودته إلى بيته، ويعز على أسرته أن تعرف أسباب ذلك الموت المفاجىء

قال أبو الشكر — يامرحباً بك يابو نظاره

قال أبو العنين — تفضل أقعد ياعم وانجلى

قال خلاط — تريد تشرب إيه

قال أبو الشكر — أبو نظاره قتيل البيره

قال أبو العنين — لا الراجل يحب القهوة

قال أبو نظارة — لا يا خويا — القهوة ما أحبهاش لأنها مخطره فى الأيام دى واللى بيشرب منها فنجان بيبرم (٢)

وإذاً فقد بدأ أبو نظارة يتجاوز حدوده ، وهى الحدود التى ما كان لصحفى أن يتجاوزها وإلا تعرض للشر وعرض صحيفته للخطر ، والحديث فى مثل موضوع القهوة ، وهى من الشائعات التى تقرب من الحقائق فى عصر إسماعيل ، أمر خطير ، وخاصة إذا سجل فى صحيفة سيارة يأنس إليها العامة قبل الخاصة ؛ والشائعات حقائق عند الإنسان العادى إذا طبعت فى كتاب أو مقال ، لأن المطبوع له أثره فى النفوس فى كل زمان ومكان

---

١ — العدد السادس الصادر فى يوم الأحد ٢٥ ربيع ثانى ١٢٩٥ هـ

٢ — العدد السابع الصادر فى يوم الخميس غاية ربيع الثانى ١٢٩٥ هـ

لم يكن خطر مجلة (أبو نظارة زرقاء) كامناً فى فكاهاتها ومحاوراتها والجديد الذى احتوت عليه أو الغريب الذى لم تشهده صحافة مصر والشرق العربى، بل كان خطرها فى أسلوبها، ولا أعنى الأسلوب العامى وإن كان هو الأسلوب الغالب على صفحاتها جميعاً، بل أسلوبها الذى تضمن عدة لغات ولهجات، فأنت تقرأ فيها لغة عربية سليمة أو عامية لطيفة، كما تقرأ لغة تركية فى بعض ألفاظ وجمل يعرفها المعاصرون وتقرأ أحياناً اللهجة الشآمية وحوارها الممتع، كما تجد أحياناً أخرى عبارات فرنجية تعبر عن مقتضى الحال تعبيراً صادقاً؛ فهى من حيث وسائل التأثير متعددة الجوانب فى تلك اللغات واللهجات التى يستطيع أن يقرأها المصريون والعرب والترك، هذا إلى أن المحرر تمكن من عرض النكته أو الملاحظة وجعل فى خدمته العبارة العامية أو العربية أو الشآمية، إلى آخر ما كان يقدمه لنا من نكات مأثورة عن الفرنجة أو العرب.

ومجمل القول إن يعقوب بن صنوع قد بدأ ينزل إلى ميدان السياسة سافرا بعد عدة أعداد من مجلته، ولم يتورع عن مهاجمة الموظفين الفرنجة والأتراك، بل لم يتورع عن مهاجمة الوزراء والأمراء والخديو بأسلوب ساخر فيه التواء، فرأيناه يحدثنا فى عنف وشدة عن قضية كاستلى «اللى لولا هو من تحت وربما من فوق ما كنت فلحت فى جريدتى» وكاستلى هذا — كما يحدثنا تاريخ الصحافة المصرية — صحفى أجنبى صاحب مطبعة كانت فى خدمة أكثر من جريدة ومجلة، ولقى فى عهد إسماعيل شيئاً من الاضطهاد الملحوظ، مع أنه يكاد يكون مواطناً مصرياً إذ أمضى فى مصر نحو خمسين عاماً فى هذا الميدان، وفى هذه الفقرة التى جاء فيها ذكر كاستلى حمل أبو نظارة حملة شعواء على الحكومة بمناسبة النظر فى الدين ومشاكله وموقف «الديانة» من حاجات البلاد (١) حتى قيل إن الصحيفة قد «أمر بقفلها» كما سجل المحرر ذلك عقب الاشاعة التى انطلقت بهذا فى كل مكان (٢)

وقد مضى يعقوب فى نقد الحياة السياسية وخاصة فى محاوراته المختلفة، ولم يتعرض فى أعداد الصحيفة للخديو إلا بالثناء فى غير موجب للثناء! كأنه يسخر به ولى

---

(١) العدد السابع الصادر يوم الخميس غاية ربيع الثانى ١٢٩٥ هـ.

(٢) العدد الثامن الصادر فى يوم الأحد ٣ جماد أول ١٢٩٥ هـ.

النعم، لأنه كان يتعمد ذكره بالدعاء والتكريم فى مواقف لا يمكن أن تصلح لتكريمه أو الدعاء له ! غير أنه بدأ يهاجمه تحت اسم محجب هو «شيخ الحارة» يمثل فى شخصيته الظلم والجور، ويقول فيه على لسان (الحدق) كلاماً يدعو للثورة عليه «وساكتين عليه ليه. اشتكوه وقدموا فيه عرضحالات لشيخ التمن اللى هو أكبر منه ويقدر يعزله» (١) وشيخ (التمن) هنا هو الخليفة كما حدثتنا صحف يعقوب حين تحررت من الخوف والفزع وصدرت فى باريس من غير رقيب.

وهكذا وضحت سياسة (أبو نظارة زرقاء) عند الحكومة المصرية، فقد أصبح الأشخاص فيها — وإن كانت أسماؤهم محجبة — واضحة للمسئولين، فشيخ الحارة هو الخديو، وأبو الغلب هو الفلاح المصرى، وكريم حليم، يقصد بها الأمير حليم عم الخديو والسيد الحبيب القريب إلى قلب يعقوب وسائر المصريين، وهكذا أطلق الأسماء والألقاب التى تخفى تحتها كثيرا من المعانى المفزعة لحكومة مطلقة السلطان فضلا عن تعرض الكاتب للسياسة الانجليزية فى مصر تعرضاً جعل العلاقات المصرية الانجليزية فى خطر، وجاء العدد الأخير ينبىء عن موقف الصحيفة وصاحبها نقد أحس أبو نظارة بقسوة الحكومة واضطهادها له، حتى إنه سجل هذا المعنى فى رده على (أبو خليل) حين سأله عن صحة ما أشيع عن سفره للخارج فقال له «أعمل إيه هنا. بس أسمع كلام بارد يغم القلب أدينى ضحكت إخوانى بخمستا شر نمرة وعشمى أنهم ماينسونيش لكونى محب لهم وأفديهم بالروح»

وهكذا عبر يعقوب بن صنوع عن واقع حاله فى تلك الكلمات القصار التى ذكرها فى العدد الخامس عشر، وهى كلمات فيها من الصدق الشىء الكثير، فقد كانت مجلته صوتاً رقيقاً حينا وصوتاً مدوياً حيناً آخر، كانت صوتاً رقيقا بما احتوت عليه من نكات وفكاهات وصور باسمه وأزجال لطيفة وبيان للحياة الاجتماعية بمباهجها ومفاتنها، وكانت صوتاً مدوياً بما اشتملت عليه من رواية الحقائق السياسية المرة وعرض لمساوىء الحكم ومظالم الأمراء والموظفين، وتبصير للمواطنين بحقوقهم، وتشجيعهم على الجأر بالشكوى إن لم يستطيعوا الثورة على الظالمين . . .

---

(١) العدد العاشر الصادر فى يوم الخميس ٧ جمادى أول ١٢٩٥ هـ

اغلاق الصحيفة ونفي صنوع

لم ترض حكومة إسماعيل عن المعانى التى تميزت بها أعداد صحيفة يعقوب الأخيرة ، وهى الأعداد التى سفر فيها وأعلن رأيه بوضوح وجلاء ، وهو رأى جزع له الخديو وبطانته ، وخافه المسئولون فى حكومته ، فقرروا إغلاق الصحيفة والتخلص من صاحبها بنفيه خارج البلاد .

ولكن . . . كيف صرعت أبو نظارة ؟ وكيف نفى الكاتب الكبير ؟

لهذه الواقعة أكثر من وجه ، فالذى يقصه علينا التاريخ ، يبين أن يعقوب بن صنوع كان محتميا بقنصلية إيطاليا ، وهو من تلاميذ المدرسة الإيطالية حيث تلقى فى بعثته إليها دروسه الأولى فى الفنون والموسيقى ، وكان محتميا بتلك القنصلية ليستطيع إصدار صحيفته والتنفيس عن لواعج نفسه بما يكتب فيها من مقالات ومحاورات دون أن تعصف به سلطة من السلطات المصرية كما عصفت من قبل ومن بعد بكثير من أعلام الصحافة الأحرار الذين أبوا أن يحتموا بقنصلية من القنصليات ، ولم يكن أبو نظارة وحده الذى طرق باب هذه الحماية بل طرق هذا الباب غيره من زملائه الوطنيين ، ومن بينهم جماعة من المتطرفين ، احتموا بقنصليات فرنسا وإيطاليا وروسيا وانجلترا (١) وغيرها ، يستوى فى ذلك المصريون أو المتمصرون من أبناء الشآم الذين وفدوا على البلاد واتخذوا من الصحافة حرفة لهم وصناعة .

وقد قيل إن الخديو تدخل عند قنصل إيطاليا وانتزع منه الموافقة على إغلاق الصحيفة وطرد صاحبها من مصر (٢) ويقول بول دو بنيير P. De Baignieres ومن جرى فى فلكه من الكتاب الفرنجة الذين كتبوا عن المترجم له ، إن (أبو نظارة) نصح له أصدقاؤه القريبون من السلطان بالسفر من مصر ، كما نصحوه بأن يحترس من تناول القهوة الخديوية ! فأجاب محذريه قائلا بكل هدوء « لو انتظرت حتى أتذوق

---

١ ــ تطور الصحافة المصرية للمؤلف ــ الطبعة الثالثة ــ الفصل الخاص بالصحافة المصرية فى الخارج وكتاب الأهرام للمؤلف وفيه بيان عن احتماء آل تقلا بالقنصليتين الفرنسية والروسية

٢ ــ أعلام الصحافة العربية للمؤلف ــ الطبعة الثانية ــ الفصل الخاص بيعقوب بن صنوع

القهوة الخديوية لسبق السيف العزل . . . فيجب إذن أن أغادر البلاد(١) » وهذه رواية تخالف ماحكاه التاريخ وإن أشارت إلى الضيق الذى كان فيه كاتبنا، وبينت الخطر المحدق به ، وأوضحت أن لصحفينا أصدقاء كانوا حريصين على حياته يدخرونه لمستقبل الأيام .

وليعقوب فى تاريخه الذى كتبه بنفسه حديث آخر ، يصور اضطراب الحاكم والمحكوم ، اضطراب الحاكم من الرأى الحر والفكرة الجديدة ، واضطراب المحكوم من وسائل القضاء على ذلك الرأى وتلك الفكرة، فقد عمد إسماعيل إلى قتل خصومه بشتى الطرق ، وفى ذلك يحكى يعقوب شيئاً يشبه القصص فيقول « .... وكان أن لفت قنصل انجلترا نظر الخديو اسماعيل رحمه الله إلى تلك المقالات المشبعة بروح الود نحو فرنسا والتى تنبض بكراهية بريطانيا ، وأقنعه بالتخلص منى بأية طريقة من الطرق وامتثل اسماعيل لنصح ممثل انجلترا الخائنة »

ثم يبين المترجم له كيف امتثل اسماعيل لهذا الممثل الدبلوماسى، وأنه كان امتثالا على طريقة الخديو التى اتبعها فى التخلص من خصومه ! فقد كان النصح يتجاوب مع شعور الأمير ويتلاءم مع طبيعته ، أما الطريقة فقد اختص بها اسماعيل بين أقرانه ، ويذكر أبو نظارة وسيلة الخديو وطريقته بقوله « وبينما كنت أتنزه فى شبرا مساء أحد أيام مايو سنة ١٨٧٨ خارج مدينة القاهرة بصحبة عجوز فرنسى إسمه الكابيتين جيرار ، انقض علىّ أحد زبانية الخديو وطعننى بسكين . فسقطت على الأرض بينما جرى الكابيتين جيرار خلف الطاعن وهو ينادى رجال الشرطة ليقبضوا عليه ، بيد أن رجال الشرطة تركوه يهرب حسب التعليمات ، ولحسن الحظ أصاب السكين الجزء الفولاذى من حزامى ولم أصب إلا بخدش نزف منه الدم » .

ويؤكد يعقوب هذه الحقائق بقوله بعد ذلك « ولما فشلت تلك المحاولة تلتها أخرى ، فبينما كنت أقرع باب منزلى حوالى منتصف الليل دوّى صوت طلق نارى ومرت الرصاصة على بعد سنتمتر واحد من رأسى . إن الثقب الكبير الذى تركته فى الباب مازال موجوداً . وكان الجمهور حسب المعتقدات الشرقية ، يقول إنى أحمل حجاباً يحمينى من الأسلحة » وهكذا فشلت محاولة قتل المترجم له للمرة الثانية ،

---

(1) P. De Baignieres - L'Egypte Satirique — 1

ورأى اسماعيل أن يسلك طريقاً أخرى ، ويعالج الأمر علاجا يختلف عن الوسيلة الأولى قبل أن يأمر بألغاء صحيفة (أبو نظارة زرقاء) وهى الصحيفة التى سببت كما يقول يعقوب « عدة فتن فى الصعيد ضد مبعوثيه الذين كانوا يدفعون السكان قهراً إلى بيع مواشيهم وأراضيهم ليسددوا المبالغ المطالبين بدفعها ظلماً » فأرسل فى الليلة السابقة على إلغاء الصحيفة كبير أمنائه خيرى باشا ، وقد خف إلى ابن صنوع فى ساعة متأخرة من الليل متخفياً وكان يعقوب نائماً فأيقظوه للقاء رسول الأمير .

ويمضى يعقوب بن صنوع فى رواية تاريخه الذى سجله بنفسه فى أواخر القرن الماضى ، مبيناً لنا الطريقة الأخرى التى اتبعها إسماعيل للقضاء على الصحفى الكبير « وقال لى ضيفى الكريم : لقد جئت لأراك ياموليير — وكانوا ينادونى هكذا فى ذلك الوقت — وإن ذكرت لى أسماء الوزراء الذين أعطوك الأسرار التى نشرتها فى العدد الأخير من صحيفتك ، أعطك بيدى أربعة آلاف جنيه . أنت تعلم أنى خير صديق لك ، ولن يعرف أحد ماحدث بيننا ، ويستمر صدور صحيفتك ، أما إن تماديت فى عنادك ، فأن الخديو بواسطة بوليسه السرى الذكى سيجد المذنبين ، وانتقاماً منك فأن سموه سيقول إنك أنت الذى وشيت بهم فيذلك دون فائدة »

وساء يعقوباً هذا العرض الصغير من الرجل الخطير الذى له فى نفسه مكانة الاعتبار والتقدير « فقمت حينئذ دون أن أفوه بكلمة وأوصلت خيرى باشا إلى الباب وقلت له وأنا أودعه : قل لإسماعيل إن كان هو خائناً فأنا لست كذلك ، وإن كنوز العالم كلها لاتساوى ظل شرفى » ويروى أبو نظارة أن صديقه الحبيب إلى قلبه خيرى باشا تأثر أشد التأثر فدمعت عيناه وضمه إلى صدره ثم قبله وقال « الحمد لله سيد الكون الذى وضع فى طريقى رجلا شريفاً ومواطناً صالحاً مثلك . أرجو أن يحذو أبناء مصر حذوك فيجعلوا الطاغية الذى يظلمهم يرتجف أمامهم » ثم اختفى خيرى باشا فى سرعة ملحوظة دون أن يترك فرصة للمترجم له ليعبر عن الأثر الطيب الذى تركته كلمات الباشا فى نفسه .

وغضب إسماعيل غضباً شديداً لأنفة واحد من رعاياه ، فأمر بالقاء القبض على بائعى (أبو نظارة زرقاء) ثم أشيع فى العاصمة أن محرر الصحيفة وجد صريعاً فى سريره ... ويمضى أبو نظارة فى حكاية قصته قائلا « ويبدو لى أن الخديو أمر

خيرى باشا أن يحضر إلى مع أحد زبانيته ليقتلنى فى حالة رفضى خيانة من وثقوا بى . وأعتقد أن خيرى قال لسيده العظيم أنه وجدنى محاطاً بعدد من الأصدقاء . وقد اضطرب الشعب لخبر موتى ، وخشى إسماعيل العاقبة فأمر بظهورى فى المدينة لتهدئة الجماهير »

وكان للإشاعة التى أطلقت عن مقتل أبى نظارة فى سريره أثرها الخطير فى نفوس العامة والخاصة على السواء ، فقد كانت سمعة إسماعيل كقاتل وظالم وناهب تطبق الآفاق، وكانت كل اشاعة عنه تلقى من يصدقها بين الناس وإن كانت مكذوبة جملة وتفصيلا ، غير أن هذه السمعة أثارت حفيظة الكثيرين، وفى ذلك يقول يعقوب « وبعد ذلك ببضعة أيام طلب إلىّ عدد كبير من الضباط وهم من تلاميذى القدماء، أن أسير على رأسهم وأن أهاجم قصر عابدين لإنقاذ مصر من خديوها القاتل . فقلت لهم إنكم بذلك تخدمون انجلترا ولها قطعتان حربيتان فى زيارة ثغر الإسكندرية ولن تلبث أن تأمر جنودها بالنزول إلى البر . ويندر أن يترك الإنجليز البلد الذى يحتلونه ، بدعوة إعادة النظام إلى ربوعه »



يعقوب بالطربوش فى القسطنطينية

ويبين لنا أبو نظارة تفاصيل ما فعله الخديو اسماعيل لطرده من مصر ، والأسباب التى من أجلها لم يتمكن من قتله جهاراً وفى وضح النهار فيقول « ولما كنت فى حماية الماسونية التى كان يخشاها الخديو اسماعيل كثيراً، وفى رعاية جميع القناصل الأوروبيين(١) الذين كانوا يتلقون علىّ دروس اللغة العربية ، فإن مضطهدى — أى إسماعيل — لم

١ — الثابت تاريخياً أنه كان محتمياً بالقنصلية الإيطالية فقط

يكن فى استطاعته قتلى ، ولكن بوصفه خديو مصر كان فى مقدوره أن ينفينى. ذلك مافعله بعد أن أفقدنى ، بغضبه علىّ ، كل تلاميذى ، وقد ذهب إلى حد منعهم من دفع ما عليهم لى ؛ فلم يكن ينتظرنى فى وطنى بعد ذلك سوى الفقر ، أما فى الخارج فقد يبتسم لى القدر ثانية ؛ وهكذا يممت وجهى شطر المنفى »

إن يعقوب بن صنوع يروى قصة نفيه فى بساطة ووضوح ، ويميل بى الخاطر إلى تصديق كثير من تفاصيلها ، وإن كنت أعتقد أنه بالغ فيما بعد فى وصف وداعه وحزن الشعب له ، وأجمل مافى هذه القصة الدقائق التى سجلها صاحبها ، فهو لا يعرض فيها قصته مع الخديو وحده ، بل يمضى بنا إلى أشخاص آخرين ماكان يدور بخلدنا أن لهم به هذه الصلات الوثيقة ، فهو مثلا يتحدث عن الشيخ البكرى ونصيبه فى هذا الموضوع فيقول « وكان الشيخ البكرى ، وهو من السلالة النبوية ، يعطف علىّ عطفاً أبوياً . وقبل أن أغادر مسقط رأسى الذى شاهدت فيه سعادتى وتعاستى ، ذهبت لأقبل يد هذا القديس وأطلب بركته . فقال لى : كل إنسان طيره — أى قدره — مربوط إلى عنقه . عليك يابنى أن تسير فى الطريق الذى رسمه لك ولا تخف شيئاً . إن الله رب العدالة والخير الذى دافعت به عن المؤمنين ، معرضاً نفسك للقتل ، سوف يحمى خطواتك أينما ذهبت » ثم يعلق أبو نظارة على كلمات الشيخ الوقور بقوله « وقد بعثت كلماته الودية وتمنياته الصادقة جذوة الأمل فى نفسى ، ولم أكن أعتقد أن مدة إبعادى سوف تكون طويلة » .

ويحسن بنا ونحن نختم هذا الفصل عن سيرة يعقوب بن صنوع فى مصر أن نأذن له بكتابة سطوره الأخيرة دون أن نقتحم عليه تفكيره أو دون أن نعترض سبيله غير أن من واجب المؤرخ أن يذكر فى هذا الصدد رأيه فيما نسبه المترجم له إلى نفسه من مبالغات، وماتراه فى السطور التالية لا يخلو — فى رأيى — من المبالغة ، وإن كان فى مجمله يصور الحقائق الأصيلة فى هذا التاريخ .

قال أبو نظارة فى تاريخه الذى كتبه فى أواخر القرن الماضى ولم ينشر بعد « وهكذا غادرت القاهرة محبوبتى فى الثانى والعشرين من يونيه سنة ١٨٧٨ ، ولن أتكلم عن وداع والدتى العجوز المؤثر ، وكانت قد بلغت الثانية والسبعين من عمرها . وقالت لى قبلة أخرى أيها الإبن الحبيب . إنها بلا شك ستكون الأخيرة لأنى لن أراك بعد

اليوم ؛ وكان حديثها السوء الحظ صادقاً ، فقد توفيت فى سنة ١٨٨٥ ؛ ولكن بعد أن سعدت بنبأ زواجى وانتظارى مولوداً ؛ وقد قيل لى إنها باركتنى قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة » .

« ويقول من كتب قصة حياتى من الوطنيين أن أيام سفرى من القاهرة والأسكندرية كانت حدثاً وطنياً(١) فقد كانت الجماهير مضطربة على غير عادتها ، ولكن الذى أثر فى نفسى حتى اغرورقت عيناى بالدموع هو وصول القطار إلى المحطات التى تقع بين القاهرة والاسكندرية حيث كان يقف بين الخمس والعشر دقائق ، فكانت النساء تحضر الفاكهة ويرفعن أولادهن إلى نافذة العربة لكى أباركهم . وكان الفلاحون يصيحون « لا تسافر وتتركنا بين مخالب شيخ الحارة » وهو الإسم الذى أطلقته على الخديو اسماعيل . ولما بلغت الإسكندرية نزلت فى ضيافة صديق ألبير ماير الذى عرفته فى فينا . وقد أعادت إلى الأيام التى قضيتها عنده جأشى الذى كنت قد افتقدته بافتراقى عن أهلى وأصدقائى . وفى التاسع والعشرين من يونيه رجانى مواطنى المصريون أن أتوجه إلى تمثال محمد على الكبير الكائن فى ميدان القناصل لأتقبل وداع الشعب »

« إن ذلك المنظر المؤثر لن يمحوه كر الأيام . وأمام عيون جواسيس إسماعيل أخذ سكان المدينة من رجال وسيدات ، أغنياء وفقراء ، يمرون أمامى صامتين محيين متمنين لى السعادة بصوت خفيض وفى اليوم التالى حوالى الظهر ركبت السفينة « فريسينيه Freycinet » التى أقلعت بى إلى مارسيليا . لقد كان المشهد جليلا . وقد أراد الخديو أن يرانى بنفسه وأنا أغادر البلاد فمر راكباً عربته وقد أحاط به حراسه ، فى الوقت الذى نزلت فيه إلى الزورق الذى سينقلنى إلى السفينة . ولم تجرؤ الجماهير على الهتاف بـ « يسقط إسماعيل » لكثرة عدد رجال الشرطة ، فأخذت تصيح « ليحيي أبو نظارة » ، وتعالت النداءات بعد ذلك « نريد نبوءة منك أيها الشيخ » . وأعترف أننى احترت فيما يجب على أن أقوله . ولكننى شعرت كأن وحياً ألهمنى ووضع فى فمى تلك العبارة : سوف ينفى إسماعيل بعد سنة كما أنفى أنا اليوم »

« وقد شاءت المصادفات أن تتحقق نبوءتى حرفياً مما جعل الناس فى الشرق كله يلقبوننى بالولى ولكن لنعد ثانية إلى سفرى ؛ فقد هبت علينا عاصفة كادت تودى بسفينتنا ، غير أن الله لبى رجاء شعب مصر المظلوم بأن يحفظنى ، وبلغت مرسيليا

١ — لم أعثر على مواطن كتب شيئاً من هذا الذي يرويه أبو نظارة

سليماً صحيحاً ، غنياً بالآمال لا بالمال . إن سر نجاحى فى الماضى والحاضر هو ثقتى التى لا تتزعزع فى العناية الإلهية » .

هذا هو ختام سيرة يعقوب بن صنوع فى بلاده ، وهذه هى قصته منذ نشأ حتى نفى ، لم أر فيها مايستحق التعليق إلا ختامها المشحون بالمبالغة كما أشرت إلى ذلك فى أكثر من موضع ، وحسبنا هذا الجزء الأخير دليلا على صدق رأينا ، فقد زعم المترجم له أن الناس خرجوا لوداعه رجالا ونساء من جميع الطبقات ، وما أظن أن السيدات فى سنة ١٨٧٨ كان فى مقدورهن الخروج إلى الميادين والشوارع فى مظاهرة أوشبه مظاهرة ، وقد نسى تقاليد بلاده والحريم الثقيل الذى يفرض حجاباً غليظاً يحول بين لقاء الرجال والنساء ولو كان ذلك فى وداع صحفينا الكبير !! وقد أكد هذه المبالغة فى أكثر من موضع فى « رحلة أبى نظارة زرقا » .

ثم تبدو المبالغة واضحة إذا دققنا فى روايته عن وداع الناس له فى « ميدان القناصل » قبيل سفره بيوم أمام عيون اسماعيل من الجواسيس ، فقد ذكر أن الناس حيو بصوت خفيض خشية آذان أولئك العيون ، ثم ذكر لنا أن اليوم التالى كان حافلا فهتف الناس له بحضور اسماعيل ، وما أظن أن القوم الذين يخشون عيون الأمير لا يخشون الأمير نفسه !! وربما تخيل الرجل قدره ، وأنه كان جديراً بهذا الوداع سواء فى ميدان القناصل أو قبيل نزوله إلى السفين(١) . . .

وقد أيد وجهة نظرنا هذه بول دو بنيير فقال عنه إن موليير مصر خلق لنفسه دوراً لا يخلو منه الزهو والغرور ، ويبعث على الاعتقاد بأن صنوع هو وحده قائد الحركة وواضعها والمتنبىء بحوادثها ، وهذه كلها أقوال لا تخلو من المغالاة والمبالغة التى تكثر عند الكتاب والتى ينبغى ألا نعيرها كبير اهتمام ، وهى على أى حال تكثر عند الغربيين والشرقيين على السواء ؛ فقد رأينا اسكندر ديماس ينسب لنفسه قيام ثورة يوليو ولامارتين مقتنعاً كل الاقتناع بأنه قائد ثورة فبراير (٢) فليس هناك إذن مايدعو للوم صنوع على اعتقاده الساذج بأنه وحده صاحب الثورة المصرية ؛

١ — جاءذكر هذه المبالغات فى صحفه . راجع الاعداد ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ من رحلة أبونظارة زرقا الولى

٢ — من الثورات المشهورة التى قام بها الفرنسيون خلال القرن التاسع عشر ، ولا شك أنه كان لأدباء فرنسا ومفكريها أثر فى توجيه الرأى العام وتهيئته نفسياً للاحداث التى حدثت فيها منذ ١٨٣٠ الى ١٨٧٠ .

وكيف لا يساوره هذا الاعتقاد وقد أخذت صحف مالية كبرى وعلى رأسها جريدة (الإصلاح المالى) تشيد بمقالاته الوطنية الساخرة وتعلق عليها أهمية كبرى لم تكن تخطر له على بال » (١) .

هذا رأى بول‌دو بنيير ، وهو رأى وجيه جدير بالنظر والاعتبار ، لذلك وجب علينا ونحن نصور حياته من قلنـــه أن نؤكد هذا الرأى ، وإن كان هذا الرأى قد كتبه صاحبه ويعقوب فى باريس ، وعنـدى أن المترجم له ، معذور فى تخيلاته التى سجلنا طرفاً منها وهو يحكى عن سيرته مع الخديو إسماعيل ، معذور لأن القوم فى أوروبا(٢) اعتقدوا فيه اعتقاداً جاوز الحد ، وهو جدير بهذه الثقة وذلك الاعتقاد لأنه كان ممتازاً إذا تحدث أو كتب شعراً أو نثراً كما كان دارساً القضية المصرية دراسة عميقة أصيلة ، ويعقوب معذور إذا بالغ وهو يروى حكايته بعد أن لقى من المدح والثناء غايتهما . ومن أسباب المبالغة فى تصوير حياته أقوال الصحف عنه ، ومن بينها صحيفة « الإصلاح المالى » المذكورة فقد كتبت عنه قائلة « هل لنا أن نقدم إلى قرائنا ذلك الرجل الذى خدم بمفرده أصحاب رءوس الأموال المصرية أكثر من مراقبى الدين بالاشتراك مع أعضاء لجنة التحقيق وجميع صحفيي أوروبا »!! ثم تستطرد الجريدة فى روايتها الطريفة « وقد يبدو أن هذا القول فيه شىء من المغالاة غير أنه فى الواقع صادق كل الصدق ، فقد نشر صنوع جريدة « أبو نظارة » وأخذ ينبه المظلومين فى مصر إلى أن اسماعيل إنما يرهقهم بالضرائب لا ليرضى مطالب الأوروبيين وإنما ليزيد من ثروته... وقد أدرك الغرب كل ذلك وشعر الفلاحون بأن حقدهم للأوروبيين قد فتر ليزداد حيال الخديو ؛ وقد تحدث يعقوب صنوع إلى المصريين بذلك الأسلوب

---

١ ـ ص ١٦ P. De Baignieres : L'Egypte Satirique. Paris 1886

٢ ـ إن اعتقاد الأجانب فى ابن صنوع لم يقف عند أجانب أوروبا ، بل إن الأجانب المقيمين فى مصر اعتقدوا فيه نفس الاعتقاد ، وقد ذكرت لنا كريمته السيدة لولى صنوع أن والدها لقى من أحد موظفي القنصليات كل تقدير حتى إنه عاونه ـ حين استقر رأي الخديو على نفيه ـ بأن أعطاه صورة صديق له فى قنصلية باريس ، وعليها توصية بمعاونة يعقوب فى حياته الجديدة ، وقد سلمه الصورة وهى مهداة من موظف القنصلية فى باريس الى موظف قنصلية تلك البلاد فى القاهرة ليطمئن صاحب الصورة الى اهتمام زميله فى القاهرة بالمترجم له ، ولتكون الصورة دليلا على صلة صحفينا الوثيقة بموظف قنصلية القاهرة

التصويري المعروف عن الشرق فأيقظهم من سياستهم بعد أن كانت كواهلهم مثقلة بالضرائب ، وكان جزاء « أبو نظارة » على ذلك الطرد من مصر والانتقال إلى فرنسا لمواصلة جهوده في سبيل مصر.(١)

وإذن فهناك مبررات للزهو والغرور والمبالغة ، منها أقوال الصحيفة المذكورة وهي تقدمه للناس ، ولم تكن جريدة (الاصلاح المالى) وحدها التى خلقت هذه المبررات بل ساهمت معها أكثر من صحيفة وأكثر من كاتب وأديب ، فلا تثريب على أبى نظارة حين يبالغ ويتخيل الشعب فى وداعه نساء ورجالا ، يهتفون له بالرغم من وجود الخديو القاسى العنيف وعيونه من الجنود الغلاظ ، غير أن ذلك الزهو وتلك المبالغة لا يسقطان من اعتبار يعقوب بن صنوع ، فقد كان الرجل فعلا من رعيل الأحرار الأول الذين ذاقوا الأمرين فى سبيل حرية بلادهم ونصفة مواطنيهم ، وإن كثيراً من التفاصيل التى رواها فى تاريخه المخطوط ، لها أصولها فى مجلته المطبوعة فى مصر ، تجدها موزعة فى الأعداد الخمسة عشر النادرة التى لا يحتفظ بها إنسان ، والتى أسعدنى الطالع بالحصول عليها مكتوبة بخط يده ، وكان ذلك أمراً بعيد المنال .



صورة موظف القنصلية بباريس وقد استعملها موظف القنصلية فى القاهرة كبطاقة توصية حملها أبو نظارة إلى صاحبها فى عاصمة النور

ومهما يكن من أمر فنحن نختم فى هذه السطور سيرة يعقوب بن صنوع فى مصر وهى فترة قصيرة من نشاط الممثل الكبير والصحفى الخطير، عرضناها فى بسطة من الرواية اذ جمعنا فيها كل شاردة وواردة عن طفولته وصدر شبابه ، متحررين فيما رويناه من ضغط الظروف والملابسات .

١ — ص ١٧ Baignieres : L'Egypte Satirique

إلى منفى الأحرار

إلى باريس ...

حط أبو نظارة رحاله فى باريس عاصمة العالم المتحضر ، وعاصمة الأحرار المنفيين من الشرق والغرب ، وهى ملجأ أولئك الأحرار فى كل زمان ، وملاذهم إذا لفظهم حاكم مستبد أو كرهم شعب ثائر ، وهى لاتقبض صدرها ـ وأحياناً يدها ـ إذا لجأ إليها صاحب فكرة ، مهما يكن أمر هذه الفكرة ، فالحضارة الفرنسية لاتخاصم صاحب رأى رجعى فزع إليها ، أوصاحب رأى تقدمى ارتمى فى أحضانها ، هى مفتوحة الصدر لكل من يغذ السير إليها ، يجد عندها السلوى ويجد فيها أدوات الكفاح من أجل الرأى ميسرة ، ويجد عندها العمل فى أى ناحية من نواحى العمل ، ويجد عندها أهم من هذا كله ، يجد الحرية التى لاتعرف الحدود أو القيود ، فينطلق يعبر عن خوالج نفسه بالطريقة التى تعجبه وبالأسلوب الذى يرضاه ، يجد نفسه فى محيط ولد الناس فيه أحراراً ، ليس لأحد فضل على أحد ، فكل امرىء صاحب فضل ، له أن يعلن فضله بوسيلته الخاصة دون رقيب أو حسيب

وقد هاجر صاحب فضل إلى منفى الأحرار ...

هاجر يعقوب بن صنوع إلى فرنسا ، فلم يكن له متنفس إلا فيها ، فوصل الى باريس لايملك مالا ، فقد كان مايحمله من المال مائتى فرنك فقط ، وانما كانت نفسه تضطرب بشتى الأمانى والآمال ، كمواطن حر صمم على محاربة الظلم فى بلاده وإعلان سوءات حكومته ، ومكافحة الاستعمار الذى بدأ يطل على وادى النيل ، على طريقته الخاصة التى اتبعها أخيراً فى القاهرة ، وهى نشر صحيفة ، هى وصل ماانقطع ، يعبر فيها عن رأى الحزب الوطنى المصرى الذى بدأ يتكون وتبين معالمه لكل ذى عينين ، لايخاف أميراً أو طاغية أو جنداً أو قهوة مسممة أو نهراً استمتعت تماسيحه بأجسام كثير من الأحرار ! ...

ذهب « الولى » الى عاصمة النور فى صيف ١٨٧٨ طريداً من بلاده ، شهيداً من

شهداء الحرية فى عصر إسماعيل ، فقيراً لولا الحياء لكان التسول مهنته فى الشهور الأولى ، غير أنه قاوم الفقر ومذلة السؤال ، مع أنه كان يلقى نخبة من المصريين الأغنياء المقيمين فى باريس بعيداً عن وادى النيل ومايجرى فيه من أحداث ، وكان هؤلاء المواطنون يعطفون عليه ، ويدعونه إلى الغداء والعشاء براً به وعطفاً عليه ، وكان يصيبه من هذا العطف والبر حرج شديد ، حتى استطاع أن يحصل على عمل ، وهو عمل المعلم الذى يدرس لتلاميذه اللغة العربية ويحصل مقابل ذلك على قدر من المال يسد به رمقه ويعينه على تهيئة الجو المناسب لمعاودة الكفاح من أجل مصر (١)

لقد كسب يعقوب المعركة الأولى فى باريس بالعمل كمدرس، وبصحبة نخبة منتقاة من الشرقيين والمصريين ومن رجال الفكر الفرنسيين الذين أطلقوا عليه لقب « المنفى المصرى » وعاونوه معاونة صادقة ، ويبصرنا بأيامه الأولى بول دوبنيير فى كتابه «مصر الساخرة» . فيذكر أنه كان لشخصية المترجم له أثرها الفعال فى التمكين له من الحياة والنصر على متاعبها ، فهو كما يقول معاصروه، شاعر بكل ماتحتوى عليه هذه الكلمة من معان تتجاوز قرض الشعر وروايته ، فهو ماهر فى تصرفه مع الناس على اختلاف ألوانهم



الأميرة المصرية صديقة ابن صنوع

١ ــ نقلنا هذه البيانات من التاريخ الذى كتبه أبو نظارة عن نفسه باللغة الفرنسية وتحتفظ ابنته بالمخطوط الذى سجل هذه البيانات ، ومما يؤسف له أن الكاتب لم يمض فى هذا التاريخ إلى نهايته بل وقف فيه عند السنوات الأولى فى المنفى . وقد ذكرت لنا السيدة لولى صنوع أن هناك أميرة مصرية «ننشر نا صورتها فوق هذا الكلام» لاتذكر السيدة لولى إسمها ، حافظت على ودها لأبيها وأنها كانت تمضى معظم أشهر الصيف فى صحبته ، وقد حزن لوفاتها حزنا شديداً لأنها كانت من أشد أنصاره ، وكانت تمده بأخبار السياسة العليا فى مصر وتصله بالود والمعروف

ودرجاتهم ، قوى القلب والشكيمة حتى إن النفى لم يسقط اعتباره كما أن مرارة الغربة لم تقتل نوازع الخير فيـــه ، ولم يكن من طراز تلك النفوس الفارغة التى تلجئها المحنة إلى الانفراد والانطواء ، استناداً إلى خيبة أمل أصابتها أو جراح نفسية ألمت بها ، بل كان أبو نظارة على نقيض ذلك يطب لحياته بأسلوب تفرد به ، فكان يمتاز بروح مرحة تفيض سروراً إذا صادفتها مباهج الحياة ، ولا تشكو أو تئن إذا أصابتها صروف الدهر بسوء (١).

إن يعقوب بن صنوع يواجه فى باريس حياة جديدة عليه كل الجدة ، وكان يواجه تلك الحياة بما انطوت عليه من خير وشر بنفس الابتسامة الهادئة المنطبعة على محياه، لقد لقى حقاً ظروفاً قاسية فى وطنه الجديد من حيث النواحى المادية ، ولـكنه تغلب عليها بالجد والاجتهاد والنشاط منقطع النظير ، وهما من صفاته وخلائقه التى توائم طبعه المكافح العنيف ، لذلك لم تـكن حياته فى باريس أمر مذاقاً من حياة القاهرة أو أكثر شدة من حيث الخصوم والأعداء ، بل كان الأمر على النقيض ، فقد كانت حياة تنفس فيها حراً طليقاً بين صفوة من أحرار الفرنسيين .

وجد أبو نظارة وسائل العيش قريبة التناول على ضفتى السين كما كان يلقـاها ميسرة فى معظم أيام حياته على ضفتى النيـــل ، فقام بالتدريس لـكثير من الناس الدروس المختلفة الألوان التى كان يلقيها فى باريس كما كان يلقيها فى القاهرة ، بل إنه وسع نطاق تلك الدروس ، فأخذ يدرس حتى علوم الحساب والرسم والفلك ، وهى علوم كان يجهلها فى مصر ، ولم يفـكر قط فى تدريسها لمن كان يدرس لهم من الأمراء وغيرهم ، غير أنه فى عاصمة النور أكب هو نفسه على دراسة هذه المواد ليستعين بها على إعطاء الدروس فيها لمن يشاؤها من الناس ، ولم يكن عدد الدروس بالطبع كثيرة كما كانت الحال فى القاهرة ، ولم يجد بين تلاميذه أغنياء كأولاد الأمراء والباشوات ، ولـكن سوقه راجت تماماً فى تدريس اللغة العربية لمن يريد دراستها ، وكان يعتبر عمله هذا عملا وطنياً فيه شرف له حين يكتب التاريخ ، فأخذ يدرس مبادىء تلك اللغة إلى الضباط الذين يتهيأون للسفر إلى إفريقية ، وإلى أبناء التجار المزمعين الرحيل إلى السنغال حيث يحتاج المهاجرون إلى تلك الجهات إلى فهم اللغة العربية حتى تستقيم

---

(١) ص ٦ وما بعدها Paul De Baignieres. L'Egypte Satirique

لهم الحياة هناك ؛ كما أنه قام بتدريس اللغة الفرنسية لمن يريد تعلمها من أبناء العرب النازلين فى باريس ، وقد تخصص هذا المصرى فى هذه الناحية من النشاط ، وكان يعلن عن نفسه وعن تخصصه ذاك بكل وسيلة ، واحتفظت صحفه جميعاً فى سنواتها الأولى بأعلان مستمر الظهور فى كل عدد منها عن استعداده لإلقاء الدروس لمن يشاء

تلك كانت وسيلته لكسب العيش الحلال فى أيام المنفى الأولى ، فقد بدأ تاريخه فى باريس معلماً للغات ، واشتهر بذلك فى جميع الأوساط ، واستطاع بلباقته وقدرته فى اللغة الفرنسية وآدابها أن يوثق علاقاته بكثير من أهل الرأى ويؤكد أواصر الود مع نخبة من رجال السياسة مختلفى المذاهب والآراء ، ويقيم هذه الصلات القوية بين الخصوم والأضداد ، ويلقى منهم جميعاً الاحترام اللائق بمواطن حر غريب عن بلاده يسعى فى سبيل شرفها وكرامتها ، ويلتمس لهذا السعى كل وسيلة مشروعة يلجأ إليها الأحرار .

وقد يخرج يعقوب بن صنوع من حفلة عشاء عند روشفور Rochefort فيذهب مباشرة وبكل هدوء ودون أن يشعر بأى حرج إلى قصر الإليزيه (قصر رئيس الجمهوريه) لحضور حفلة رقص يقيمها الرئيس Grevy ؛ وكان المترجم له موضع إعجاب وتقدير المسيو دوفريسينيه Freycinet وخصمه المسيو كليمنصر Clémenceau على حد سواء ، (١) وكان من ناحيته مؤمناً بكليهما ، مخلصاً لشخصيهما دون مواربة أو رياء ، وإن صداقته لناكيه داعية الطلاق لم تمنعه من مصادقة جيل سيمون Jules Simon عدو الطلاق اللدود ؛ وكان صاحبنا معجباً بفيكتور هيجو إعجاباً لا تقف دونه الحدود أو السدود ، بيد أن هذا الإعجاب بالكاتب الكبير لم يحل بينه وبين إعجاب آخر لخصوم هيجو ومنافسيه من أمثال ريشوبان Richopin وكلوفيس هيج Clovis Hugues

وليس يعنى اتصال يعقوب بن صنوع بأقطاب الجمهوريين أنه خصم عنيف للملكية ، لقد كان نفسه من المؤمنين بفكرة الجمهورية وصلاحيتها لحكم الناس ، غير أن ذلك لا يمنعه من الولوج إلى الدوائر الملكية يتعرف على زعمائها ويود صحفييها ، لا يفرق بين أنصارها المتنابذين ، فهو صديق لدعاة أسرة (أورليان) كما أنه صديق لدعاة أسرة

١ — مما يذكر أن كريمة المترجم له ذكرت لنا أن والدها كان ايمانه بالاشتراكية عميقاً جداً وأنه كان صديقاً للنائب الاشتراكى كلوفس سليج منذ سنة ١٨٨٠ الى أخريات أيامه .

(بونابرت)، وكان جناحا الملكية المذكوران يرحبان (بالمنفى المصرى) ترحيباً ملحوظاً ويحسنان وفادته، ومما يؤكد ذلك أن جريدة الفيجارو كانت تفرد مكاناً فى إدارتها لعرض رسوم (أبو نظارة) الرائعة ليشاهدها الفرنسيون ويتعرفوا عن طريقها رسالة الطريد الحر فى عاصمة النور ويقفوا على تطور الأزمة المصرية فى عالم السياسة الدولية

ومن الأدلة على تكريم الأوساط الملكية له ما كتبته عنه جريدة Le Gaulois حيث قالت «من ذا الذى يجهل أبانضارة، ذاك المصرى الذى لقبه الخديو اسماعيل بموليير اللغة العربية. إنه يعقوب بن صنوع الذى أسس جريدة شعبية عربية» ثم تستطرد الصحيفة قائلة «تراه أحياناً مهاجماً لاذعاً وهو دائماً خفيف الروح؛ لقد اضطر إلى مهاجرة القاهرة والمجىء إلى باريس للاستمرار فى المهمة التى ندب لها نفسه... إنه المعبر عن رأى الحزب الوطنى ... إنه أول من قال العبارة الآتية التى أخذت طريقها إلى الأمام وهى عبارة: مصر للمصريين ... »

ومما يذكر ليعقوب بن صنوع أنه كان داعية لمصر فى جميع الأوساط الفرنسية، وفى محافل أوروبا أيضاً، فقد كان ينتقل بين تلك الدوائر، جمهورية وملكية، يؤم مجتمعاتها ويحضر بحوثها ويلقى فيها محاضراته وما كتبه من الشعر الفرنسى، ويترجم لها الرسائل الأخيرة الواردة إليه من مصر، ويكتب فى صحفها المختلفة، وتنشر له تلك الصحف أحاديث طريفة يذكر فيها بلاده أحسن الذكر؛ إستمع إلى ما كتبه عنه المسيو جيهان سودان Jehan Soudan محرر جريدة «Henri» الرابع التى كانت تصدر فى باريس ثم اختفت (١)

يتحدث المحرر عن يعقوب بن صنوع فيقول «... لقد أبدى الجميع فى أوروبا رأيهم عن الأزمة المصرية من انجليز وفرنسيين وألمان وغيرهم، فمن غير المعقول أن أذهب فأطلب إلى أحد المصريين أن يبدى رأيه فى تلك المسألة.... بدهى أن آراءه فى مثل هذا الموضوع ستكون آراء معكوسة»

ثم يقول «إننى قابلت هذا الزميل الذى جاء من بلاد بعيدة، فياله من رجل شيطان!... إنه يرتجل الشعر الفرنسى ... وقد استقبلنى بعبارات ترحيب منمقة حسنة

---

١ ـ أصبح هذا الكاتب فيما بعد رئيساً لتحرير Courrier d'Egypte

الأسلوب لاتخلو من الدعابة ، فقدوجد من الطبعي — واسمى Soudan — أنى أردت معرفة شيء عن مسألة السودان » !

« أخذ أبو نظارة يقلب صفحات مجموعة صحيفته ، ويشرح مابها من صور وترجم لى بعض فقراتها . . . . إنها مجمــــوعة غريبة حقاً فهى تحاكى فى آن واحد جريدة La Lanterne de Rochefort وجريدة De Boquillon حيث تبدو الصــور الشرقية كأنها مقتبسة من أشعار النبي (أرميا) أو من أوصاف النبي (حزقيال)

« فسواء شعراً أو نثراً ، وسواء توسلاً أو رجاء ، فهو دائماً يشكو آلام الفلاح ويعرب عن آماله فى أن تسود السعادة والرخاء أرض مصر المباركة »

« لقد سألت أبا نظارة رأيه فى الأزمة الحالية قائلا : هل حقاً يستطيع المصريون أن يكونوا شعباً ؟ فقال لى مامعناه - يالكم من قوم عجب أيها الأوروبيون - إنكم ترسلون مندوبين أو ثلاثة من الظرفاء فينزلون القاهرة ولا يلبثون أن يرسلوا مذكرات عن مصر يصفونها حسب أهوائهم كأنها قطعة أوبريت .... وإذا قرأتم ما يكتبون صحتم قائلين : هذه هى مصر وأولئك هم المصريون ، إنها بلاد الرخاء ، يسكنها للأسف أناس كسالى متعصبون وجهلة ، أما أنا فأقول لك إن الشعب المصرى ليس كسولا بل هو على نقيض ذلك أنشط شعوب العالم طراً وأوفرها إنتاجاً ، ليس الشعب المصرى متعصباً بل هو على عكس ذلك أكثر شعوب العالم تسامحاً على شريطة ألا يُستفز أكثر من اللازم ، والتاريخ على ذلك شهيد ، وأخيراً أقول إن الشعب المصرى ليس على درجة الجهل التى تتخيلونها ، فالمدارس المدنية والدينية التى أسستها الحكومة ، ومدارس القاهرة الحربية وخاصه مدرسة أركان الحرب ليست بدائية كما يظن الباريسون الظرفاء » .

ولا يقف الداعية الكبير عند هذا الحد من الإشادة بوطنه فى أدق الظروف وأقسى المحن ، بل يمضى قائلا للمحرر « ألا فاعلموا أن الكتب المدرسية المستعملة فى مدارس مصر مترجمة حرفياً من أهم الكتب التى تدرس فى المدارس المماثلة فى باريس ولوتش وبرلين ، بل أكثر من ذلك فإن تراجم روائع الأدب الفرنسى منتشرة فى مصر كانتشار أصولها فى فرنسا ، وجميع تلاميذ القاهرة والإسكندرية يحفظون عن ظهر قلب حكايات لافونتين La Fontaine وحوادث Le Télémaque لفنلون

بل ذرف جميع الشبان Fenelon و Le Lutrin لبوالو Boileau ، وتاريخ Duruy الدموع عندما قرءوا قصة الحب البائس لبول وفرجيني Paul et Virginie كما بكوا عندما قرءوا رواية البؤساء ، وأخيراً فأن قصة الفرسان الثلاثة ليس لها معجبون خيراً من الشبان المصريين ؛ وعندما أسست المسرح فى القاهرة جاءنى فى أسبوع واحد ثلاث تراجم لكى أمثلها على خشبته وهى تراجم : البخيل ، والمريض بالوهم ، وترتوف »

ويستطرد المحرر (سودان) متحدثاً عن آراء يعقوب بن صنوع فى بلاده التى يحن إليها دائماً ولم يخف قط هذا الحنين ، ذاكراً أن المترجم له يعتقد أنه « لا ينقص الشعب المصرى سوى زعيم جدير به ، وهذا الزعيم - فى رأى يعقوب - هو الأمير حليم أصغر أبناء محمد على رأس الأسرة العلوية ، وقد وضعت مصر الفتاة فى شخصه



(البرنس حليم أمل المصريين فى عهدى إسماعيل وتوفيق)

كل آمالها وأمانيها ، وكان هذا الرأى أشبه بالعقيدة يبشر بها أبو نظارة منذ كان فى مصر إلى يوم تولى عباس الثانى وقضى حليم ، حتى إن صحف (أبو نظارة) المختلفة كانت تردد هذه الأمنية وتذكر دائماً أن ربنا كريم وحليم ، وحليم هنا هو الأمير حليم مناط يعقوب وأمل أصدقائه فى تغيير شامل يصيب الأريكة الخديوية ويرفع الظلم عن كواهل المصريين .

ولم يتردد أبو نظارة فى إشاعة فكرة تولية الأمير حليم لعرش مصر عند جميع الجهات ، يرددها ليسمعها الفرنسيون فى باريس والأوروبيون فى كل مكان نزله يعقوب كاتباً أو خطيباً ، ويروى لنا ذلك المسيو مارتان المحرر والرسام بصحيفة Illustration الجمهورية الكبرى ، فقد صرح له يعقوب بأنه لا يرى حلا للثورة القائمة فى مصر - أيام توفيق - سوى اعتلاء حليم لعرش البلاد ، مبيناً الأسباب الموجبة لذلك ، وهى أسباب عرضنا لها من قبل وسوف نعرض لها على شتى الوجوه .

انتزع الداعية الكبير والصحفى الموهوب ثقة وإعجاب أهل الرأى فى فرنسا فقد كان يعقوب جديراً بهذه الثقة قميناً بهذا الإعجاب ، فهو فنان يجيد الموسيقى وخاصة العزف على « الصفارة » كما كان ينظم الشعر ، والشعر الفرنسى خاصة ، وكانت له لفتات ذهن فى قرض هذا الشعر سجلها له « سودان » فى حديثه الذى ختمه بقوله « ولست أدرى إن كان مقدراً لصنوع أن يكسب القضية التى يدافع عنها أم لا . . . ولذلك فلست هنا بصدد مدحه أو قدحه . . . غير أننا لا نلتقى كثيراً برجل مثل « أبو نظارة » له طابع مستقل قائم بذاته ، وعزيمة لا تعرف الوهن أو الهزيمة » .

* * *

هذا رأى الفرنسيين فيه حين نزل بلادهم ولم يمض عليه إلا قليل من الزمن ، استطاع فى تلك الفترة القصيرة أن يقيم الدنيا ويقعدها ، ولم يقف نشاطه كداعية كريم عند العاصمة الفرنسية ، بل كانت له فى أقاليم فرنسا جولات ، بل كانت له فى بلدان أوروبا سيرة طيبة ، هى سيرة المصرى الحر الذى ندب نفسه للدفاع عن وطنه ومقدراته ، واستحق من الوطن — على الأقل — تكريم الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ، والمؤمنون هم المصريون الذين قلما يذكرون محن مواطنيهم ، ولا يستعيدون

أمجاد هؤلاء المواطنين الذين احترقوا على بعد المزار فى سبيل فكرة الحرية والاستقلال لبلادهم .

ومهما يكن من أمر فأن يعقوب بن صنوع لم يقف نشاطه على الصحافة والعمل فيها ، بل أستغل (أبو نظارة) مواهبه فى سبيل بلاده ، فقدكان رجلا واعياً دارساً فاهما لحياة الأمم والشعوب : كماكان واسع الأفق دقيق الملاحظة « شاعرا صادق الشاعرية » (١) فيه نواح « من الجمال الحق وصفحات سامية ذات قيمة وجديرة بأن تلفت النظر » (٢) هذه الصفات التى خلعها عليه معاصروه قد استغلها المترجم له فى السعى وراء مصالح بلاده فى حقول أخرى غير الصحافة ، فخطب وحاضر حتى هز الرأى العام الأوروبى ، ومن روائع محاضراته محاضرته عن مصر فى القرن التاسع عشر(٣) ومحاضرته عن الغزوة الإنجليزية لبلاده ، ومحاضرته عن المهدى وإخلاء السودان (٤) ، وقد ألقى تلك المحاضرات فى أقاليم فرنسا ودول أوروبا المختلفة .

وكما لقى يعقوب من صحافة باريس التمجيد والتأييد ،كذلك لقى مثلهما من صحف الدول التى زارها داعياً لبلاده فيها ، فقالت عنه جريدة (لاجازيت دوبوردو) بعد أن وصفت شكله ومتاعب عينيه « وقد أصدر صحفاً ساخرة كانت تطعن خصمه بمقالاتها اللاذعة ، وقد اشترك فى جميع الحملات التى شنت على الخديو السابق . . . وخلاصة القول فيه إنه قد أثار العجب بين جميع الذين استمعوا إليه لسعة إدراكه وشدة ذكائه »

ومضى الداعية المصرى من رحلته فى الأقاليم الفرنسية إلى زيارة البلدان الأوروبية فخف إلى أسبانيا وقابل ملكها وملكتها وأنشد فيهما القصائد ، وتحدث عن وطنه فى كل فرصة أتيحت له ، ثم اختلف إلى بلجيكا ، وهناك خطب وكتب ، وذكرته الصحف أحسن الذكر ، ثم انتقل إلى انجلترا ، وهى خصمه العتيد وعدو بلاده الأصيل

---

١ ـ ص ٩ P. De Baignieres — L'Egypte Satirique

٢ ـ المصدر السابق ص ١٠٦

٣ ـ المصدر السابق ص ٣٨

٤ ـ المصدر السابق ص ١٠٩

انتقل إليهاغازياً بمحاضراته وكتاباته ؛ وتكاد جميع الصحف الإنجليزية تحسن استقباله فتقول إحداها عن زيارته « نرى اليوم بيننا صاحب جريدة عربية ساخرة مصورة تناوىء الخديو السابق وسياسته ، وأبنه توفيق وضعفه . . . » وتتحدث عنه (ذاديلي نيوز) فتقول « إن أبا نظارة يثير الانتباه من نواح عدة ... » وتأخذ الصحف الأخرى فى تقديم بعض المختارات من إنتاج الصحفى المصرى الساخر ، وتنشر جريدة « ذا تروث » بعض صوره الكاريكاتورية وتعلق عليها تعليقاً طويلا ممتدحة الكاتب وما كتب ، معجبة بالمصور وما رسم .

وهكذا أخذ المترجم له فى زيارة دول أوروبا ، لم يترك دولة منها إلا أوزارها داعياً لبلاده ، ناقداً للسياسة الإنجليزية سواء فى مصر أو السودان ، حتى ألب الرأى العام الأوروبى عليها فى كثير من الظروف والمناسبات ، إذ بصر الساسة الذين لقيهم بمغبة التساهل مع الاحتلال الإنجليزى ، وبين لهم خطره على مصالح الدول الأخرى وما تركه من الأثر السىء فى نفوس المصريين والسودانيين

ولم يقف أبو نظارة زياراته على أوربا بل قام بزيارات لتركيا وبلاد شمال إفريقية وغيرها من البلدان التى استقبل فيها استقبال الغزاة الفاتحين، وحاضر فيها عن ماضى بلاده وحاضرها ، وكشف أثناءها ستر الإنجليز وما يصنعون فى وادى النيل وقد سجل هذه الزيارات المختلفة فى كتب خاصة كما نشر معظمها فى أعداد صحفه المختلفة، وقد أكد كثيراً من الصداقات مع أمراء تلك البلاد وملوكها ، ونال الحظوة لديهم فأمدوه بالمال وأنعموا عليه بالنياشين[1] ، وساهموا فى كثير من أعداد صحف أبى نظارة بالاشتراك طويل الأمد ، ورد هو الجميل بنشر صور أولئك السادة والتحدث عنهم فى عشرات الأعداد التى تضمنت سيرهم وأخبارهم ، مع كثير من المدح الذى ما كان يليق أن يسجله يعقوب وهو ثائر على الطغاة فى مصر ، والثائر على الطغاة لا يرحب بكل تافه وجليل من الطغاة فى البلاد الشرقية الأخرى .

لقد كانت فى صحفه الطرائف والغرائب ، كما كان فيها من روحه وفنه ما سما بها إلى مصاف الصحف الهزلية العالمية ، ولا تحسب عليها الهنات التى وضحت فى مدح

١ ـ راجع فصلا خاصا بأبى نظارة فى « أعلام الصحافة العربية » للمؤلف .

زيد أو عمرو ، فقد كان لصلات صاحبها ببعض الخاصة هنا وهناك أثرها فيما نأخذه عليها من هذه الهنات .

ولا تحسب على صحف أبي نظارة أخطاء الطبع التى كثرت فى بعض سنواتها كثرة ملحوظه ، أو هذا الخط الردىء الذى تقلب على كتابته بعض الشرقيين وفى مقدمتهم الشآميون المقيمون فى باريس ، وكان بينهم مجيدون فى هـذه الخطوط ، ظهرت جودة خطوطهم فى معظم صحفه ، ولعل أردأ الخطوط خط يعقوب نفسه .

ولا يحسب على تلك الصحف هذا الورق القبيح الذى استعمله المترجم له فى طبعها ، فقد كان ذلك الورق القبيح نادراً فى مئات الأعداد التى أصدرها ، وكان الورق الجميل غالباً على معظم نسخها ، ومن بينه ورق أبيض ناصع البياض ، أو ورق أسمر جيد طبعت عليه الصور ملونة تلويناً بديعاً ، ما كان يمكن أن تشرق عليه تلك الصور مالم يكن ورقاً جيد الصناعة والعجين .

كانت صحفاً فى الصدارة ، جديرة بهذه الصفحات التى نوجز فى التأريخ لها حين نعرضها صحيفة بعد أخرى ، ليرى الناس كيف أبدع ابن صنوع ، وخلق لوطنه إسماً طبق الخافقين ، ومضى فى ركب الحضارة يعلن عن بلاده ويترجم عن عواطفها ويحكى آلامها وآمالها فى صدق وأمانة ، وفى ثقة واطمئنان .

صحف ابن صنوع في باريس

أصدر يعقوب بن صنوع فى باريس أكثر من صحيفة .

أصدر الكاتب الأديب صحيفته الأولى ، وسماها «رحلة أبى نظارة زرقا الولى ...» على الصورة التى سنشرحها بعد قليل ثم أصدر بعد ذلك ، مجلة «أبو نظارة زرقا» وهى رجع الصدى لصحيفته الأولى التى أصدرها فى القاهرة .

ولأسباب سنعرض لها وشيكاً غير الأسم فجعله «النظارات المصرية» ثم «أبو صفارة» واضطر إلى تغييره مرة أخرى فأطلق على صحيفته اسم «الحاوى» ثم عاد إلى «أبو نظارة زرقا» وهكذا تعددت أسماء صحفه ، فأذا هى تتجاوز اثنى عشر إسماً ، قلما كانت واحدة منها تختلف فى الطابع والمزاج ، وإن اختلفت فى الشكل والأحجام ، واختلفت كذلك فى جودة الورق والطباعة ، غير أنها جميعاً — وبلا استثناء — أدت الرسالة التى أخذ صاحبها على نفسه أداءها ، رسالة الدفاع عن الشعب المصرى ، ثم الدفاع عن وحدة وادى النيل متمثلة فى مصره وسودانه ، والحملة المتصلة المستمرة الملحة على أسرة محمد على ، فيما خلا بعض الفترات التى سيجىء الحديث عنها ثم الهجوم العنيف الرائع على السياسة الإنجليزية عامة والاحتلال البريطانى لمصر خاصة

إن صاحب هذه الرسالة كان فى محنة ، فقد اضطر إلى الهجرة من بلاده حيث نشأ ودرج ، وحيث ساهم فى كل جديد عرفته مصر فى عهد إسماعيل ، بل حيث خلق هو الجديد متمثلا فى المسرح الذى أنشأه ، وفى الصحيفة التى أصدرها ، فأذا عاود نشاطه الصحفى ، فأنما يعاوده لأبناء وطنه ومن أجلهم ، ومع ذلك فقد لقى المحنة مرة أخرى ، إذ نشطت الحكومة المصرية لمصادرة صحفه كلما حملتها السفن إلى الوطن الذى ماخف قط تحنانه إليه ، نشطت الحكومة إلى ذلك فى عهد إسماعيل ، وزاد نشاطها إبان الاحتلال البريطانى لبلاده ، فاضطر إلى تغيير اسم صحيفته أكثر من مرة (١) حتى يوهم المصريين المسئولين أنها صحيفة لا تمت إلى يعقوب بن صنوع بصلة ، حتى إذا تنبهت

---

١ ـ أعلام الصحافة العربية للمؤلف ـ الطبعة الثانية ص ٥٢

الحكومة المصرية إلى الحقيقة اجتمع مجلس النظار وأصدر قراراً بمنعها من دخول القطر المصرى (١) وما أكثر ما كان المجلس يجتمع لهذا الغرض ! سواء اتصل الموضوع بأبى نظارة أو بغيره من الأحرار (٢) الذين يصدرون صحفاً فى الخارج ليبصروا مواطنيهم بما هم فيه من ذل واستعباد

وطال الأمر بيعقوب ، فقد أمضى نحو ثلاثين سنة يصدر صحفه ، وكانت تلك الصحف تصل إلى قرائها بالرغم من عيون الحكومة وأدواتها ، وفى هذا كتب المترجم له قصة بديعة ، فقد ذكر أنه وظف أول نقود ربحها فى باريس فى نشر صحيفته « أبو نظارة » وقد كان لبعثها رنة فرح فى قلوب المصريين ، إذ كان الناس يعتقدون أنها اختفت إلى ماشاء الله ؛ ولما كان مكتب البريد المصرى لا ينتظر إطلاقاً أن يرى صحيفة « أبو نظارة » تخرج من رمسها ، وخاصة أن الخديو اسماعيل ادعى أنه قبرها إلى غير رجعة ، فأن الأعداد الأولى لصحيفته دخلت جميع مدن وادى النيل وقراه الرئيسية دون أن يلحظ ذلك أحد من المسئولين ، وقد احتفى بها المواطنون احتفاء عظيما

ويذكر أبو نظارة أن أحد زعماء الحزب الوطنى من أصدقائه العديدين كتب له يصف ذلك بقوله « لا يمكن أن تتخيل الاستقبال الحماسى للأعداد الأولى من صحيفتك ، تلك الصحيفة التى اعتقد الجميع أنها ماتت ودفنت. لقد أحسنت صنعاً بجعلها صحيفة مصورة. وإن الرسوم الغريبة التى حليت صفحاتها بها حازت رضاء سكان المدن والريف على حد سواء ، إن غضب الخديو عظيم . وعليه فأن صحيفتك لا تتمكن من عبور مكاتب البريد الخديويه » (٣)

ويمضى يعقوب بن صنوع قاصاً علينا الظروف التى أحاطت بوصول صحيفته إلى مصر ، فيذكر أن صديقه القاهرى لم يكن يعلم سعة حيلته وقدرته على التوسل بشتى الطرق لإدخال صحفه إلى وطنه تحت نظر وسمع البوليس المصرى ، فيقول « ولما كانت الثمرة المحرمة موضع تهافت الجميع من بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، فأنه منذ أن نفيت فى سنة ١٨٧٨ إلى اليوم كانت صحيفتى تدخل سراً إلى مصر وتباع

---

١ ــ تطور الصحافة المصرية للمؤلف ــ الطبعة الثالثة ص ٢٥٣

٢ ــ تطور الصحافة المصرية للمؤلف ــ الطبعة الثالثة ص ٢٥٤

٣ ــ نقلا عن تاريخ المترجم له الذي كتبه بنفسه وتحتفظ ابنته بالمخطوط فى باريس

بالآلاف . وما أكثر الحيل التي توسلت بها لتهريب صحيفتي رغم أنف البريد المصري الإنجليزي » .

ويذكر لنا يعقوب كثيراً من الطرائف المتصلة بأرسال صحفه إلى مصر ، ويحكيها في أسلوب بسيط واضح يحسن أن نستمع إليه وحده في وصف هذه الطرائف دون تعليق ، فهي لاتحتاج إلى تعليق بما احتوت عليه من تفاصيل .

يقول أبو نظارة « كنت غالباً ما أضع صحفي في مجلات مصورة ، وفي كراسات الموسيقى ، وبين أوراق كتب من حجم الثمن ، وفي مجموعات للرسم . وقد وضعت في الجرائد التي نشرت صورة الخديو توفيق سنة ١٨٧٩ أكثر من ألف نسخة من صحيفتي ؛ ولم أكتف بأرسالها إلى المشتركين العديدين ولكن بعثت بها أيضاً إلى جميع أصدقائي ومعارفي وقد تلقى الخديو نفسه واحدة من تلك الصحف المصورة فوجد صحيفتي فيها ، وكان غضبه لهذه الجرأة شديداً وخاصة لما وجد أنني نشرت في صحيفتي الخطاب الذي أرسله إليّ يطلب فيه مني العودة إلى مصر ويعدني بأحدى الرتب ، وقد رفضت هذا العرض قائلا : إني أفضل أن أعيش في المنفى على أن أكون غنياً في خدمة طاغية » .



إنجليزي عاون
ابن صنوع في أداء رسالته بلندن

ثم يستطرد أبو نظارة في رواية هذه الطرائف فيقول « وفي سنة ١٨٨٥ تمكنت من إدخال أربعة آلاف نسخة من صحيفتي بوضعها في « مرتبة » سرير ووسادتين لسيدة فقيرة عائدة إلى مصر ، ولم يلحظ رجال الجمرك شيئا ، وقد شكرتني تلك السيدة الفقيرة على الجرائد التي تبرعت لها بها ، وقالت إنها ربحت من بيعها أكثر من خمسمائة فرنك »

« وقد قيل لي إن النسخ التي كانت تضبط بين الحين والآخر في الجمرك ، كان

الموظفون يقرأونها أولا ثم يعطونها لأصدقائهم ومعارفهم ، فأذا ما انتهى هؤلاء من قراءتها باعوها إلى الباعة (السرّيحة) بواقع خمسة فرنكات لـكل مائة نسخة ، وكان الباعة يوزعونها سراً بثمن مرتفع جداً » .

ويمضى المترجم له فى سرد هذه القصة الممتعة من ألوان الـكفاح التى زادت محنته حدة ،كفاح السعى وراء إرسال صحيفته إلى مواطنيه ، فيذكر أنه لما صفّى المسيو أوجستان ، وهو تاجر جرائد فى الاسكندرية ، أعماله وعاد إلى فرانسا ، علمت أنه قد ربح ثمانين ألف فرنك من بيع صحيفتى خلال السنوات الست أو السبع التى كان يراسلنى فيها ، بينما كنت أنا لا أحصل على تكاليف صحيفتى إلا بشق النفس، فعينت وطنياً بدلا منه ، كنت أرسل إليه بانتظام خمسمائة نسخة من كل عدد بواقع خمسة فرنكات للمائة نسخة،وبعد بضعة أشهر علمت ولله الحمد من بعض الخلصاء المنبثين فى كل الوزارات والمصالح أن سعادة أورفرى Orfry باشا محافظ الأسكندرية لما اتصل به أن مراسلى كان يستلم فى منزله خمسمائة نسخة من يد شخص مجهول ، نجح فى إغرائه بمنحه خمسمائة فرنك فى الشهر عن الصحف التى كانت تصل إليه منى ، والتى لم تـكن تكلفه مائة فرنك .

«وهكذا كان مراسلى يسلم المحافظ كل ما كنت أرسله إليه ، فما كان منى ، بدلا من أن أعاقبه بالامتنـاع عن مراسلته أن أصبحت أرسل إليه ضعف الـكمـية : خمسمائة نسخة يعطيها للمحافظ وخمسمائة ليبيعها ! وقد قبل مراسلى هذاالعرض، وظل المحافظ الذكى خمس سنوات يدفع للشيطان إعانة شهرية قدرها خمسمائة فرنك ؛ ولم تنقطع الإعانة إلا بعد وفاة المتمتع بها ، أما المحافظ فقد أصبح موضع سخرية الجميع ، لأننى قصصت هذه الحادثة المضحكة على كثير من الزملاء الصحفيين ، وقدنشروها معلقين عليها بما يثير الضحك »

إلى هنا وقف يعقوب بن صنوع فى كتابة تاريخه ، فعز علينا أن نتبين فى وضوح يشبه الوضوح الملحوظ فيما سرده من هذه التفاصيل ، مدى المتـاعب التى أحاطت بصحيفته فى مصر ، والظروف التى اكتنفته فى سبيل إدخالها إلى البلاد بعدذلك،على أننا نستطيع أن نتخيل أن هذه المتـاعب بقيت تلاحقه لأسبـاب أخرى غير ضغط الحـكومة وتحفزها لمصادرة صحفه المختلفة ، فأن مصر — على مر الزمن — تمتعت فى

أيام كرومر بشيء من الحرية الصحفية التى أباحت لكثيرين إصدار صحف مماثلة لصحف (أبو نظارة) وتتميز عليها بحالية الموضوع الذى تعالجه ، وقدأشار يعقوب إلى تلك الصحف الهزلية فى مجلاته (١) فضلا عن أن النهضة الصحفية المصرية فى عهد عباس الثانى صرفت قراء أبى نظارة عن صحيفته بالقدر الذى دفعتهم إلى الإقبال على الصحف المحلية المماثلة ، ويتضح ذلك من صحف يعقوب نفسها ، فقد انصرفت هى أيضاً عن علاج المشاكل المصرية بالطريقة القديمة أوعلى الأقل بالإلحاح المأثور عن صاحبها فى تخصيص كل صفحات مجلاته لشئون مصر وحدها ، فرأيناه يعالج مشاكل عربية وإفريقية أخرى ،كان بعضها يستغرق معظم صحفه المختلفة ، هذا إلى أن ارتقاء عباس الثانى أريكة الخديوية ، وإطلاق حرية الصحافة حسب السياسة الإنجليزية المرسومة التى استغلت الصحف لمهاجمة الخديو الشاب ، كانت هذه الظروف قمينة بأن تجعل وصول صحيفته إلى مصر ميسرة ودون مضايقة ، وخاصة أن أولى الأمر من الإنجليز لم يجدوا فيها عنفاً يجاوز ما اعتادوه من الصحف المصرية المحلية ،وهى أقدر على رواية الحقائق وأعنف فى علاج المسائل السياسية الشائكة

بقيت مسائل هامة فى تاريخ المتاعب التى صادفت يعقوب بن صنوع ، هى كيف استطاع أن يصدر صحفه وحده ؟ هل كان يساعده أحد فى كتابتها أو كان يكتبها جميعاً ؟ ومن أين كانت تجيء إليه الأخبار ؟ ومن ذا الذى قام بعمل الرسوم لها ؟ وفى ذلك تحكى الحقائق وتروى الأقاصيص والحكايات .

لقد كان يعقوب بن صنوع يلقى متاعب شاقة فى إصدار صحفه ، وهو يقص علينا بعض ذلك فى إحدى محاوراته على لسان (أبى خليل) بقوله « إن الطبع غالى قوى قوى فى باريز ، وأن الرسيم طماع وبيأخذ الشيء الفلانى والبوسطه وما أشبه . . . » (٢) وقد ردد الشكوى من غلاء الطباعة العربية وتكاليفها فى المنفى فى أكثر من موضع من صحفه الكثيرة ، الأمر الذى ترتب عليه اضطراب مواعيد الصدور ، ففترة تصدر مرة كل أسبوع وأخرى كل أسبوعين وأحيانا تصدر مرة فى الشهر ، وكان للحالة النفسية الخاصة بالمترجم له دخل كبير فى اهتمامه بمواعيد

---

١ ــ العدد التاسع من أبو نظارة ١٨٩٨ ص ٣

٢ ــ العدد الأول من (أبو نظاره زرقا) السنة الثالثه ص ٢ ، ٣

صدورها أو تقاعسه عن ذلك ، وقد وضح لنا هذا الأمر فى نفس (المحاورة) حيث ينذر أبناء وطنه بأهمال إصدار صحيفته إذا لم يجد صدى لما يكتب فيقول مهدداً إنه سيكتب « ثلاثين نمرة تانيه إنما إذا من هنا لهناك ماحصلش المراد والله وحياة أستاذى أبو نظارة معظمه ما أقرأ لهم السلام ، ولا يبقى علىّ ملام ، وبشرط أنهم يسمعوا النصيحة وما يتنبلوش ويتبعوا المثل اللى قال اسعى ياعبدى وأنا أسعى معك وإن رقدت ما أنفعك . . . » مع أنه يعلم فى سنة ١٨٧٩ أن كثيرين من أحرار الشبان فكروا أكثر من مرة فى إصدار صحيفة مماثلة فى القاهرة كلما تأخر عدد من أعداد مجلته (١).

أما عن تحرير صحفه فلا شك أن القسط الأكبر مما كتب فيها كان من قلمه اللاذع الساخر ، وخاصة محاوراته وألعابه التياترية ، كما أنه وحده صاحب الإيحاء بجميع ما نشر فيها من صور ورسوم ، وهو وحده الذى علق على تلك الصور والرسوم ، غير أن ذلك لا يمنع من ذكر حقيقة هامة ، هى أنه كثيراً ما كتب أو أشار برسم بعد وصول خطاب من صاحب أو صديق من مصر ، متضمناً بيانات أو أفكاراً أو إيحاء بفكرة أو رأى ، ولاشك أيضاً فى أنه نشر أشياء كماهى وردت له من مصر أو أقاليمها المختلفة ومن بيئات وجماعات متباينة(٢)

وقد ذكر كثير من المؤرخين أن السيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده حررا طويلا فى صحف يعقوب بن صنوع ، سواء فى صحيفته التى أصدرها فى مصر أو فى صحفه المختلفة التى نشرها فى باريس ، ورتب هؤلاء المؤرخون على ذلك أن المترجم له لم يحتمل وحده تحرير صحيفته ، والواقع يكذب ذلك كله ، فقد راجعنا مجموعات تلك الصحف نسخة بعد أخرى ، فلم نجد مقالا واحداً للشيخ محمد عبده ، وحتى فى الفترة التى قضاها الأستاذ الإمام فى فرنسا منفياً من بلاده لم يخط حرفاً فى صحيفة كاتبنا الكبير ، فقد كان الشيخ منصرفاً إلى تحرير صحيفة (العروة الوثقى) التى كان يصدرها بمعاونة الأفغانى فى باريس سنة ١٨٨٤(٣) ولو نشر مقالا

---

١ ــ الأعداد ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ من أبى نظاره زرقا ــ السنة الثالثة .

٢ ــ العدد الثالث من أبى نظارة زرقا والعدد التاسع عشر من السنة الثالثة

٣ ــ تطور الصحافة المصرية ص ٢٤٩ وما بعدها وأعلام الصحافة العربية ص ٦٨ وما بعدها

في أي صحيفة من صحف أبي نظارة لمهره وكان ذلك شرفاً لها ، فقد كان يعقوب مؤمناً بقدر الإمام مقراً بفضله وعلمه بالرغم من الخلافات التي دبت بينهما في ظروف لاداعي لذكرها هنا

أما السيد جمال الدين الأفغاني ، فله مع يعقوب بن صنوع تاريخ آخر ، ذكرنا طرفاً منه حين كان المترجم له في مصر ، يختلف إلى ندوة العالم الكبير مع من كان يختلف إليها من النخبة المنتقاة والصفوة المرتجاة، وهو الذي أوحى إليه بأنشاء صحيفته وشجعه على ذلك بنشر مقالين فيها جاء ذكرهما في إحدى المحاورات التي نشرتها (أبو نظاره زرقا)(١) وضمن خطاب وارد من مصر للمحرر جاء فيه أن تقريراً



الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده
محرر العروة الوثقى بباريس

وضع للخديو سجل ما يأتي « يا أفندم ففشنا بياع أبو نظارة ووجدنا في جيبه جواب له من خواجته وفيه خطين لجمال الدين الأفغاني فبعتنا ندهنا الفيلسوف وورينا الجواب فقال إن جيمس أعز أحبابه إنما حلف أن منذ سفره إلى باريس لا كتب له ولا ورد منه كتاب قط ، وهو لا ينكر أنه كتب مقالتين في النضارة القديمة...»

وإذن فجمال الدين لم يكتب في صحيفة يعقوب إلا مقالتين في عددين من الأعداد الخمسة عشر التي صدرت في مصر قبل نفيه ، غير أنه نزل باريس ووصله أبو نظارة بالود وخف إليه كما كان يخف إليه في القاهرة ، وقد تمكن من الحصول على تأييد السيد جمال الدين الأفغاني الأدبي، فكتب لصحيفته مقالا نشره في صدر أحد أعدادها بعنوان (الشرق والشرقيين)(٢) وتوسط الصفحة رسم كامل «للسيد جمال الدين الحسيني

١ ـ العدد الرابع عشر من أبي نظارة زرقا السنة الاولى ص ٤ النهر الثاني
٢ ـ العدد الثاني من أبي نظارة زرقا السنة السابعة

الأفغانى » وقد استغرق مقال الفيلسوف الشرقى العدد كله بصفحاته الأربع ، ويبدو أن العلاقات بين الصحفى والفيلسوف لم تكن صافية دائماً . وما أكثر ما توترت العلاقات بينهما وسجلت أبو نظارة زرقا التوتر فى أكثر من موضع(١) وإن سجلت أيضاً مدى الاحترام العميق الذى كان يكنه يعقوب لأستاذه وأستاذ الجيل جمال الدين الأفغانى(٢)

لقد حرر بعضهم مقالات وطرائف لأبى نظارة ، ووقعوا على ما كتبوا ، غير أن ذلك كان قليلا ونادراً جداً ، ونستطيع أن نجزم أن يعقوب بن صنوع قد كتب وحده صحفه زهاء ثلاثين عاماً أو يزيد ، لم يمل أو يكل ، ولم ينشر واحد من الكتاب أكثر من مقال فيما خلا صاحب مجلة النحلة التى كانت تصدر فى لندن فقد وافاها بأكثر من مقال وخاصة فى سنة ١٨٨٦ ، هذا إلى أن الكاتب حين ينشر من بريده المقالات القليلة النادرة لم يكن ينشر دائماً مايوافق رأيه أويتفق مع سياسته بل إنه سمح بنشر مقالة لاتجرى فى فلكه ولا تنسجم مع طابع صحفه (٣)

وقد اعتمد ابن صنوع على دراساته الخاصة ومعلوماته الواسعة فى موضوعات السياسة المصرية التى عالجها فى مجلاته العديدة ، كما اعتمد على الصحف المصرية الواردة من مصر ، وخاصة جريدتى مصر والأهرام فقد كانت تلك الصحف جداوله الأصيلة التى ينقل عنها أخباره وحوادثه ، وكانت تلك الأخبار والحوادث تمكنه من التعليقات الممتعة التى قرأناها له ، فضلا عن أن كثيرين من معاصريه والمعجبين به كانوا يبعثون إليه برسائل خاصة ، هذا إلى أن نخبة من أهل الرأى والفكر من رجالات البلد كانوا يخفون إلى باريس أثناء الصيف ، ويزودون المترجم له بمادة بديعة ظهر أثرها واضحا فى الأعداد التى كانت تصدر إبان الصيف

كان لصحف أبى نظارة رسام يقوم برسم الصور والأشكال ، وكان له مساعد يكتب صحيفته التى تطبع على الحجر (٤) ولاشك أن هذا المساعد قد تغير وتبدل

---

١ ـ العدد الرابع والعشرون من أبي نظارة زرقا السنة الثالثة

٢ ـ العدد الثالث من أبي نظارة زرقا . السنة السابعة . النهر الأول من ص ٤ ملحق خاص بالعدد العاشر من أبونظارة سنة ١٨٨٧

٣ ـ العدد التاسع من أبونظارة ١٨٨٧ عدد ٩ ص ٠ نهرا

٤ ـ العدد الأول من أبوزمارة ص ١ نهر ٢

أكثر من مرة لأن خط الصحف كان متفاوتاً بين الرداءة والجودة ، وكان من أسوأ الخطوط التي شاهدناها فى صحف صنوع خطه نفسه ، فقد كان خطاً معقداً تتعذر قراءته أو تقرأ حروفه بعد جهد(١) ويشبهه فى التعقيد خط مساعده فى السنة الخامسة ومعظم السنة السادسة من أبى نظارة زرقاء

وهناك «عموميات» أخرى غلبت على صحفه كلها مهما تتعدد أحجامها أو أشكالها أو أسماؤها، فهى جميعاً تتميز بمحاورات واحدة وإن تغيرت عناوينها وموضوعاتها قليلا، كما أن هناك أسماء ساخرة أطلقها فى صحفه على رجال السياسة المصرية أو الإنجليزية، عسكريين أو مدنيين، فأبو ريضة هو رياض باشا «مملوك عباس جنتمكان»(٢) ونوبار «غوبار» وهكس هو «إخص أوعكس أوهلس» وكليفورد لويد هو «البلاص كليفورد» (٣) إلى آخر تلك الأسماء التى أجاد فى السخرية منها .

---

١ — العدد السادس من السنة السادسة من أبى نظارة زرقا

٢ — مقدمة الحاوي ص ٣

٣ — العدد الثانى عشر من السنة السابعة من أبي نظارة ص ٢ نمرة ٢ والعدد الثانى من السنة الثامنة ص ٢

رحلة أبي نظارة زرقا

هى صحيفة مستكملة نواحى الفن الصحفى وإن سماها « رحلة أبى نظارة زرقا الولى من مصر القاهرة . إلى باريز الفاخرة . بقلم جمس سانووا محرر جريدة أبى نظارة زرقه الباهية . والدة النظارات المصرية » صدر منها ثلاثون عدداً ، كل عدد فى أربع صفحات ، محلى بالرسوم الكاريكاتورية ، ونشر يعقوب العدد الأول منها فى ٧ أغسطس ١٨٧٨ أى بعد شهرين تقريباً من نفيه من مصر ، على أن تصدر مرة فى كل أسبوع ، وكان اشتراكها « خمسة وعشرين فرنك للثلاثين نمرة » ترسل للناشر فى باريس بمجرد وصول « أول نمرة » للمشترك أو تدفع لأى « بنك فرنساوى» أو يبعث المشترك ثمنها عن طريق شراء « ورقة حوالة من البوسطه أو عن يد حبيبه أبو نظاره بيضا فى اسكندرية » .

لقد جاءت هذه التفاصيل خلال المحاورة للتى نشرت فى العدد الأول « بين أبى خليل وأبى العينين وأبى الشكر على قهوة البورصة بالأزبكية فى اليوم السبت المبارك ٢٢ يونيه سنة ١٨٧٨ ، وجاء إلى أسفل ذلك الكلام حديث آخر أو إعلان ، لعله أول إعلان فى صحيفة « الرحلة » عن الخمسة عشر عدداً التى صدرت فى مصر وأنها تطبع على ورق جميل بمطبعة حجر بباريس (١) .

ويتضمن العدد الأول محاورة بين شيخ الحارة (أى الخديو اسماعيل) وأبى نظارة ، وأبى الغلب الفلاح ، تحت رسم يصور يعقوب بن صنوع بقبعته ونظارته وعصاه والخديو راكعاً والفلاح شامخ الأنف ، وقد جاء فى هذه المحاورة معانى شتى يحسن تسجيلها له فى هذه السطور .

شيخ الحارة — التوبة من دا النوبه اشفق يابو نظاره . على عمك شيخ الحاره .
جزيدتك ضربها قاسى أخاف منها على راسى . دى حطت فى
قلبى الرعبه . بأقوالها المخفية الصعبة . إذا رفعت عنى الجريدة .
أرجع لطرايق الحميده .

---

١ ــ لم نعثر على عدد مطبوع منها في أى مكتبة من المكاتب الاوروبية والامريكية التى زرناها

أبو نظـارة ــ أنت عمرك ماتتوب . ولو رجموك بالطوب . ده إنت أمرك عندالجميع معلوم . بقى كيف أشفق عليك يامشوم . والله ما ارحمك يامطعم الناس للسمك . ياخبيث يامسمـــوم الريق . ياقاتل الأمير الصديق .

* نمرة أول *

رحلة ابي نظارة زرقا الولي من مصر القاهرة * الى باريز الفاخرة * بقلم جمس سانووا محرر جريدة ابي نظارة زرقه الباهيه والدة النظارات المصريه * * * * * * *



شيخ الحارة ــ التوبه من دالنوبه اشفق يابونظارة * على عمك شيخ الحارة * جريدتك ضربها قاسي * اخاف منها على راسي * دي حطت في قلبي الرعبه * باقوالها المخفيه الصعبه * اذا رفعت عني الجريدة * ارجع لطرايقي الحميده *

ابو نظارة ــ انت عمرك ما تتوب * ولو رجموك بالطوب * ده انت امرك عند الجميع معلوم * بقي كيف اشفق عليك يامشوم * والله ما ارحمك يامطعم الناس للسمك * ياخبيث يامسموم الريق * ياقاتل الامير الصديق *

ابو الغلب الفلاح ــ ما تشفجيش يابونظارة * الشفجه في الغاير ده خسارة * ده جتلنا من الظلم والجور * ونازل علينا زي ما ينزل السراج عالتور * جبريلمه * ويعتقنا من ظلمه *

أول صحيفة أصدرها يعقوب فى باريس سنة ١٨٧٨

أبو الغلب الفلاح ــ ماتشفجش يابو نظاره . الشفجه فى الغاير ده خساره . ده جتلنا

من الظلم والجور ونازل علينا زى ماينزل السواج عالتور . جبر يلمه . ويعتقنا من ظلمه .

ثم تضمن هذا العدد أيضاً محاورة بين «أبى خليل وأبى العينين وأبى الشكر . . .» وقد استغرقت تلك المحاورة ثلاث صفحات من صفحات المجلة الأربع ، وتكاد تكون بقية أعداد « رحلة أبو نظارة زرقا » صورة من العدد الأول المذكور إلا بعض أعداد تميزت ببعض مقالات باللغة العربية كرسالة الشفعاوى (١) وغيرها ، وإن كانت مقالات نادرة لأسلوبها العالى الذى لا يتلاءم مع روح الصحيفة الساخرة ؛ هذا إلى أن الصفحة الأولى فى كل عدد تحتوى على صورة ترمز إلى معنى من المعانى التى تضطرب بها الحياة المصرية .

وليس فى رحلة أبى نظارة زرقا إعلانات ، يستعين بها يعقوب على أداء واجبه الصحفى ، بل إن كل الإعلانات ، اتصلت بالجريدة أو صاحبها معلم اللغات ، والإعلانات المتصلة بالصحيفة تتحدث عن اشتراكها أو تحريرها ، وقد عثرنا على إعلان طريف ندرجه هنا ، وهو يعطى فكرة عن الوسائل التى كان يحصل بها يعقوب بن صنوع على كثير من المواد الصالحة للنشر .

قالت رحلة أبى نظارة زرقا تحت عنوان (إعلان) « المرجو من حضرات المطلعين على صحيفتنا من إخواننا أهل القطر المصرى الكرام وأصحابنا من أهل سورية والعراق والجزاير والهند وتونس وساير البلاد العربية إن من يرغب نشر نبذة مفيدة أو نادرة لطيفة بأى معنى كانت فليرسلها إلينا إلى عنواننا المحرر بذيله فأننا نبادر بأدراجها فى الصحيفة ونتشكر فضل من يكرموا علينا بها وإن شاء ذكر اسمه أو أخفاه فله الخيار فى ذلك فأننا نصنع كمراده على شرط إظهار إرادته إما بكتم إسمه أو بأشهاره » (٢)

أما عن رسالة « الرحلة » من الناحية النفسية فتتميز بالتخصص فى الحملة على إسماعيل وأدوات حكمه ، وحض المواطنين على الثورة فى وضوح لا لبس فيه ، لم يخل عدد ، بل لم تخل صحفه من كشف خفايا حكم الخديو ، ماصنعه من قبل ومايصنعه

---

١ ـ العدد الرابع وما بعده من رحلة أبى نظارة زرقا

٢ ـ العدد السابع . الصفحة الرابعة من رحلة أبو نظاره زرقا

اليوم ، فهو يحدثنا عن إسماعيل فى زيارة المقابر « انت جاى متخفى مصفر اللون وناشف الريق . تطلب السماح من قتيلك الصديق . آهو المخنوق من قبره قام . ووراه المسمومين بكاس المدام . وبفنجان القهوة إياه . المعروف بضدماء الحياه . كل الأمرا دول قصفت عمرهم . ويتمت عيالهم وكشفت سترهم . . . » وبذلك يسجل يعقوب طرق تخلص الخديو من خصومه الأمراء والوزراء ، وهى متعددة الأشكال والألوان ، من خنق إلى سم مذاب فى خمر أو قهوة ، وهو يرتكب هذه الجرائم « حتى تموت معهم أعظم الأسرار » (١) وزاد المحرر قارئه إيضاحاً بنشر صورة بديعة تفسر ما كتبه وتؤكد ماذهب إليه .


نوبار باشا أو غوبار ! !

ثم يسخر الكاتب سخرية لاذعة من حال الخديو بعد أن تنازل عن أملاكه لسداد الديون ، يسخر فى زجل ممتع استغرق أكثر من نصف صفحة ، ننقل هنا بعض فقراته كعنوان لأزجاله التى تعبر عن حال صاحبها ، وقد جاء هذا الزجل فى « محاورة بين أبى خليل وأبى نظاره فى شانزيليزه » (٢) وفيه يقول : —

إيه دى العباره المتعوسه   صبحت دوايرى معكوسه
والحسره فىّ مغروسه   دى وقعتى وقعة خرفان
شُرمْ بُرُمْ حالى غلبان
ما اعرفش إيه من دا الطالع   مقصودهم أبقى خالع
واطلع كدا منفض والع   يامحلا لما اصبح عريان
شرم برم حالى غلبان
دول سلطوا المستر فلسن (٣)   إكمنه مجدع وملسن

١ — العدد الثانى . الصحيفة الأولى من رحلة أبى نظارة زرقا
٢ — العدد العاشر الصفحة الرابعة من رحلة أبى نظارة زرقا
٣ — يقصد المستر ريفرز ولسن وزير المالية فى الوزارة المختلطة فى عهد اسماعيل كما كان دو بلينيير الفرنسى وزير الأشغال فيها

لعن خاشى بركات ورسن   ماخلاليش فى الدارامات
شرم برم حالى غلبان
فجابولى عمى الشيخ نوبار   وعملوه رئيس الكبار
يحمرلى عينه زى النار   وأنا قاعد قصاده جربان
شرم برم حالى غلبان

لقد نقلت بعض فقرات الزجل غير مراع ترتيبه ، نظراً لأن الفقرات التى تجاوزت عن نشرها تضمنت ألفاظاً لايليق أن تنشر فى مطبوع ويحسن أن يخلو منها ويبعد عن إسفافها ، غير أن الزجل فى عمومه يؤرخ بطريقة خاصةللأزمة المالية التى اصطنعتها سياسة إسماعيل وحاشيته حتى انتهت بانهيار اقتصاديات البلاد ، وفى مقدمتها الشئون المالية الخاصة باسماعيل نفسه ، الأمر الذى ترتب عليه رهن ممتلكاته وكف يده عن شئون المال ، بل كف يده عن الشئون العامة جميعاً ، ونقل السلطة إلى مجلس النظار على النهج المعروف فى كتب التاريخ

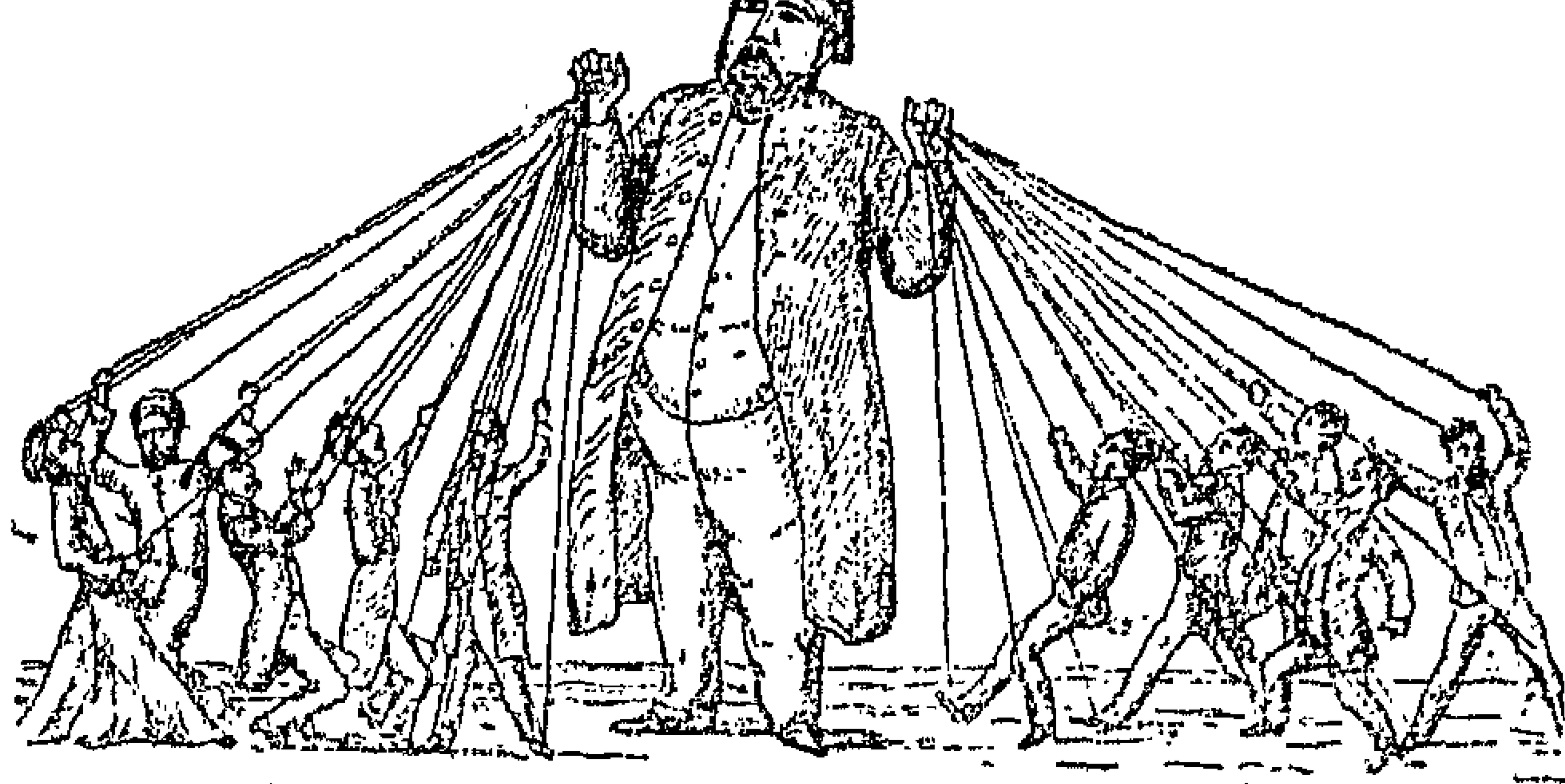
وقد شغلت الأزمة المالية تفكير يعقوب فى (رحلة أبى نظارة زرقا) فلا يكاد يمضى عدد دون ذكرلها ، وهو يحكى لنا فى (محاورة بين أبى خليل وأبى نظارة) عن تعيين المستر ولسن وزيراً ، وإن كان سماه « فلسن » من الإفلاس او يقص ظروف هذا التعيين فيقول « أبو نضارة — بق المستر فلسن لما قفش الجندى قفشة جد ودبدب له ورطن له باللسان وقاله قدام باريس وما أشبه وطلب منه كشف دفاتر وحسابات والدواهى السود إياها ، فالجندى قال فى نفسه ـ والجندى يعنى الخديو ـ أخلص من رسول جهنم ده إزاى ؟ نعمله ناظر مالية وأعطاه كم مفتاح إنما على حاصل فارغ ونفخه نفخه إنكليزيه وطبطب عليه وعزمه عنده إنما ما سقاهش الفنجان القهوة إياه لسّا ما جاش وقته »

ويبين يعقوب إشاعات الخديو التى أطلقها بأن الأجانب هم سبب الأزمة المالية وأنه برىء ، وأنهم أفقروه مع من أفقروهم من سائر المصريين ، ولكنه يكذب ادعاءاته على لسان أحد المواطنين ، وقد جاء ذلك كله تحت عنوان (محاورة بين شيخ الحارة والشيخ محمد والشيخ منصور والشيخ عبد الرحيم) (١) ننشر هنا طرفاً منها :

---

١ — العدد الثانى عشر من رحلة أبى نظارة زرقا ص ٢ ، ٣

النمرة الخامسة والعشرين من رحلة ابي نظاره زرقا المشتملة على ثلاثين نمره وقيمتها خمسة،
وعشرين فرنك ترسل سلفا لمنشيها الخواجا جمس سانوا لعنوانه ادناه *
Prof. James Sanua   45 rue d'Enghien Paris



اما الشطاره دي خساره في شيخ الحاره بيلعب الحاوي بالشلبي. والفرنساوي
وبينطنط النمساوي بيحط في الجراب كلام مجلس النواب وبيسعى في الخراب
وبيحمى الفلاحين على دفع اموال الطين والحال بينهبهم المساكين ابخص على الرذال. لو كانوا
رجال ماكانش يلعب الدجال *

كيف عبث إسماعيل بالمصريين والأجانب على السواء؟

شيخ الحارة — بق شوفوا يا إخوانى ، الإفرنج هلكوا بدنى وأخذوا ما وراى وما قدامى وخلونى على الحصيرة وخربوا البر ونهبوا الفلاح

شيخ منصور — لعنة الله عليهم (ثم يقول فى نفسه) ماحدش خرب البر غيرك

ثم يمضى الكاتب مبيناً أوزار إسماعيل التى ارتكبها حتى تأزمت الأمور المالية، وقد فصل ذلك فى عدد آخر تحت عنوان (لعبة تياترية حصلت فى مدينة زيراب من بلاد الغرب . وأسماء أشخاص اللعب . رشيد سلطان الكنوز . فانوس خزندار دولته. فرعون ملك مصر. فلسن ناظر مالية. أعظم بنكيريه وتجار القطر المصرى)(١)

ويتخيل الكاتب اجتماعا لمجلس النواب المصرى . ويسجله تحت عنوان (البارلمنتو المصرى) ثم يذكر فى محاورة حصلت « ما بين الشيخ عبدالعال أبو جموس عمدة ناحية بيت العجل والشيخ محمد بلاصى عمدة كوم الشقافة والشيخ عمر أبو عيش نايب كفر الجيعانين وفلتس أفندى هلس عمدة تل جريس من مجلس النواب وسعادة محاور باشا رشدى رئيس المجلس ومنافق بك وهمى باش كاتب »(٢) ولعل هذه المحاورة أمتع محاورات أبى نظارة فى رحلته ، فهى صورة بديعة لما كان ينبغى أن يكون عليه نواب ذلك العصر ، تخيلها الكاتب وأجراها على ألسنة المشايخ ، كما أنها تصور

١ — العدد الرابع عشر من رحلة أبى نظاره زرقا ص ٢
٢ — العدد الخامس والعشرون « « « ص ٢، ٣

الظلم الفادح فى فرض الضرائب ، والسياسة السيئة التى اتبعها وزير المالية الإنجليزى، ننقل جزءاً منها ، ومن أراد مزيداً فى تفاصيلها فليرجع إلى المجلة نفسها

الرئيس — (يوجه نظره إلى الأعضاء وينف ويبزق ويقول) سعادة ناظر المالية أرسل لنا إفادة رسمية باللغة الإنكليزية لأجل الضرائب الميرية لسداد الديون المصرية وتحصيل الأموال المتأخرة لغاية ثمانية وسبعين إفرنجية ودفع المتأخر من الماهية والذى يتأخر عن السدادبالطريقهالحبية يعامل بالقوةالجبريةوتباع أطيانهوموجوداته بمعرفة المديرية وأفندينا قر على هذه القضية فكلا منكم يبدى رأيه بالحرية للمداولة ولا تخافوا من شىء بالكلية

أبو جموس — إن كانت المادة نفاق فاحنا نقر بالوفاق وإن كانت حرية نبدى أفكارنا القلبية

الرئيس — شوف ياشيخ عبد العال أنا لا أعرف النفاق ولاالمحال وأنا أحب الحريهفتكلم بخلوص نيه . وسلامة طويه

أبو جموس — الماده ليس حاوجه مداوله ولا كثرة محاوله إحنا قبلنا كل النوايب اللى مرت علينا مع جميع المصايب وبعنا ما ورانا وما قدامنا ولا بقاش حاجه أمامنا ده إحناكان عشمنا من سى فلسن والجماعه الأوروباويه أن يخلصونا من العبودية لما سمعنا بأنهم ناس طيبين يكرهوا الظلم المبين فبسلامتهم مافلحوش ربنا يغنينا بفرجه العميم ويولى علينا رجل كريم حليم ويعتقنا من جور شيخ الحارهاللعين اللى سخمط وش الحماره طين وأنا وحياة راسك مافيش فى بيتى ولا كيلة غله ولا جاموسه ولا عجله ولا قرص جله فيكفانا ظلم وخسايروالله أعلم بما فى الضماير وما تنطوى عليه السراير

الرئيس — وانت قولك إيه ياشيخ محمد ؟

الشيخ محمد — إحنا لا نعرف مدير ماليه ولا ناظر خارجيه دول ناس ملاعين يرطنوا بلسانهم الأعوج وهم لابسين بتوع طوال اسمهم برانيط

راخيين شعورهم زى .....(١) ويدردعوا نبيذ كتير ويتغدوا بلحم الخنزير وأما إحنا ناس هواره نعرف طيب فى قناية الغرس والحماره وأعرّف سعادتك إننا مانقبلش زيادة ضرايب ولا كثرة مصايب وعاوزين تخفف المربوط ولا تسأل عن دبلنيير ولا مربوط وإن انفلق شيخ الحاره ماندفع ولا باره وإلا إن كان القصد بحضورنا الآن الضحك علينا زى زمان فأحنا وحلانين وعن ذاتكم مستغنين وإن كان عاوزين النياشين بتوعكم خذوها والفلاحين أهى قدامكم كلوها لأن بلدنا وحياة راسك بعد ما كانت حايزه كمال اللطافه أصبحت من كثرة الظلم كوم شقافه الله يجازى ابن الحرام»

هذه هى قصة الدين والضرائب، عرضها المترجم له عرضاً بديعاً ينم عن فهم لواقع الحال فى مصر إذ ذاك، وعرضها فى ألفاظ ومعان مصرية خالصة، وفى سخرية لاذعة جرت على ألسنة المشايخ الذين سماهم بأسماء ترمز إلى المفارقات العجيبة فى البلاد، فالشيخ «بلاصى» عمدة لكوم «الشقافة»! والشيخ «أبو عيش» نايب كعر «الجيعانين»! غير أن الكاتب لا يعنى مطلقاً السخرية بالأعضاء وإن كان قليل الثقة فى استماع الحكومة إلى آرائهم أو تقديرها لمكانة المجلس، وفى هذا يقول على لسان ـ أبو نظارة ـ «صار فتح البارلمنت اللى هو مجلس النواب وتليت فيه مقالتين مُطز فش ... واحده كأنها من شيخ الحارة والثانية بصفة جواب لها من رئيس المجلس وكلمتين من أحد الأعضاء علموهم له من قبل دخول المجلس أما أغلب الأعضاء هم جدعان أحرار لا يباعوا ولا يشتروا والظاهر أنهم اتفقوا على رأى واحد بالتكلم بغاية الحرية فى المجلس مش زى زمان اللى كانوا دائماً يقولوا أى نعم أى نعم رأى سعادة الرئيس فى محله وما أشبه»(٢)

وإذا أحسن أبو نظار الظن بكثير من أعضاء المجلس فأنه لم يؤمن قط بحكومة الخديو ولا بشجاعة وزرائه، وهو يصورهم تصويراً يناسب أقدارهم الصحيحة فى «جلسة سرية فى جمعية الطراطير المشهورة بالضحك على دقون العالم تحت رياسة

---

١ ـ هنا لفظ يمنعنا الحياء من ذكره.

٢ ـ العدد الرابع والعشرون من رحلة أبو نظاره زرقا ص ٢

السنجق الأكرم الأجل الأفخم عزيز أوغلو القوللى أحد أمراء الغز الذى ظلم أهل القطر المصرى فى سنة ١٢٠٣ وهلك سكانه » ويحدثنا عما دار فى هذه الجلسة بعنوان « محاوره بين عزيز أوغلو رئيس الجمعية وبين أعضاء الشركة وهم داخلى أغا وخارجى أغا وسيفك مليح أغا وأذرعلو أغا وحق نطاحى أغا وجهلى أغا وسهريج محافظى أغا » وعزيز أو غلو هذا هو الخديو إسماعيل ، وأعضاء الشركة هم على التوالى وزير الداخليه ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير الزراعة ووزير الحقانية أما جهلى أغا فيعنى به وزير المعارف ،وهى تورية لطيفة عن وزراء العهد التافهين الذين كانوا أشبه بالطراطير ! وقد أطلق على المحافظ الأسم الأخير المذكور . وإننا حين نراجع تلك المحاورة الطويلة نجد أن المحرر قد أجرى على لسانهم ما يمثلونه من نظارات .

وقد أعتاد أبو نظارة أن يهاجم أدوات الحكم جماعات وأفرادا ، ويهاجم معهم بعض أعضاء البيت المالك، ولم يسقط من حسابه حتى أميرات ذلك البيت، مثال ذلك ماجاء فى أحد الأعداد من حملة عنيفة على نوبار أو غبار كما يسميه بعنوان « عصبة الأنجال على الوزير الدجال — لعبة تياترية حصلت فى أيام الغز فى اليوم الخامس عشر من شهر محرم سنة ١٢٩٦ أسماء أشخاص اللعب . أبو السباع شيخ الحارة . أبو الخير ختام . غبار وزير . توقيف ولى العهد . نحس ناظر جهادية . تحسين ناظر مالية . ستى محزونة الوالدة . خيالة هانم . قرابه هانم . على أفنــــدى شاويش . خاخال أغا » . (١)

وهكذا أخذ يعقوب بن صنوع يهاجم خصومه من الخديو إلى الوزراء وكبار الموظفين ، تارة بالمحاورات وتارة بالأزجال البديعة (٢) وإن لم تخل من ألفاظ بذيئة لا تليق فى معناها أو مبناها . ثم نجده بعد ذلك يحاول فى « رحلته » أن يثير الجيش على تلك الحكومة التى حاربها بعنف وقوة، وقد بدأ منذ العدد العشرين يدعو إلى تلك الثورة ، مبينا لضباط الجيش ورؤسائه مدى الظلم الواقع عليهم ، ويسجل لنا هذا فى محاورة طويلة استغرقت ثلاث صفحات ، وهو يعنى فى تلك المحاورة التأريخ

---

١ — العدد الثانى والعشرون من رحلة أبى نظارة زرقا ص ٢
٢ — العدد الثالث والعشرون من رحلة أبى نظارة زرقا ص ٣

للحادث المشهور ، حادث طرد بعض ضباط الجيش والتوقف عن دفع مرتباتهم ، الأمر الذى أثار سخطهم ودفعهم إلى التظاهر كما تروى كتب مصر الحديثة ، فنجد فى المنظر الأول وصفاً مؤثراً . . .



مجلس الوزراء ، أو جمعية الطراطير المشهورة بالضحك على دقون العالم !

(فى بيت الجهادى . غلبان بك أميرالاى ، حزينه هانم زوجته . جيعانه هانم بنتهم . وعريان بك ابنهم) . (١) .

غلبان بك — (يمسح دموعه ويقول) والله لو لم يكن محرم عندنا فى الديانه لقتلت نفسى وخلصت من العيشه المنحوسه دى . آهى الهانم داخله ووراها العيال ولا شك إنها رايحـه تطلب منى كم قرش تبعت تجيب بهم رغيفين عيش وقطعة جبنه وإلا نموت من الجوع ، وأنا ربنا عالم مافى جيبى خمسه فضه . هو المدبر .

حزينه هانم — (تدخل وفى يدها الأطفال) صباح الخير ياسيدى .

جيعانه هانم وعريان بك — (يبوسوه وهم يقولوا) نهارك سعيد يابابا .

غلبان بك — آه والنبى يا أولادى من يوم ماتولى علينا شيخ الحاره السعد سابنا ومشى . فين أيامك السعيده ياسعيد ؟ كانت الجهادية متشرفة ومسرورة مش زى اليوم جيعانه ومقهوره .

---

١ ـ العدد السابع والعشرون من رحلة أبى نظارة زرقا ص ٢

حزينه هانم — والعمل يابيك ؟ قول احنا الاتنين نقدر نصوم إنما العيال دول والله بيجرحوا قلبي كلما يقولوا لى ياماما بدنا ناكل . اليوم مافطرناش بقى مااحناش رايحين نتغدى .

غلبان بك — لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ياليتنى كنت نجار أوحمال أو زبال كنت على كل حال أقدر على قوت عيالى ولا أشوف بيتى فى الفقر ده فصدق من قال فيه الفقر كنز البلاء . الفقر هو الموت الأحمر . ماضرب العباد بسوط أوجع من الفقر . الفقر فى الأذن وقر ، وفى الكبد عقر ، وفى القلب نقر ، وفى الجوف بقر . واحنا يا أولاد مصر صبحنا على الحصيره ولانحن واجدين لقمه نسدبها جوعنا وساكتين على غلبنا . ياخى خلينا نغور والله نستاهل أكثر من كده وفرعون قليل ظلمه فينا

وتمضى المناظر ، منظراً بعد منظر تحدثنا عن سخط غلبان بك وجرأته على الخديو حين قابله محتجا على حاله ، وجوع عياله وماانتهى إليه أمره من تناول القهوة المسمومة فى قصر إسماعيل وموته ، وكان أبشع مافى القصة تصوير المؤلف لختامها حين أمر أتباع الخديو بإنزال تابوت الميت من على أكتاف زملائه حتى يدفع الضرائب المستحقة عليه ! ولولا « خواجه نصرانى » تبرع بالمطلوب لكان ختام القصة أبشع ما عرف فى القصص والحكايات ! . . .

ثم يمضى أبو نظارة فى مدح الضباط الذين تجمهروا عند رئيس النظار ، ويروى ماحدث تحت عنوان (محاورة مابين أبو الخير وأبو اللطف الجهادى) (١) وهى فى الحق رواية من أصدق الروايات عن ذلك الحادث التاريخى الذى اختلف فى تفاصيله كثير من المؤرخين ، يصف ذلك بقوله « فاجتمعنا وتحالفنا بلسان واحد ، وحررنا عرضحال وطلبنا صرف الماهية والراحة العمومية وتوجهنا به إلى أندال الرجال ، وهيئة الدجال مجلس النوائب ، وأخذنا أعضائه ، وتوجهنا للمالية ،فتصادفنا مع الغاير غبار فصحنا وقلنا له معنا عرضحال فقال، سكترجت أديبس هرفلار ، وأمر العربجى بضربنا بالكرباج ، فالتزمنا أن نحفظ شرف الجهادية وأنزلناه من العربية اوأرجعناه

---

(١) العدد الثلاثون من رحلة أبي نظاره زرقا ص ٣

إلى المالية بالقوة الجبرية ، ثم ظهر فلسن فأفهمناه بالرجوع فامتثل ورجع بدون إهانة ، ثم الفرقه المخصوصة أحضرت على مبارك بمزيد التحقير وكلنا شاكين السلاح ومتوكلين على الفتاح ، وكانت ساعه عظيمه ، ثم حضر الفرعون الأكبر ومعه قدر ألف عسكرى فأمرهم بضربنا بالرصاص ، فأطلقوا بنادقهم الأرياح ولم يصبنا شىء ...»



مخاطبه في المنام بين غوبار افندي وابي نظاره زرقا

كان نوبار باشا أوغوبار ضعيف السمع لا ينصت إلى النصيحة ، ولابد لذلك من صورة تؤرخ لهذا الضعف !!

كان يعقوب بن صنوع يريد من هذه الفصول الكثيره التى كتبها ضد الخديو إسماعيل أن يتجه بها قليلا إلى الجيش . وكثيرا إلى بقيه المواطنين ، ولقد كان يبصر مواطنيه بظلم الخديو مبينا لهم أنه حاكم يجب أن يعرف حقوق مواطنيه عليه ، وأن الدنيا قد تغيرت «دلوقت راحت السكرة واستيقظ الفلاح وجاءت له الفكرة ، ومن مدة كم يوم فاق وصحى من النوم ، وفهم أن رب العالمين خلق عباده حرين ، وجعل الملوك فى كل مكان على الرعايا كالرعيان ، يدلوهم فى طريق الفضيله ويعلموهم العلوم والفنون الجميله ، مش زى شيخ حارتنا الظالم اللى ما يقدرش يشوف فى بلاده رجل عالم ، إلا وحالا يعميه وفى بحر النيل يرميه ، تبقى عياله عليه مغمومه وأسماك البحر تعمل عليه عزومه ، إنت نسيت الصديق (١) وما جراله وذل حال حريماته وعياله ، وكم من أولاد حارتنا ياناس نعل خاشهم وأسقـــاهم دا الكاس ، واحنا

(١) يقصد اسماعيل باشا المفتش ناظر مالية اسماعيل وقد اختفى ف ظروف مريبة .

أندال قاعدين ساكتين ولأوامر الظالم ممتثلين »(١)

وبعد فإن يعقوب بن صنوع قدأمتعنا فى (رحلة أبى نظارةزرقا) بما قدمه لنا من محاورات وفصول تمثيلية تتفق وذوقه وتجرى مع سليقته وتوائم طبيعة الممثل فيه ، وقد ضمن ذلك كله كثيراً من التاريخ وأقوال العامة وحكمهم فى أسلوب مصرى عامى تخللته أحيانا بعض ألفاظ تركية وأجنبية وشآمية ، ولكى تستوفى قصة هذه الرحلة غايتها يحسن أن نؤكد للقارىء بأن يعقوب لم يكن كاتباً للغة العامية يجيد عبارتها ويحسن صياغتها وحدها بل كان إلى جانب ذلك أديباً فى اللغة العربية الأصيلة ، نشر بها فى (الرحلة) فصولا بديعة دلت على علمه بأصول الدين والدنيا .

استمع إليه يقول « الحلم أجل من العقل لأن الله تعالى وصف نفسه به » ثم يتمثل بأقوال أئمة الدين فى هذا الموضوع فيقول « ما بعث الله نبياً إلى قوم إلا بعثه وأمره بالحلم » ، أوكما قال « ما أضيف شىء إلى شىء أحسن من علم إلى حلم »(٢)

ومن موضوعاته الأدبية « النصيحة اللؤلؤية للمسامع الخديوية .(٣) ثم « رسالة الشفعاوى » وقد نشرت فى أكثر من عدد وهى فى أسلوب عال يختلف كل الاختلاف مع طابع الصحيفة وما تضمنته أعدادها الكثار ، وتتميز بعمق الفكرة ، وسلامة العبارة ، وانتقاء الألفاظ ، إستمع إليه يحدثنا فيها عن ظلم الحاكم إسماعيل وسيرته السيئة « وكفاك أنه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً . ولا يوجد فى وقت الصلاة إلا جنبا . وفى رمضان إلا مفطرا . نعم يصوم ولكن عن الخيرات . ويستقبل الفجور متلطخاً بنجاسة الفحشاء . فاجر يقتات بالكبائر . ويتفكه بالصغائر . ويروح من مولاه شاكياً ولشيطانه شاكراً ، فكأنه عاهد إبليس فلم يخن له عهداً ، ووعده أن يجد عنده كل معصية فلم يخلف له وعداً . إن ذُكر الأتقياء والأخيار . قال احضروا إلى الحكيم(٤) . وإن سمع بالأشقياء الأشرار . قال غنى بذكرهم يانديم . فرعون بالنسبة إليه حاكم عادل . وأبو جهل إن قيس به إمام فاضل . وليزيد لو ماثله

---

(١) العدد الثانى عشر من رحلة أبى نظارة زرقا ص ٤

(٢) العدد الثالث من رحلة أبى نظاره زرقا ص ٣

(٣) العدد الحادى عشر من رحلة أبى نظاره زرقا ص ٣

(٤) يقصد الطبيب

لما اضطربت أقوالهم فى جواز اللعنة عليه . والحجاج لو شاكله لما اختلفوا فى نسبة الكفر إليه . . .

«ولكنهم ليسوا أكفاء له . فلو عادوا لاتخذوه إمامهم . وسلموه زمامهم ... فإنه هتك أستارا ماهتكوها . وانتهك حرمات ما انتهكوها . وظلم حتى أهل القبور . وجار حتى على السمك فى البحور . فلو مسخه الله ذئباً لفتك بجميع الحيوان . أو حية لما بقى على وجه الأرض إنسان . وحسبك أنه يحب المظالم حبه لأولاده وأحبائه اللئام . ويبغض المراحم بغضه لأضداده وأعدائه الكرام ... »

هذه هى سيرة (رحلة أبى نظارة زرقا الولى ...) قد عرضنا لها جملة وتفصيلا ، وبينا مواضع القوة والضعف فيها ، وهى بالرغم من كل الهنات التى لاحظناها فى إنشائها وأخطائها الإملائية والمطبعية تعتبر فى ذمة مؤرخ الصحافة عملا جليل القدر، وخاصة إذا راعينا أن محررها قد أعد لها العدة فى ظروف مادية قاسية وفى عجلة ودون تأن ، فإنه لم يستكمل شهرين فى المنفى إلا وكان العدد الأول من (الرحلة) قد ظهر مطبوعاً على الحجر برسمه الجميل ، وهذا نشاط صحفى كان ينبغى أن تظهر آثاره على مهل حتى يجىء كاملا مستوفياً كل أسباب النجاح .

أبو نظارة زرقا

أبو نظاره زرقا . . . « صحيفة أسبوعية أدبية علمية . بها محاورات ظريفه . ونوادر لطيفه . ومواعظ مفيده . ومقالات فريده . وقصايد عجيبه . وأدوار غريبه . مديرها ومحررها الأستاذ جمس سانووا المصرى مؤسس التياترات العربية فى الديار المصريه . قيمة الاشتراك عن ٣٠ نمرة ٢٥ فرنك » .

يقرأ الكتاب من عنوانه ! أو تقرأ الصحيفة من أهدافها ، وقد أعلنت «أبو نظاره زرقا» عن أهدافها فى تلك البيانات التى سجلناها ، وقد حققتها جميعاً وجاءت فيها بالمعجب والمطرب ، وعاونها على أداء رسالتها هذا الأداء الحسن الظرف الدقيق الذى كانت تمر فيه مصر إذ ذاك ، فقد اشتدت أزمة إسماعيل وتم عزله ، وتولى توفيق وتلاعب السلطان بفرمان تعيينه ، وعين رياض باشا ناظراً للنظار فهاج الأحرار وصرعت صحفهم الواحدة تلو الأخرى ، وهذه كلها مادة يستطيع أن يجول فيها



الفلاح . . . أو البقرة الحلوب !!

حديث بين حليم باشا وبين ابن فرعون أى الخديو توفيق ! . . .

صنوع ويصول ، ويؤرخها على طريقته المعروفة.

لقد كان يعقوب يعرض على مواطنيه مآسى الأزمة المالية عدداً بعد عدد ، وكان ناقداً مر النقد ، قاسياً أشد القسوة على الحكومة والخديو والأجانب وخاصة الإنجليز، غير أنه لم يكن يريد ، مهما تكن الأسباب ، أن ينتهز أحد فرصة الارتباك المالى فيحتل البلاد ، أو تصبح البلاد فى يد حكومة أجنبية تدبر أمرها ، وهو يفضل «الموت ولا العيشة تحت تسلط حكومة أجنبية » غير أن ذلك لا يمنع المترجم له من الترحيب بعزل إسماعيل وتعيين حليم ، وقد أجرى هذه الأمنية على لسان « أبى العينين » حين قال لأبى الشكر « ده شيخ التمن (١) كتب لدول أوروبا أنه رايح يرفت شيخ الحارة ويولى عمه بداله وهم جاوبوه وقالوا له الحارة حارتك إعمل فيها كما تشاء »(٢)

ثم يهاجم أبو نظارة الخديو اسماعيل وكرسى الحكم يهتز من تحته اهتزازاً عنيفاً ، ولا يرى هناك أملا فى مستقبل مصر وحاضرها على يديه ، بالرغم من تعيينه لشريف باشا ناظراً للنظار ، وهو ممثل الديمقراطية الهادئة والفئة الرشيدة أيام إسماعيل . وفى ذلك يقول فى رسالة « من أبى نظارة معظمه فى مصر إلى أبى نظاره زرقا بباريز »

« لا تظن الوزارة الجديدة يطيل عمرها بل تستعفى عن قريب لأن مازال الجندى(٣) يلعب بديله كسوابقه ، وأوامره يصير إجراها بدون علم أبو شرف وبابا راغب ، والظلم والجور على حاله ، ولا بيطلع من يدهم شيء معه ، وصدق من قال لا تفرحوا لمن يروح لما تشوفوا من ييجى . شوف ياعزيزى ، إذا رب العالمين عين سيدنا موسى ناظر مالية وسيدنا عيسى ناظر خارجية وسيدنا محمد ناظر جهادية كن ميقن أن الفرعون يعمل شغله بسحره ويضحك عليهم ، وكلما مسكوه بسرقة وقالوا له جزاء الحرامى قطع يده يقول لهم والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس توبه من دى النوبه ؛ فلذلك أقول وهذا رأى جميع أبناء مصر أن إذا ما أسعفناش مولانا الأعظم بحلمه تحصل أشياء عمرها ما حصلت لأن العالم هنا يئست وقطعت الرجا والدنيا

---

١ ـ شيخ التمن هو سلطان تركيا وخليفة المسلمين وصاحب النفوذ فى تعيين أمراء مصر وخلعهم

٢ ـ العدد الثالث من أبى نظارة زرقا ص ٢ نهرا ـ السنة الثالثة

٣ ـ يقصد الخديو اسماعيل . وأبو شرف هو شريف باشا ومولانا الاعظم هو سلطان تركيا وحلمه هو البرنس حليم .

صبحت سودا أمام عيونهم ولا أحد بيشفق عليهم » (١) .

ثم يصور لنا المترجم له نفسية إسماعيل على لسان إسماعيل فى تلك الظروف التى كانت تمر به ، إنه فى فزع وخوف بالرغم من أنه سيد البلاد ، إنه يؤرخ لنا عن الحاكم المستبد الذى عجزت صحيفة معاصرة فى مصر عن أن ترسم له هذه الصورة البديعة ، وما كان فى وسع جريدة أو مجلة فى البلاد أن تقص على قرائها ظروف إسماعيل المضطربة ، ولكن صنوعاً يبدع فى هذا الوصف ويمتع فى هذا الخيال الذى جاء بعنوان « شيخ الحارة » وهى « لعبة تياترية حصلت فى أيام الفراعنة ، وأشخاص اللعب هم شيخ الحارة ومشخلعتلو هانم وشمعدان أغا حريم وتوقيف أفندى ونحس ونحسين ورياض وأبو الحلم ومجدع الجهادى وجدة ابن البلد وعمر شهامه فلاح » (٢) .

ولسنا نريد أن نطيل فى اقتطاف بعض ما جاء فى اللعبة التياترية ، وإن كانت جديرة بنقلها جميعاً ، غير أننا سنقتصر على إسماعيل وهو فى حجرة نومه لم يمسسه الكرى ، ساهد حتى مطلع الفجر ، يحدث نفسه حديثاً ممتعاً فيه صورة بديعة لشخصية الخديو وطرائق نظره إلى الحياة ورأيه فى وطنه ومواطنيه .

يقول إسماعيل « راحت عليك يابو السباع آه . . . . الله يلعن اليوم اللى فيه تولّيت شيخ حارة ، ده كان يوم نحس وأنا كان مالى ومال الشبكه دى اللى زى الطين ، المكتوب على الجبين تراه العيون ، نعمل إيه فى طمع الدنيا ؟ أدينى صبحت أشقى مخلوقات الله والخوف قاتلنى ، ماتين عسكرى ومدفعين حول سرايتى وبرضى مرعوب ، وكل ما أسمع حد قابل علىّ أنفزع وقلبى يطب وأقول فى نفسى آهم ضباط الجهاديه وتلامذة المدارس وأولاد البلد والفلاحين جايين ينتقموا منى ويقبضوا روحى ويأخذوا مفاتيح السهاريج وينهبوا الأموال اللى لميتهم بغاية التعب والمشقة ويولوا عمى العديم شيخ حارة عواضى . بلاهلس .... ده أنا سيدهم فى المكر ولا أخاف من ملك الشياطين ، أما الجماعه مستحلفين لى بقطعة علقه صنعه . مايطلعش من يدهم حاجه ، البصاصين كتير ومأمور الضبطيه جدع ولى حبايب أصدقاء بين الضباط والتلامذه وبيعرفونى بكل اللى يحصل يومى ، أما أبو نضاره اللعين راح جدد له جرنال

---

١ ـ العدد السابع من أبى نظارة زرقا . السنة الثالثه .

٢ ـ العدد الرابع من أبى نظاره زرقا . السنة الثالثة . ص ٢ ، ٣ ، ٤

تانى وقال فى حبّ الوطن . آهو زى الكلب اللى بينبح خليه يعوى ... آياأسمعيل ... انت بتسلى غلبك وهمك با لكلام ده إنما قلبك بيرجف وضميرك فى قلق ، أهو الليل بيفوت بطوله وعينك ما بتدوق النوم ، آدينى سامع تشخير الأغاوات ، يابختهم دول مبسوطين ولاهم عارفين الدنيا بتعمل بهم إيه ، والناس اللى ماتفهمش الصوره إيه تقول عليهم دول مساكين لكونهم محرومين من لذات الدنيا ، آه يامغفلين والله ماحد محروم غيرى أنا ، لكونى مابستلذ لا بأكل ولا بشرب من خوفى أن خدامينى يسمونى، ولما أخرج من البيت كلما أعدّى على شارع وأجد فيه زحمه يبان لى أن يوم القيامه جاء وأنظر يمين وشمال ومن لحظه للحظه يترآى لى أن العالم رايحه تهجم على عربيتى وتهلكنى . ياخى لا . والله إنى مجنون . هوانا فى أوروبا ؟ إحنا فى مصر وأولاد مصر يخافوا من خيالهم ، دول ناس ، ذرطه من غير مؤاخذه تطيرهم ، وإلا ما كنتش خلصت من أياديهم يوم قيامة الضباط ، آدينى بعمل بكيفى ولا حد قادر علىّ . غبار طلعت عليه ضامه وشقلبته رغماً عن أنف مشايخ حوارى الإفرنج ، وفلسن وبلانور دسيتهم فى جيوبى ، وبأذن الله أنتصر على شيخ التمن وأحطه هو ووزيره فى الجراب . أما اللى غايظنى أنا ، هو أبو الحلم لأن كل الشعب هنا بيحبّه ، وإلا ما كانوش يكتبوا لشيخ التمن ولأعظم ملوك الإفرنج ويتشكوا من جورى وظلمى ويقولوا عاوزين لهم شيخ حارة كريم حليم . الله ينعلكم ياأهل مصر ، يعنى أنا عملت لكم إيه ؟ أناشاريكم من عبد العزيز ، ودايما السيد يفعل فى عبده كما يشاء ، فلوسكم دى فلوسى وانتم ملزومين تخدمونى بالسخرة ، وإلا الفرق بينى وبينكم إيه ؟ أما الفلاحين يموتوا من الجوع . إن شاالله ما فضلوا . الفلاح ماهوش بنى آدم . الفلاح بهيم وربنا خالقه للتعب زى التور ، والتور أنفع منه لأنه بيعطينى لحمه آكله أما الفلاح نتن وهو حىّ ، وبعد موته القبر فيه خسارة ، لوكان هنا هذا الخنزير أبو نضاره . كان يقول لى القبر خسارة فيك يافرعون لكونك بتظلم خلق الله ، إنما أبو نضارة نفيناه من حارتنا وآهو قاعد بيشحت فى بلاد فرانسا . آهى الشمس طالعه وأنا لسه مانمتش . آه من عيشتى ! ما أمرّها ! والعمل إيه ؟ الشيطان يدبرنى ... »

لقد اكتفينا بنحو نهر من الصفحات الثلاث التى نشرها أبو نظارة ليصور فيها نفسية الخديو إسماعيل قبيل عزله بشهور قليلة ، وقد تعرض فيها الكاتب لعبث

الأمير بشئون الحكم ونهمه فى جمع المال ، ثم شرح حياة القصر كأنه واحد من أقرب المقربين إلى الخديو ، فعرض أسرار بيت إسماعيل وفضائحه ، كما قال رأيه فى « أولاد مصر » على لسان إسماعيل ، فقد كانوا حقاً يخافون خيالهم وإلا لثاروا على الطاغية وثلوا عرشه ، ولكنهم استكانوا حتى تدخل الأجانب فعزلوه بعد نحو ثلاثة أشهر ، ثم شرح رأى البيت المالك فى الفلاحين المصريين ، وهو رأى توارثه الخلف منهم عن السلف

لقد شرح أبو نظارة لقرائه نفسية إسماعيل فى عدة فصول من « لعبته التياترية » وهو لا يريد أن يختم هذه « اللعبة » دون أن يبين لهم طريق التخلص من الظالم ، لعل ما دار بذهنه يعجبهم ، أو لعل الشجاعة تواتيهم فينهضون لإنقاذ بلادهم بطرد إسماعيل ، وقد رسم لهم ذلك فى المنظرين ، الرابع والخامس ، ننشرهما هنا ، فقد كان أكرم ، للمصريين لو استطاعوا تمثيل هذين الفصلين على الصورة التى بينها الكاتب الأديب



رياض أو أبو ريضه !
أو الوزير المشخلع !!

(المنظر الرابع فى شارع عبدين . شيخ الحارة وتوفيف(١) ونحس ونحسين ورياض حاملين أكياس على أكتافهم وأوراق تحت باطهم ووراهم دستة قواصه ثم مشايخ الأزهر)

رياض — اتلحلحوا ياجماعه ، مانتوش سامعين الزعيق من بعيد (الجميع يرمحوا)

مشايخ الأزهر — (على بعد) ربنا كريم حليم يابو نضاره الله ينصرنا على شيخ الحاره

توفيف — حتى المشايخ ضدنا ، ده أنا يوم الدوسه عملت لهم مقام

---

١ — يقصد توفيق ولى العهد وخديو مصر بعد ذلك بشهور

شيخ الحاره — جيعانين نعطى لهم لقمة جرايه يسكتوا

(المنظر الخامس . مشايخ الأزهر والضباط والتلامذه والورشجية

(المرفوتين ومجدع وحدق وعمر شهامة وأبو الحلم وأبو الخير)

مجدع — (يسلت سيفه ويقول لشيخ الحارة) طالع ترح على فين يافرعون؟

حدق — الأكياس دى والأوراق تقيله عليكم (يأخذها منهم ويعطيها للتلامذة والضباط)

عمر شهامة — آه ياغاير ياما عملت فينا

أبو الخير — (يقول لشيخ الحاره) اقرأ هذا الفرمان من مولانا السلطان

أبو الحلم — أنا نصحتك يا ابن الأخ من مدة سنة بجوابى فلو كنت سمعت كلامى كان البر انصلح وانت فضلت عليه شيخ حاره ، إنما أنت خربته وهتكت اسم مصر وأهلها

حدق — لما توليت يافرعون البر ماكانش مديون ، واليوم عليه ماية مليون جنيه ، المبالغ دى راحت فين ؟

مشايخ الأزهر — بنى بها سرايات وصرفها فى الفسق والفساد

عمر شهامة — وعوض ما يساعد الفلاح ويصلح أحوال الزراعة اللى هى سعادة أهالى القطر ، فرعون بسلامته نهبنا وباع أطياننا ومواشينا وموتنا من الجوع

مشايخ الأزهر — فرعون كافر وأخرته الجحيم وربنا كريم حليم .

أبو الخير — (إلى الضباط) تسليمكم شيخ الحاره وأولاده ووزيره ، إذهبوا بهم إلى الأسكندرية ، وأنت يامجدع باشا سلمهم إلى قبطان مركبنا العثمانية وهو يجرى اللازم (الضباط وحدق يفعلوا ذلك ويضربوا القواصة اللى يتجاسروا يعارضوهم) .

شيخ الحاره — (يزعق ويقول) الحاره حارتى وأنا شيخها وأنتم مالكم ومالى ؟

مشايخ الأزهر — جرجروه . ما تسمعوش كلامه .

(الجميع يغنوا)

إنت فين يابو نضاره   تجى تشوفنا منصورين

على عمك شيخ الحاره وعلى أولاده المنحوسين
النهـارده يوم عظيم إفرحوا ياأهل النيل
الله ينصر سى حليم ويعاقب اسمعيل

ويعود أبو نظارة فيستيقظ من هذا الحلم الذى تمناه للمصريين وتجابهه الحقيقة المرة بأنهم أضعف من أن يسلكوا تلك الطريق ، وأن النخوة تعوزهم لبلوغ هذا الأمل فيقول على لسان أبى خليل « أهل مصر كانت شجاعة فى أيام الفراعنة ، أما اليوم مايخرجش من يدهم يعملوا شىء زى ده لأنهم أخذوا على التنبله » !

وهكذا ينتهز يعقوب بن صنوع هذا القلق الذى أصاب الخديو اسماعيل وهذه الاضطرابات التى أحاطت بعرشه ، فيجلى فى الحملة عليه وعلى الفساد الذى أشاعه فى البلاد ، وأساء به إلى الدين أيضاً كتصرفات الخديو فى أموال الأوقاف الخيرية التى كان ينبغى أن يرعاها بالذمة والشرف « كلما يخرب منزل أو حانوت بدل تعميره جارى مبيعه والعقار والأطيان الموقوفه للجوامع وغيره اللى انهدمت فى الشوارع ويزيد عددهم عن مايتين أخذهم الفرعون ، فهذا هو السبب الوحيد لخراب الجوامع وتعطيل الشعائر الإسلامية . . . » (١)

ثم يعزل إسماعيل العدو اللدود ليعقوب بن صنوع ، ويتولى الأريكة الخديوية ابنه توفيق ، ولم يكن فى ذلك تحقيق للرغبة الجامحة فى قلب يعقوب ، فهذا بعض النصر وليس النصر كله ، إنه كان يريد أن ينفى إسماعيل من مصر ويتولى مكانه عمه الأمير حليم ، وهو لسانه فى مصر أو فى خارج مصر ، بيد أن عزل إسماعيل لم يقض فى نظره على المفاسد ، إذ احتفظ العهد الجديد بأدوات الحكم القديمة ، وهى أدوات فاسدة يعلن عنها عن طريق خطاب تلقاه من الجيزة وفيه يقول صاحبه « ربنا يخلصنا على خير من وكيلنا أحمد عصمت لأنه جايب لمديريتنا العما . ده كان فى المدة الماضية محسوب خلخال أغا شمعدان الست الكبيرة ، والآن محسوب كمال أفندى ، ومن حيث أنه لم يكتفى بالنهب والسلب السابق ، فهو دلوقت بيعمل شغله فى أكل أموال العالم بالباطل ، وبينظم وبيهندس فى مزروعاته ، وفرعون الصغير (٢) ما استغناش

---

١ — العدد الخامس من أبى نظاره زرقا — السنة الثالثة . ص ٣ نهر ٢
٢ — فرعون الصغير هو الخديو توفيق

يقرا الأعراض(١) اللى قدمناها له ، بقى شوف لناطريقة انت يابو نضاره والسلام . انت ربنا يقبل منك ، ولما دعيت على الأب سمع منك وريّحنا منه ، فبالله ياوليد ادعى لنا على ابنه وخلصنا من شبكته اللى زى الزفت . عسى الحليم يحلم بحلمه ..)(٢)

ولم يعدم بالطبع ، إسماعيل قبل خلعه وتوفيق بعد تعيينه ، من ألسنة تهاجم الأمير حليما الذى تعلق به كثير من أحرار المصريين ، وكانت تلك الألسنة تهاجمه بشدة فى الصحف الأوروبية ، وخاصة فى الصحف الإنجليزية ، وقد استطاع دعاة الخديو أن يؤثروا فى تلك الصحف ، فخرجت بمقالات عنيفة صورت بها حليما نكرة لا عزوة له فى مصر ، وقد رد أبو نظارة على تلك الصحف بمقالات ممتعة ، سل فيها الحق من الباطل ، وأشار إلى ذلك كله فى أكثر من موضع فى صحفه الكثار(١)

وليس يعنى هذا أن المترجم له كان يكره أن تستقر أمور مصر ويسودها العدل على يد توفيق ، وأنه كان يرحب بالأمير حليم أميراً عليها ولو فسد الحال وساء المئآل ... إنه مواطن شريف يؤثر حليما بالكلمة الطيبة لأنه نفى من مصر وحورب فى رزقه عندما أوصى ابن أخيه إسماعيل بأن يخفف نهمه ويهذب من سلوكه ، فاستحق عند الأحرار المكانة المرموقة ؛ولقد كان يعقوب يتمنى أن يجد فى السياسة الجديدة فى عهد توفيق ما يصرفه عن خصومته ، وهو ينشر مقالا جاءه من مواطن مصرى فيه بعض الثناء على توفيق


شريف باشا أو أبو شرف !!

وفيه رجاء لمصر فى العهد الجديد ، فأذا سئل فى (المحاورة) عما إذا كان من سياسته نشر مثل هذا المديح رد على سائله قائلا « معلوم لأن النضاره جريدة وطنية ماهش

---

١ — يقصد العرائض
٢ — العدد التاسع عشر السنة الثالثة من أبى نظاره.

لا إسماعيلية ولا توفيقية ولا حليمية ، فعلى شان كدا لازم ندرج فيها كل ما يخص الوطن »(١)

ولكن أبا « خليل » يعترض على ذلك بأن الخطاب الذى سينشره ـ وقد نشره فعلا ـ فيه مدح شديد ، وهل من العدل أن ينشر مثل هذا المديح فى شخص لا يستحقه فيجيبه بن صنوع ، وفى إجابته تظهر وطنيته السليمة قائلا « ياريت كان يستاهل المدح ده كنا نفرح ، لأن نحن غاية منانا صلاح البر ، إنما يظهر من الرسالة الواردة لنا من جمعية محبين الحرية أن الأحوال برضها على ما كانت فى عهد فرعون وأذرط »

ويتأخر فرمان التولية ، ويعرض أبو نظارة فى صحيفته لهذا ولغيره من الشئون ، ويذكر أن أمور البلاد لا تزال فى يد إسماعيل يقضى فيها من بعيد بأسوأ ما تقضى به الأمور والأحكام ، وأن المصريين جديرون بهذا الذل لأنهم ارتضوه وقبلوه ومكنوا له ، فأذا عاب أحدهم فى « المحاورة المنشورة » على المصريين بأنه كان يجب عليهم أن يفزعوا إلى دول أوروبا طالبين تعيين من يرضاه المواطنون ، أجابهم ابن صنوع على لسان « الخطيب » بقوله « الكلام ده خليه لأهل أوروبا اللى حكامهم تحسب لهم حساب ، أما إحنا حكامنا يضربونا ويأخذوا كرا إيدهم ، أدحنا شفنا عزل الأب وتولية الابن ولا تحركناش ، ياريت بس كدا إلا كمان عملنا زينه ، واللى ما كنش راضى يعلق على بابه قنديل كانت الكومسيون تعلق على خدوده أقلام » !

وإذا أشار أحد أعضاء المحاورة بالفزع إلى السلطان ليعزل الأبن كما عزل الأب قال يعقوب على لسان الرئيس « السلطان ما بقت لوش سلطة على مصر ، والربط فى فى يد دول أوروبا ودول أوروبا وضعت الولد مؤقتاً ، وبعد كم شهر إذا شافت أنه ماهوش فالحا لا تشقلبه ، فنحن نقدر نكتب لفرنسا وانكلترا ونعرفهم أن الحاكم اللى انتخبوه لنا أذرط من أبوه ، وأنه يكره الناس العدلين ، ونلتمس منهم بأن يخلونا نولى اللى يعجبنا ، لأن إذا استمرت الأحوال على ماهى اليوم . عمرها مصر ما تقيم راسها ، أهم بدءوا يوقفوا صرف الماهيات ، ومن يعرف رايح يجرى إيه فى دفع الكوبون»

وإذا تبين يعقوب بن صنوع أن الأمل ضعيف فى القضاء على توفيق كما قضى على إسماعيل ، أخذ على عاتقه كشف نوايا الحاكم الجديد ، وأساليب التهريج التى كان

---

١ ـ السنة الثالثة . العدد الثالث والعشرون من أبى نظارة نمرة ٢ ص٢

يتبعها ، والتى اتبعها من قبله أبوه ، واتبعها ، من بعده غيره من الخديوين والسلاطين والملوك ، ومن ذلك بيان العبث الذى كان يرتكبه توفيق فى زيارات الجوامع والصلاة فيها ! فيذكر فى إحدى المحاورات(١) أن رياضاً طلب إجازة يومين ، فلم يوافق توفيق ورد عليه قائلا « إنت بدك تخلى الشمطلى يطلى وأنا أفضل لوحدى هنا وأقبل زياراتى وزياراتك ، والحال أن وراى أروح الجامع يومى أصلى ، لأن بابا قال لى فى تلغرافه الأخير ، ادّعى خوف الله وروح مراراً الجوامع ، لأن ده شىء يعجب الرعايه ، وأنت يابابا رياض تعرف أنى ما أصدقش فى شىء ، وإنى بزعل لما بروح فى المحلات دى ، لأن أبو نضارة قال إن ربنا مايقبلشى دعاء الظالم »

عدد ٢ السنة الثالثة * أبو نظارة زرقا * يوم الجمعه ٢٨ مارث سنة ١٨٧٩

صحيفة اسبوعية ادبية علمية بها محاورات ظريفه ونوادر لطيفه ومواعظ مفيده ومقالات فريده وقصايد عجيبه وادوار غريبه مديرها ومحررها الاستاذ جمس سانوا المصري مؤسس التياترات العربية في الديار المصرية * قيمة الاشتراك عن سنته ٣ فرنك

Professeur James Sanua 65 rue de Provence. Paris.



فرعون يبدّس في جيوبه الافرنجي والبلدي *



ابو الغلب الفلاح ماعرفش مازن براسي مين يخلّي مين *

اسماعيل يضحك من الأجانب والمصريين !   والفلاح حائر بين الأجنبي والخديو!

وليس هناك أبلغ من هذه السخرية ، إنه يسخر بذلك الخديو الذى يتزلف إلى الله كذباً ، والذى يختلف الى بيوته الطاهرة من غير عقيدة ولا ايمان فى قلبه ؛ وهو يعرض ذلك كله محملا رياض باشا مغبة تلك الأعمال جميعا ، جلت أو هانت ، والخصومة بين ابن صنوع وبين رياض قديمة متجددة ، وهو يذكر عنه أنه محاب لأقاربه وأنسبائه يتخطى فى الوظائف العامة أبناء السادة والاكفاء ، فيجرى على لسان (التلميذ نسيم) رأيه هذا فيقول « هكذا والا بلاش ، واحنا اذا كنا ماناخدش حقنا قهراً عن شيخ الحارة وملاعينه مين يفكر فينا أو يخدمنا ، آهو رياض كمثل ماخدّم البيكاوات قرايبه محمود وطه وفريد والأعمى وعثمان وأحمد الوزان ، أهو الآن جعل زوج أخته الأغبش وكيل

---

١ ـ السنة الثالثة من أبى نظارة زرقاء ـ العدد ٦ ص ٤ النهر الاول

مديرية القليوبية والآخر وكيل المنوفية ومصطفى البغدادلى صهره ابن سودانية ناظر قلم دعاوى بالضابطيه ، وباقى قرايبه ومحاسيبه جارى توظيفهم بماهيات ووظايف عاليه ، وأولاد الذوات وغيرهم من ذوى الشرف والاستعداد لم أحد يسأل عنهم» (١)

لقد لقى رياض باشا من قلم ابن صنوع مالم يلقه وزير مصرى آخر ، وهو دائب على تسجيل مواقفه المزرية فى شئون الحكم فى عهد اسماعيل وولده توفيق ، ومن الطرائف التى صورها لنا ماحدث فى مجلس النواب بين رياض وبين الأعضاء حين أراد الوزير فض المجلس ، وهذه الرواية التى رواها أبو نظارة هى أدق وأصدق ماروته صحيفة أو كتاب فى هذا الباب ، مما يحسن معه نشرها فى هذه السطور ، إنها محاورة أيضاً بين « أبى خليل وأبى نظاره » (٢)

أبو خليل — إنت أوعدتنا فى آخر جورنالك بأنك تدرج مقالات المويلحى والعطار ومدح أبو شرف وبابا راغب (٣)، هات من تحايفك هات.

أبو نظاره — على العين والراس ياسيد الناس ، لما حضر رياض إلى مجلس النواب وطلب انفضاضه أجابه محمود بيك العطار — اسمع يابو خليل دا الكلام الموزون — ياسعادة الباشا كيف يصير انفضاض المجلس بدون أن يعرض عليه شىء من اجراءات مجلس الوزاره وبدون أن يأتى أوان لعطله ؟ هو ده مكتب مسخره نفتحه وقفله بيدكم ؟

أبو خليل — ماشاء الله على دا النفس ، وصاحبنا عبد السلام بيك المويلحى قال إيه ؟

أبو نظارة — قال إنت ياأفندم أخبرت جملة متظلمين من أبناء الوطن اللى كانوا طالبين حقوقهم بأن لهم نواب ينظرون فى شأنهم ، فكيف بدون أن ماننظر شى تأمرنا جنابك بالانصراف ، يعنى إحنا عبيد أبوك ؟ فأذا انصرفنا كما ترغب وسألتنا الأمة ، وقالت يانواب ،

---

١ — الصفحة الثالثة من أبى نظارة زرقاء — العدد ٢ ص ٢ النهر الأول
٢ — « « « « « « — العدد ٢ ص ٣ النهر الأول
٣ — يقصد شريف باشا ، وراغب باشا

ماذا فعلتم وأى فرده بطلتم وأى مظلوم خلصتم وأى مصيبة
خففتم ، ياهل ترى نجاوبهم مثلما حضرتك جاوبت أصحاب الجرايد
أن لالنا نواب ولاشورى ، وليس فينا من يفهم وكلنا على جهل،
لانحسن الخطاب ولاندرى الجواب ولافينا عشرة أشخاص يفهمون
عباره ولا يدرون إشاره، مع علم سيادتك بأن إذا انفض المجلس على
غير طايل فكن ميقن أن الأمة لاريب تلق المسئولية على الوزارة .

أبو خليـــل — يحرس دا الفم ، طيب وباقى الأعضاء قالو إيه ؟

أبو نظارة — صاحوا بأعلى صوت وقالوا تعيش الحرية .

أبو خليـــل — أما الجماعة اتجدعنوا وعملوا الواجب ، بس أنا بستغرب إزاى سكتوا لهم ؟

أبو نظاره — الجندى اليومين دول بعيد عنك ... (٢) فى لباسه لعلمه أن شيخ التمن زعلان عليه وحلف يمين معظم بالله وبرسوله بأن يخلع عدو أمة محمد ويولى محله الشيخ المتصف بالحلم، فعلى شان كده أبو السباع بيطنش ...

وهكذا لم يخل عدد من التعليق على تصرفات رياض باشا حين كان وزيراً للداخلية أورئيساً للحكومة ، ومن التصرفات التى أقلقت بال يعقوب بن صنوع هذا الإرهاب الذى شنه رياض على الصحف المصرية فى أواخر سنة ١٨٧٩ ، فقد صادر صحفاً وأغلق صحفاً ، ويقول المترجم له « على شان جرنال فتاة مصر (١) مع جرنال الميمون وجرنال التجارة ومصر الجارى طبعهم باسكندريه تكاموا فى صالح الوطن أصدر مره بتعطيلهم ، وقد كان وجرى تعطيل الأربعة جرانيل المذكورين فى أسبوع واحد ..... » (٣)

إن الضغط الذى لقيته صحافة مصر ، لقيه أيضاً أبو نظارة من حكومة رياض ، فقد صادرت صحيفته ، الأمر الذى دعاه كما ذكرنا من قبل إلى تغيير اسمها حتى يتيسر

---

١ ـ هنا لفظ رفعناه لأنه لايليق بالنشر .

٢ ـ يقصد جريده مصر الفتاة لسان حال التقدميين فى ذلك العصر

٣ ـ السنة الثالثة من أبى نظارة زرقا ـ عدد ٣٠ ص ٣

إدخالها إلى مصر وقد حاول أن يصدر صحيفته الجديدة وإلى جانبها صحيفته القديمة ، ولكن ذلك تعذر عليه ، فقد كان فوق مقدوره أن يوالى صحيفتين معاً سواء فى تحريرهما أو فى تمويلهما ، غير أن تغيير الاسم لا يعنى مطلقاً اختلافاً فى السياسة ، بل إننا إذا أنصتنا إلى أى صحيفة جديدة فكأنما نقرأ أو نسمع إلى أبى نظارة زرقا أو إلى رحلة أبى نظارة الولى ، لذلك كان اختفاء (أبى نظارة زرقا) أمراً لم يسىء إلى تاريخها قط فقد عادت بعد سنوات كاسنبين فى فصول مقبلة ، واحتل مكانها فى تلك الفترة عدد من الصحف الأخرى ، جرت على سياستها تماماً ، وهى — أى تلك الصحف الجديدة التى سدت الفراغ — تعتبر فى ذمة المؤرخ امتداداً لأبى نظارة زرقا ، لذلك ، يحسن دراستها على ضوء هذه الحقائق دون نظر إلى أى اعتبار آخر

النظارات المصرية

كانت مجلة (النظارات المصرية) إحدى الفواصل التى قطعت على (أبى نظارة زرقا) سيرتها ، فقد احتلت مكانها جزءا من السنة الرابعة لصدور صحف يعقوب بن صنوع ، وإن كانت النظارات المصرية قد صدرت قبل اختفاء اسم المجلة الأصيلة ، وإن كانت أيضاً تختلف معهافى الحجم ، فهى تشبه الكتب الصغيرة المعروفة، وأبو نظارة زرقا فى حجم مجلاتنا المعاصرة التى تماثل روزاليوسف والجيل الجديد وماإليهما

صدرت (النظارات المصرية) فى ١٦ سبتمبر ١٨٧٩ « جريدة تاريخية علمية تحرير مصر واسكندرية » وقد أشار إلى قرب صدورها صاحبها يعقوب بن صنوع فى العدد الثلاثين من صحيفته أبى نظارة زرقا (١) وهى فى عمومها تشابه من حيث التحرير والإنشاء صحف المترجم له الأخرى ، غير أنها تختلف عنها فى كثير من الموضوعات التى عالجتها كما أنها مطبوعة على الحجر بخط جميل ، ويحتل صدرها دائما رسم يمثل فكرة من الأفكار السياسية التى كانت تشغل بال الجماهير فى تلك الأيام ، وبعد صدور عدة أعداد منها ، رأينا فى الصفحة الأخيرة رسماً معيناً يسجل رأياً معينا بالإضافة إلى الرسم الأصيل المنشور فى الصفحة الأولى

كان أول موضوع عالجته (النظارات المصرية) متصلا فى أكثره بأنشاء المجلة وأسباب هذا الإنشاء ، وقد جاء هذا كله تحت عنوان « جلسة يوم الجمعة المبارك فى محفل محبين الوطن تحت رياسة أبى نظارة معظمة ، والحاضرين الرئيس وكاتب اليد وأمين صندوق والخطيب والشاعر وجميع أعضاء الشركة » ويحسن ونحن نؤرخ لهذه المجلة ، التى لم يطل عمرها إذا صدر منها عشرة أعداد فقط ، أن نسجل مايعنينا « من جلسة يوم الجمعة المبارك » تلك ، ففيها إيضاح لسيرة الصحيفة ، وبيان واف عنها

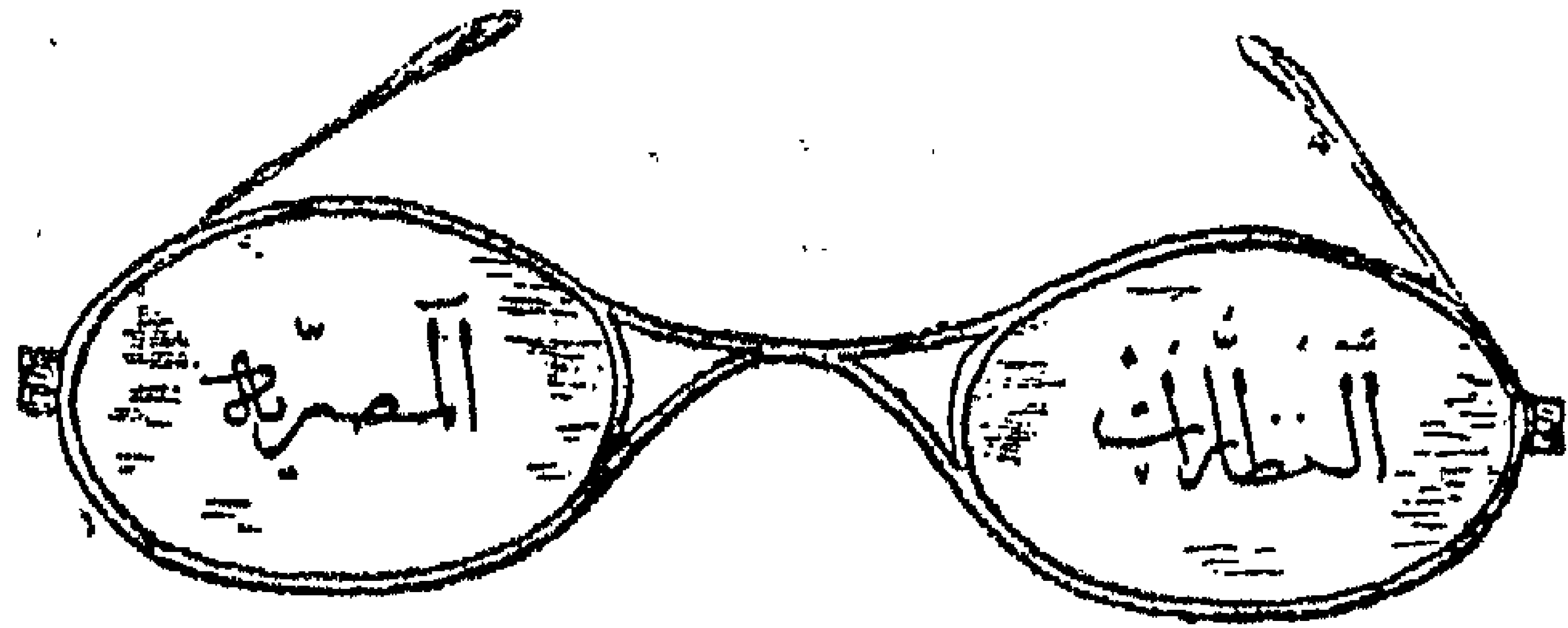
الرئيس — بسم الله الرحمن الرحيم، إهدنا الصراط المستقيم ، واحفظنا من شر وزارة الواد اللئيم . إتلى علينا ياحضرة كاتب يدنا أخبارك المهمة

كاتب اليد — سمعاً وطاعة يارئيسنا المحترم ، ورد لنا خطاب ظريف من أستاذنا

---

١ ـ النظارات المصرية : العدد الأول الصادر فى ١٦ سبتمبر ١٨٧٩

عدد ١ ١٦ سبتمبر سنة ٧٩ سنة ١



جريدة تاريخية علمية تحرير مصر واسكندرية

Imprimerie Raquenau, rue Joquelet, 5.



محمد علي جنتمكان ينظر من السماء ذل اهل مصر وفقرهم فيتحسر ويتحسب في فرعون وابنه الاهبل

Du haut du ciel Mohamed Aly verse des larmes sur les misères de son peuple

من صحف يعقوب الأولى فى باريس

الجليل أبو نضاره زرقا وبه يفيدنا أنه اتفق مع الموسيو راجنو (١) الطبيع بباريز على نشر جريدة النظارات المصرية التى نحن عازمين على تأليفها لتنوير أبناء وطننا العزيز وإرشادهم فى سبيل الحرية، فالمسيو راجنو قبل وعيّن للنسخ شخص على معرفة عظيمة فى لغتنا العربية ، وتعهد بأن يطبع خمسة آلاف نسخة من كل عدد ويرسلها بطريقة حسنة إلى وكلانا للبيع

الرئيس — أبو نضاره زرقا رجل لطيف ويستحق أفخر المدح لكونه يسعى دايما فيما ينتج منه تهذيب وتنوير وشرف أولاد بلده

أحد الأعضاء — أمّال لايه بطل أورايح يبطل نضارته ؟

الرئيس — هو الله يحفظه قبل ارتحاله من ديارنا كان أوعد بنشر ثلاثون عدد بصفة رحلة ، فعندما انتهت الأعداد المذكورة ، جمعيتنا الشريفة التمست منه بأن يكتب ثلاثون نمرة أخرى . فامتثل لأوامرنا وفعل ذلك ، فالآن يجب علينا بأن نتبع قدوته ونرفع عنه هذه المشقة ، ونجاهد نحن مثله فى ميدان الحرية وحب الوطن

الخطيب — أبو نضارة زرقا اكتسب له اسم لايموت بل يصير حتى خالد بعد موته

الشاعر — كما قال أحد شعرانا

«أخو العلم حيّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم»
«وذو الجهل ميت وهو ماشي على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم»

الخطيب — الله الله ! ما أعذب هذه الأبيات ! ربنا مايحرمنا منك ياشيخ يوسف ياشفعاوى ياشاعرنا العزيز ، أما احنا يرجع مرجوعنا إلى أمر جرنالنا الجديد .

أمين الصندوق — أنا بناء على أمر رئيسنا المحترم أرسلت إلى الطبيع الدراهم اللازمة إلى طبع العدد الأول والثانى ، وحين يصير بيعهم هنا واسكندرية ، جميع الأرباح التى تنتج من بعد المصاريف نفرقها على مساكينا

١ — جاء ذكره فى أكثر من موضع فى مجلاته الاخري

الذين يومى فى الزيادة لكثرة ظلم الحكام وجورهم .

كاتب اليد — جزاك الله خير يا أمين صندوق ، وأنا أنسخ جميع المقالات والمحاورات التى يتلونها علينا أعضاء شركتنا الخيريةوأرسلها إليه، وأكتب خطاب لأستاذنا أبو نضاره زرقا وأترجاه بأنه يتفضل علينا ويكتب لنا مخاطبة ظريفة يوضح لنا فيها رأى جرايد أوربا من ظلم فرعون الأكبر مدة تسلطه على برنا .

الخطيب — حضرة الشيخ يوسف الشفغاوى شاعر محفلنا الشريف مؤلف الرحلة المشهورة فى تاريخ المطرود التى درجها فى رحلته جمس أبو نظاره زرقا كتب مقامه عظيمة فى هذا الموضوع ...

الرئيس — سمعنا ياسيدنا مقامتك الظريفة !

الشاعر — ولو أنها ليست فى محلها . مع كل ذلك سمعاً وطاعة .

وهكذا شرحت جلسة يوم الجمعة المبارك سياسة المجلة ، وهى نفس السياسة التى عرفناها عن مجلاته الثلاث التى صدرت من قبل ، ونجد فى (النظارات المصرية) أيضاً نفس الموضــوعات التى طرقت فى أكثر من عدد فى صحفه الأخرى فنقرأ « المقامة المصرية » التى جاء ذكرها فى (الجلسة) ونرى تمثيلية لطيفةمنعدة فصول، وقعت حوادثها « فى سوق السلاح بين زمزم بيّـاعةعيش فارشه على الأرض ،وابنها رضيع على يدها ، وديوس أغا قواص تحصيلات الفردة،وهى تعرض لنا صورة من قسوة الضرائب المفروضة على صغار الباعة،وصلف الموظفين وجبروتهم ، وتدخل الأجانب فى أخص مسائلنا ، ثم يمضى المحرر فيقدم المحاورة التقليدية بين (أبو خليل وأبو نضاره) (٢) على طريقته المتبعة .

وإذا كنا قد لاحظنا أن صحف يعقوب قد هاجمت رياض باشا فى أكثر من موضع ، فأن النظارات المصرية تعتبر صحيفة (تخصص) فى الحملة على ذلك الوزير المصرى الذى تسميه « أبو ريضه » وتدخل فى هذا التخصص أيضا الوزير نوبار ،

---

١ ـ النظارات المصرية ـ العدد الأول ص ١٠

٢ ـ النظارات المصرية ـ العدد الأول ص ١٤

وقد رأينا فى أحد أعدادها (١) محاورات خاصة بما نشرته جرائد أورباعن « الواد الأهبل والوزير نوبار ورياض » وفيها تعليقات شديدة اللهجة تجاوزت المفهوم فى ذلك الزمان،وخاصة تلك التعليقات التى جاءت فى معرض التحدث عن «محفل محبين الوطن تحت رياسة أبى نظاره معظمه » وقد انفرد هذا العدد تقريبا بما أشرنا إليه وحسبنا هذا الحديث الطويل الممتع عن الخمسين ألف جنيه التى دفعت رشاوى فى تركيا فى سبيل الحصول على فرمان تولية توفيق للأريكة الخديوية ، بينما الشعب المصرى يتضور جوعاً ويموت أبناؤه بالعشرات نتيجة البؤس والفاقة،وينوء أغنياؤه بالضرائب الباهظة التى أفسدت عليهم طعم الحياة .

ويصور يعقوب بن صنوع الخصومة التى بين رياض وبين الصحفيين الأحرار ، ومدى العنف الذى اتبعه معهم ، حتى وصم عهده فى شئونهم بأنه عهد المحنة التى لم تر لها مصر شبيها لا من قبل ولا من بعد ، فقد أغلق الصحف وصادرها ونفى كثيرين من الكتاب وأصحاب الجرائد فى سنة ١٨٨٠ وفى مقدمتهم أديب اسحق صاحب جريدة (مصر) وهى جريدة وطنية أصدرها هذا الشاب معبرة عن رأى الحزب الوطنى (٢) ويقص علينا المترجم له قصة رياض مع أديب فى « محاورة بين الواد المرق ووزيره المشخلع » ومفهوم أن« المرق » هنا هو الخديو توفيق ، الذى اعترض على رياض فى أحد الموضوعات فقال : —

الوزير — يظهر أنك اطلعت على جورنال مصر اللى قفلناه هنا وفتحوه فى باريز، ماتسمعش كلام الواد أديب ، ده رجل طويل اللسان يعرف له كلمتين ثلاثة نحو يتباهى بهم ... ياريتك سمعت شورتى كنا سقيناه (٣) وخلصنا منه ومن شبكته هو الثانى ،لأن مع الشبان اللى من العينة الخبيثه دى اللى تتجاسر وتحكى فى حق أسيادها ، المعروف ماينفعش ولايجوش إلا بالمتلوف .

الواد — طيب ونسكت العفريت ده ازاى كان ؟

---

١ — النظارات المصرية — العدد الثانى

٢ — راجع تطور الصحافة المصرية للمؤلف ص ٢٤٦ وأعلام الصحافة العربية ص ١١٦ وما بعدها

٣ — أى سقوه فنجان القهوة التقليدى ، وهو مخلوط بالسم كما يحدثنا يعقوب فى أكثر من موضع

الوزير — إذا سمعت شورتى أبو شرف (١) وبابا راغب وعمر لطفى وعزمى وثابت وحيدر وشاهين والمفتى والبكرى اللى جميعهم أعداك ومايلين لعم أبوك ، يسكت أديب القبيح ، لأنه هو رايدلهم ومحسوبهم ، وفى الواقع إحنا ماحناش قدر لسانه ... كلب ينتش لحمه ، أسكت ياأفندينا أنا منغاظ من الجدع ده واللى يحكمنى عليه أقطم زمارة حلقه لأنه هو اللى بيهيج العالم علينا بكلامه اللى زى الرصاص ... » (٢)


أديب اسحق

وحقا لم يكن توفيق ولا رياض بكفئين للأديب الكاتب أديب اسحق ، فقد أصدر فى باريس جريدته باسم (مصر القاهرة) نشر فيها عدة مقالات ، تعتبر فى ذمة التاريخ من الروائع التى كتبها صحفى فى جريدة سيارة ، وكانت تلك المقالات تعبر عن أمانى الحزب الوطنى وأحرار البلاد ، وفى مقدمتهم شريف باشا وأنصاره من الديمقراطيين .

ولا تعنى الجملة على توفيق ورياض وغيرهم من أصحاب الشأن أن ابن صنوع قد انصرف عن إسماعيل ، فذلك أمر لا يستقيم مع طبيعة الصحفى المجاهد الذى لا ينسى الإساءة ، والذى هاجر ليوظف قلمه فى فضح سيرة الخديو ، وقد قرأنا له فى هذا المعنى لوناً جديداً لم يلجأ إليه من قبل ، حمل فيه على إسماعيل ؛ وعرض لحياته فى إيطاليا ، وهى صورة لطيفة جاءت تحت عنوان (الإصحاح الأول) ننقل منها فقرات من الصفحات الست التى استغرقها هذا الموضوع

إرميا — كيف جالس فى نابولى لوحده الأمير ؟

أبو نظاره — لأن الناس الطاهره تبعد عن الخنزير

إرميا — من يسكن الآن فى سراياتك الفاخرة يافرعون ؟

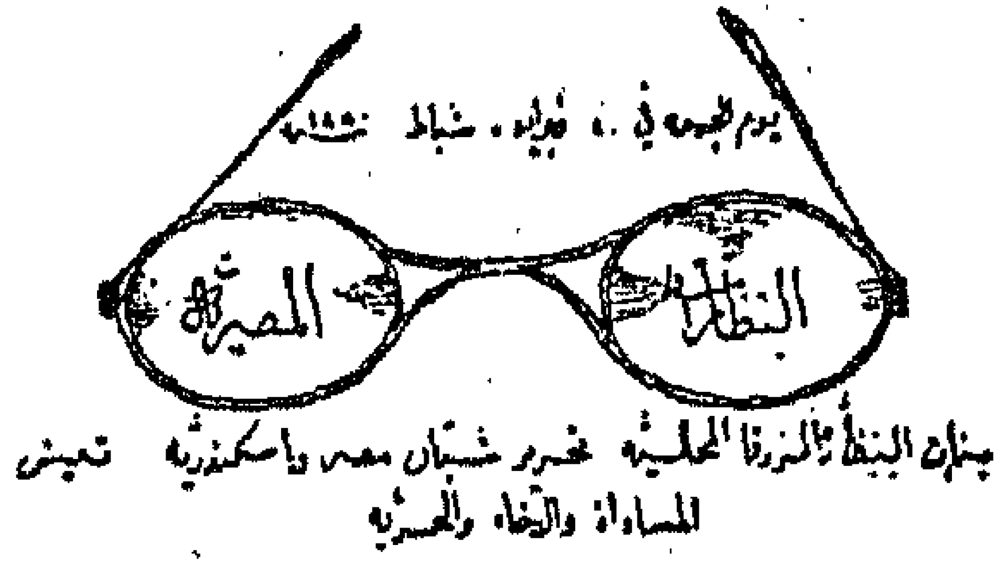
أبو نظاره — الفيران لأن بنبيعها فى المزاد لدفع الديون

١ — يقصد شريف باشا ، وبقية الأسماء من الوزراء ورجال الدين الأحرار

٢ — النظارات المصرية — العدد الثالث ص ٤ ، ٥

إرميا — كيف صبح الخديوى الجليل أذل الأمراء ؟
أبونظاره — لكونه استهزأ بالملوك والوزراء
إرميا — يبكى اسمعيل فى الليل ودموعه على خده
أبونظاره — نعم ومن غيظه . . . . (١) روحه بيده
إرميا — مافضل له معز من محبينه
أبونظاره — لكونه ظلم شعبه وكفر فى دينه
إرميا — فى يوم الضيق أصحابه تبروا عنه وفاتوه
أبونظاره — من خوفهم لكونهم فى هلاك العالم ساعدوه
إرميا — إرحم يارب وافرج على اسماعيل
أبونظاره — الله لايرحم من خرب وادى النيل
إرميا — صبحت الجيزة والجزيرة والعباسية وعبدين
أبونظاره — نايحه على اللى بناها من دمنا فرعون اللعين
إرميا — عيب على أهل مصر تفرح وترقص فى الطريق
أبونظاره — معلوم تفرح فى سقوط وطرد قاتل الصديق
إرميا — صبحت سراريه مزلات وهى فى مراره
أبونظاره — بلاهلس ، دى قالت له فى داهيه ياشيخ الحاره
إرميا — ليلا ونهاراً بتندب عليه السرارى الجمالات
أبونظاره — الوالده باعتهم وبينبسطوا عند العايقات ، ومن وقتها فى مصرنا زاد ، بين الشبان السكر والفساد ، وألطف جدعان دمياط ورشيد واسكندرية، نزلت على . . . .(٢) وصرفت من الجنيهات بالميه ، وشافت لها المفاسيد فى مصرنا يوم ، ونزلت مع سرارى فرعون فى بحر المحبة عوم ،والكم صبيه اللى أخذها معه فرعون ، لتسلّيه على همه فى بلاد الماكرون ، بيخطفوها منه فى نابلى الجدعان ، رغماً عن أنفه وأنف الخصيان، ولسه ياما يشوف من الهوان اسمعيل ، ربنا يعاقب الظالم إنما بالطويل (٣)

١ ـ هنا لفظ يمنعنا الحياء من ذكره
٢ ـ هنا لفظ لا يليق نشره
٣ ـ النظارات المصرية ـ العدد الخامس ص ٧ ، ٨





الخديو يحتضن الفلاح ليتيح الفرصة لوزرائه كي يسرقوه !...

وهكذا يستمر الكاتب مؤرخاً لإسماعيل وسيرته فى مصر وإيطاليا فى هذا (الإصحاح) الطريف ! ويستطيع قارىء هذا الفصل الممتع أن يدرس تاريخ الخديو الخاص بتفاصيله وما خفى منها كما أنه صور لنا لوناً من ألوان الحياة الاجتماعية التى عاشتها مصر فى عهده ، سواء اتصل ذلك بالبيت المالك أو اتصل بعامة الناس ، فقد شرح لنا كثيراً من مفاسد العصر ، موضحاً الانهيار فى النظام الاجتماعى الذى أصاب الحاكم والمحكوم على السواء

وقد تفردت مجلة (النظارات المصرية) بهذا اللون من الحوار الغريب فى « أسماء » أصحابه وفى سجعه ، بل لعلها كانت أول صحفه التى نشرت حواراً مسجوعاً ، هذا إلى تميزها عن الصحف الثلاث الأولى بنشر أخبار قصيرة عن الحالة المالية والاجتماعية والسياسية والخلقية فى مصر ، وكلها تنعى المفاسد التى يرتكبها الخديو توفيق وأنصاره من عمد ومشايخ ومديرين ووزراء ، وعلى رأسهم خصم أبى نظارة الأول رياض باشا أو (أبوريضه) كما تسميه (١)

وقد اتهم يعقوب بن صنوع منذ نفى من مصر بأنه صنيعة البرنس حليم الذى كان يدعو له ويرجو أن يعين أميراً على البلاد ، وقد رأينا فى (النظارات المصرية) نفياً لهذه الشائعات التى أطلقها أعوان توفيق ، وقد ذكر أن (الواد الأهبل) أى توفيق ، بعث إليه يطلب عودته إلى مصر عارضاً عرضاً مجزياً من الناحيتين الأدبية والمادية « إنما أنا ماقبلتش لعلمى أن الإبن أذرط من الأب » ثم يبين فى حديثه سخف الشائعة التى تزعم أن حليما أمده بالمال ، وهذا أمر متعذر لأن « اسماعيل ماخلاش أموال عند حليم باشا ينفق بها على محررين جرانيل مثلنا » ويبين أن المال الذى يحتاج إليه يحصل

١ — راجع أعداد النظارات المصرية وخاصة العدد الثامن

عليه بعرق الجبين ، إذ لنا صنايع بنربح منها ونصرف على جرايدنا وهذا لكثرة محبتنا فى استقلال وطننا . . . .فأنا صنعتى خوجة ألسن ، ولله الحمد لى فى باريز تلامذه عديده ، وبكتب فى جرايد انكليزية وفرنساوية ونمساويه وإيطاليانيه ولى عليهم مرتبات أيضاً ، فهكذا أنا مبسوط ولست مفتقراً لمساعدة أحد . . . » وهذا إعلان صريح وجبت إذاعته رداً على خصوم المواطن المنفى ، وقد اختار له النظارات المصرية ، فانفردت به دون صحفه الأخرى

وقصارى القول فى (النظارات المصرية) إنها تكاد بحجمها وموضوعاتها ، تنحرف كثيراً عن صحف يعقوب بن صنوع الأخرى ، حتى إنه ذكر على أعدادها « السنة الأولى » وكان المفروض أن تكون السنة الرابعة فى سيرة مجلاته المختلفة ، لأنه حين أبطل إصدارها ونشر « أبو صفارة » ذكر على الأخيرة (السنة الرابعة) كأن أبا صفارة وصل ما انقطع من أبى نظارة زرقا ، وليست صحيفة جديدة كالنظارات المصرية ، وهى أى — أبو صفارة — ليست جديده فى شىء يتصل بالشكل أو الموضوع كما سنرى فى الفصل التالى

١ — النظارات المصرية — العدد السابع ص ٥ ١

أبو صفارة

هى وصل ماانقطع من مجلة أبى نظارة زرقا ، وهى تكملة لها وصورة مطابقة فى الشكل والموضوع. صدرت (أبو صفارة Le Flutiste) فى السنة الرابعة من تاريخ صحف يعقوب بن صنوع ولم ينشر منها إلا ثلاثة أعداد فقط ، ثم أمرت الحكومة المصرية بمصادرتها ، وتعذر عليه متابعة إخراجها بهذا الاسم ، كما أشرنا إلى ذلك فى أكثر من موضع ، وهى كما يقول محررها « جريدة هزلية أسبوعية لانبساط الشبان المصرية، يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية ، منشئها محب الاستقلال والحرية » .



لويس صابونجى وكان فى مقدمة من كتب فى صحف يعقوب بن صنوع

صدر العدد الأول من (أبو صفارة) فى ٤ يونيه سنة ١٨٨٠ أى بعد اختفاء (النظارات المصرية) بنحو ثلاثة أشهر ، وقد ذكر لنا يعقوب أسباب مصادرة وإغلاق صحيفته « النظارات المصرية » ذكرها باسم غريب ، قال إنها (الغدارات المصرية) وكان فى وسعنا أن نعتبر ذلك خطأ فى النقل لولا أن الاسم تكرر فى أكثر

من موضع ، حتى إنه أطلق على إسم صحفه (الغدارات) (والغدارة الزرقاء) ويحدثنا عن آخر عدد من النظارات المصرية على لسان مدير البوسطه « . . . إنما هو يكون



جريدة هزلية اسبوعية لانبساط الشبان
المصرية يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية منشئها محب الاستقلال والحرية

زنقول ابناء مصر واسكندرية — حينما نطلع على هذه الجريدة البهية — الى ابي خليل صديق استاذهم ابوصفاره — اللى نهس وانتصر على عدوهم شيخ الحارة) — شوف الرسم ده وفهمنا معناه — ياخ يا حلاه يا بوخليل — ده شي ماعمرنا شفناه — ولا على ايام صاحبك اسماعيل ،

— (ابو خليل الحدق — عدو الولد المرق — ينظر الى الرسم بالعينين — ويقول لهم بعدما يضحك ضحكة طالعين) — الوشنى ده اللى بيدق على الصفاره — ده اسمه عند الجميع معلوم — ده استاذنا ابو نضاره — اللى البد من انسه محروم — وباقي الرسم يا مصرى منظره يكفيك — الشخصين دول المركوبين — اللى على اليمين — ده حبيب فردريك — واللى على الشمال دزرئيلي باشة الطاليانيه — واللى يشجعهم في ديتهم الكباء — دول ابو شرف والطرطشي غبان — واللى بيطبلوا لهم نعرفهم الفلاح ابو شادوف — والشيخ عنكبوت الفيلسوف ،

(ابناء مصر حينما يسمعوا هذا الكلام — ينبسطوا ويقولوا لابي خليل ابن الكرام) الله عليك يا زينة وطننا العزيز — دا منة نفسنا اولاد لوندره وباريس — في الحداقه والفهم والشطارة وتبغهم رسوميات ولينا ابو صفارة ،

(ثم يتشهدون اجمعين. وينظرون الى الرسم وهم نايلين) — هات من حكاياتك يا بوصفاره هات — والحرب سينا معنا بالنظافه — وانت يا شيخ فراقك علينا طال — ومن بعدك صحا

من صحف يعقوب فى باريس

فرّق الجرانيل — على جميع سكان وادى النيل — والعدد العاشر من الغدارات المصرية — اللى أمرنا بتعطيله لكون عليه صورة حايم — فرقوا يعنى باعوا منه

عشرة آلاف وخمسمية . . . » (١) ولم تنشر لحليم صورة إلا فى صدر العدد العاشر من النظارات المصرية .

ومما يؤكد وجهة نظرنا فى أن يعقوباً إنما يعنى (بالغدارات) صحفه المختلفة قوله « أنا صار لى ثلاث سنوات — باقول لكم ياإخوانى وأعيد — فى الغدارة الزرقاء وفى الغدارات . . . » (٢) ثم يقول فى مكان آخر عن شعور مواطنيه حين ترامى إليهم نبأ مصادرة النظارات المصرية وإغلاقها « واحنا ياشيخ كنا فى غاية القلق عليك ، وكان اللى يضربنا بالفوله نطق ، لما شفنا فى الجرانيل المحلية أن الغدارات المصرية صار تعطيلها . . . وفى الواقع ولو انهم عطلوا الغدارات بعد العدد التاسع — أنت ماخيبتش أملنا وبرضك نشرت العدد العاشر ورسمت عليه صورة حبيبنا أبو الحلم الشريفة ، وأرسلت لنا منها آلافات من النسخ . . . وحصل لنا غاية الفرح والسرور بمطالعتها لكونهامبشرة بخلع الواد الأهبل وأبو ريضه اللعين ... » (٣) وهذه هى محتويات العدد العاشر من النظارات المصرية التى طبعت وفى صدرها صورة حليم وفى طياتها حديث عن أمانى يعقوب فى عزل توفيق .

وقصارى القول فى هذه الأعداد الثلاثة من (أبو صفارة) أنها مضت على سجية مجلات المترجم له الأولى ، ليس فيها جديد لا فى صورها ولا فى موضوعاتها ، غير أنها اشتملت على اتفاق مع صحفى معروف وخلاف مع صحفى كبير آخر، أما الاتفاق والإعجاب اللذين نعنيهما فيتصلان بالقس لويس صابونجى صاحب مجلة النحلة التى كانت تصدر فى لندن إذ ذاك فقد نشر صابونجى مقالا باللغة الإنجليزية أرضى يعقوب بن صنوع ، فأشاد بالمقال وصاحبه ، وكتب يقول « ومن أراد منكم يقراها ياإخوان — فيجدها مترجمة بالعربى بأفصح لسان — فى جريدة النحلة عدوة الكسل — اللى كلامها أحلى من العسل — ومحررها بلندره الفاضل سيدى الصابونجى اللطيف — فلكونه صابونجى كلامه نقى ونظيف — وجرناله مملوء من مواعظ وحكم فريده — ومقالات فى الآداب والعلوم والفنون مفيده — ترشد القارى فى طريق التمدن والكمال — وتطرب الشاعر لكونها عذبة لذيذة الأقوال — حفظ البارى من كل شر منشيها — وطرح

---

١ — أبو صفارة — العدد الأول ص ٤ النهر ٢
٢ — أبو صفارة — العدد الأول ص ٣ آخر النهر الاول
٣ — أبو صفاره — العدد الثالث — الصفحة الأولى

الله لنا البركة فيها . » (١)

بهذا الأسلوب الرقيق ، وبهذه المشاعر الدقيقة أكرم كاتبنا زميله فى لندن ، لأنه دأب على نصرة القضية المصرية والدفاع عنها فى شتى المناسبات ، أما الصحفى الآخر الذى حمل عليه يعقوب حملة شعواء فهو واحد من أعلام الصحافة العربيه الذين لا ينكر فضلهم ، هو أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة (الجوائب) كبرى صحف الشرق العربية التى كانت تصدر فى الآستانة (٢) وقد كان الشدياق صديقاً للخديو إسماعيل وأبى أن ينشر مقالا رسمياً من الحكومة التركية يتضمن الإساءة إلى صديقه ، فعطلت صحيفته لذلك عدة شهور .

وقد دأب الشدياق على تحية ابن صديقه خديو مصر توفيق فى صحيفة (الجوائب) فنشر له يعقوب بن صنوع كتاباً مفتوحاً بعنوان (من أبى صفاره بباريس إلى حضرة محرر الجوائب بالآستانة) (٣) جاء فيه « بالله عليك ياشيخى يابو لحية بيضاء محترمة تفضك من كتابة مقالات لا ينتج لشرفك منها إلا العار والاحتقار — إنت بسم الله ماشاء الله رجل عالم وفاضل ، وأخو العلم حبيب الحق وعدو الباطل ، فكيف تحط الساق على الساق (٤) وتنجس قلمك بتحرير أقوال فى مدح من لا يليق — مثل رياض وتوفيق ؟ ده كلام عيب ياسى الشيخ ، وماحدش من زملاتك يرضى به خصوصاً داعيك اللى يوقرك ويعرف مقامك — أهو باقول لك النوبه دى بالمعروف يعنى بالتى هى أحسن ، وإذا ماقبلتش النصيحة والله ألتزم أدرج فى جرنالى القادم جميع مقالات أبناء مصر فى حقك يافارس ، وتبقى من غير مؤاخذه هتيكه وجرسه . . . » ثم لا يكتفى أبو نظارة بتهديد الشدياق بل ينشر مقالا مقذعاً فيه ، استغرق صفحة كاملة ، معتذراً بأنه اضطر إلى نشره لأن صاحبه « أقسم بشرف والد وجد يعقـــوب » أن ينشر بمجرد وصوله .

واحتوى العددان الثانى والثالث حديثاً رائعاً عن « سى موسى العقاد والضابطان أمام الواد الأهبل ووزيره» وهو يقص فى هذين العددين ماصنعته الحكومة مع موسى

١ ـ أبو صفارة ـ العدد الأول ص ٣ نهر ٢

٢ ـ أعلام الصحافة العربية للمؤلف ص ٣٦ ومابعدها .

٣ ـ أبو صفارة ـ العدد الثانى ص ٢ نهر ٢

٤ ـ هذا عنوان كتاب ألفه أحمد فارس الشدياق حتى سمى « صاحب الساق على الساق »

العقاد الوطنى المصرى المعروف ، ومدى الظلم الذى أوقعته به وبمجموعة من ضباط الجيش ، ويعرض لنا دور رياض باشا فى هذه المأساة ، سواء بالألفاظ أو بالرسوم ، فى أسلوب غاية فى العنف والشدة ، الأمر الذى ترتب عليه مصادرتها من الدخول إلى الديار المصرية ، وفى ذلك يقول أبو نظارة « . . . قلت يا ربى نور عقلى وفهمى وانصرنى على الواد الأمرد مصطفى فهمى ، اللى أمر بتعطيل صفارتى البهية ، العزيزة عند الشبان المصرية ، فأجابنى من السماء سيدنا جبرائيل ، وقال لى يا حبيب وادى النيل ، إعلم أن أبو ريضة اللعين والواد ، لما قروا الثلاثة أعداد ، اللى نشرتهم فى الصفاره ، طلع الدم فى راسهم وعملوا غاره . . . فحالا وأمر يرف للبوسطة الفرنساويه بحجز العـــدد الثالث من الصفارة المحميه ، إنما سعادة مدير البوسطة كان من زمان فرقها ، ووكيلى أوغسطينى على الزباين وزعها ، فأرسل من وقتها من غيظه ناظر الخارجية ، صورة الدكريتو للجرائد المحلية ، وبه يقول إن من حيث جرنال أبو صفارة ، هو من تحرير الشيخ أبو نضاره ، فلزم منع دخوله فى الديار المصرية لأنه ضد الحكومة ومهيج الرعية . . . » (١)



صاحب الجوائب ، صديق اسماعيل وخصم صنوع .

وقد كان يعقوب عنيفاً حقاً فى حملته على الخديو وحكومته ، غير أنه كتب فى موسى العقاد خير ما كتب فى مواطن يستحق تقدير وطنه ، وقد استغرق مدح العقاد الصفحة الأولى ومعظم الصفحة الثانية من العدد الثانى وقد جاء فى هذا المقال « أول كل شىء يا حبيبى يا مصرى ، يا نور عينى يا فريد عصرى ، يا فخر أبناء الشرق أجمعين ، أهنيك على عدم خوفك

---

١ ـ أبو زمارة ـ العدد الأول فى ١٧ يوليو ١٨٨٠ ص ١

من الظالمين ، وهم الولد الأهبل الرذيل ، ووزيره عدو وادى النيل . . . ياما حصل لى انشراح وسرور ، حينما بلغنى أن سى موسى المشهور ، الرجل الحر حبيب الحق ، خلى أبو ريضه من الغيظ يطق . . . والله عفارم عليك ياعقاد ، ماتخافشى من أبو ريضه والواد ، دول هو انم ماهمش رجال ؛ ويظهر من فعلهم أنهم أندال ، لأن لو كانوا صحيح حكام ، ما كانوش يهجموا عليك فى الظلام ، ويهينوك ياسيدى ياشريف ، إنما برضه ربك حليم لطيف ، ينجيك من أيدى هؤلاء الكلاب ، وللنصر يفتح لك ألف باب » .

ثم يبلغ الثناء على العقاد أقصاه ، وذلك فى قوله « انت استمر على دا الشهامه والجداعه وكن ميقن ياحبيب ، أن الفرج جاى من قريب ، ماعليهشى إنت تحمل جور الظالمين ، يلطف يا أبناء مصر رب العالمين ، دى جميع الجرانيل الفرنجية ، كتبت فى حقك مقالات مدحيه ، ومن جملة ماقالت هؤلاء الجرانيل ، قالت إن موسى الأول كليم الله نجا أبناء إسرائيل من المظالم الفرعونية ، وموسى الثانى سوف يخلص الديار المصرية . . . »

وهكذا سار أبو نظارة على هذا الدرب فى معالجة الشئون السياسية ، وبيان قيم الرجال ، يهجو خصومه هجاء خلا من العفة ونزل إلى الحضيض فى المعانى العبارات حتى ليصدمنا ذلك ، فنأبى تسجيله فى مطبوع ، ويمدح أصدقاءه فيغلو فى ذلك غلواً يشكك فى قدر الثناء ، غير أنه فى الحالين يترك لنا تفسيراً للحوادث وتصويراً للأشخاص ، لايمكن أن نغض الطرف عن نواحى الصدق فيها ونحن نفسر التاريخ على ضوء الوثائق الشعبية ، وأبو نظارة وثيقة شعبية جديرة بالنظر والاعتبار .

أبو زمـــــارة

أبو زمارة La Clarinette هى إحدى مجلات الضرورة ، إن صح التعبير ، الضرورة التى فرضت على يعقوب بن صنوع أن يغير فى أسماء صحفه ليستطيع إدخالها إلى مصر ، وأبو زمارة من حيث الشكل والموضوع صورة مطابقة لأبى صفارة وامتداد لأبى نظارة زرقاء مع اختلاف فى الرسوم والخطوط والأشكال، ولكنه اختلاف يسير، لولا تغيير الإسم لعز التفريق بين الصحيفة باسمها الأصيل أو باسمها الدخيل ، وقد التزم المحرر فى عددها الأول ، الأقوال العامية المسجوعة كما كانت الحال فى الصحف الصغيرة التى أصدرها تحايلا على الحكومة وعيونها .

وتضمنت الافتتاحية بيانات طريفة ننشرها كاملة «بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أنبيائه أجمعين. أما بعد فيقول العبد الحقير أبو زمارة. لما بلغنى بأن صدر أمر من ناظر الخارجية. بقفش وكسر الصفارة .الساعية فى استحصال التمدن والحرية. قلت يارب نور عقلى وفهمى . وانصرنى على الواد الأمرد مصطفى فهمى. اللى أمر بتعطيل صفارتى البهيه . العزيزه عند الشبان المصرية . فأجابنى من السما سيدنا جبرائيل . وقال لى يا حبيب وادى النيل اعلم أن أبو ريضه اللعين والواد. لما قرأوا الثلاثه أعداد اللى نشرتهم فى الصفارة . طلع الدم فى راسهم وعملوا عليهم غاره. وبعتوا ندهوا الواد مصطفى. وبالأقلام ورموا له الخد والقفا. وقالوا له شابرق شابرق. فارتعش فهمى . . . فى لباسه . وخاف من الظالمين على فقد راسه . فخالا وأمر يرف للبوسطه الفرنساوية . لحجز العدد الثالث من الصفارة المحمية . إنما سعادة مدير البوسطة كان من زمان فرقها ، ووكيلى أوغسطينى على الزباين وزعها . فأرسل من وقتها من غيظه ناظر الخارجية . صورة الديكريتو للجرائد المحلية . وبه يقول أن من حيث جرنال أبو صفاره . هو تحرير الشيخ أبو نضاره . فيلزم منع دخوله فى الديار المصرية . لأنه ضد الحكومة ومهيج الرعية . فتأسفوا أبناء مصر أجمعين . وظنوا أن علينا انتصر الظالمين ، إنما فشروا والله العظيم . . . »

غير أنه يعلق على ذلك بقوله « . . . برضنا إحنا نغيظهم بجاه الحليم العليم، وبننزل

السوق ونشترى لنا قطعة زمارة ، فى الصوت والطرب تفوق الصفارة ، ونزمر فيها أدوار عجيبة ، تنحمق من سمعها الحضرة الكئيبة . . . وبمطالعته يسلى أحبابه على همهم ، وينسيهم كربهم وغمهم » ثم يعتذر المحرر لقرائه بأنه سيستعمل فى التعبير عن أفكاره «العربى الدارج الصريح المستعمل عند الخاص والعام ، بين أبناء مصر الكرام» وهو يذكر الموضوعات والمحاورات التى سينشرها وهى على النهج القديم ، ثم يقول إن مواطنيه طلبوا إليه « إن فضلت فى جرنالك حته بيضا ، شك لنا فيها سيرة الواد وأبو ريضه ... » غير أن الكاتب يطلب من مواطنيه مساعدته فى تحرير، أبو زماره « وإن حد فيكم تفضل علينا بقصيدة ، أو بمقالة عظيمة حميدة ، فى حق رياض والواد وفلسن ، نقول له ألف بركات ورسن ....»

وهكذا حقق يعقوب فى الأعداد الثلاثة التى طبعت من هذه الصحيفة سياسته التى وعد بها ، وقد خص الخديو توفيق بنقده العنيف الساخر المتصل ، وشرح - فيما شرح - موقفه من أبيه وقبض يده عنه ، واعتبر ذلك زلة لا تليق بكريم «فأن قلتوا لى إن المطرود يستاهل ده كله ، أجاوبكم أن يكفيه عزله وزله ، إنما ابنه اللى اشترى له الوراثة(١) بملايين ما كانش لازم يعامله كالأجنبيين، أنا مش قصدى أحامى على المطرود إنما مرادى أوريكم خساسة المولود ، بقى اللى ماله خير فى أبوه وعايلته، كيف يكون له خير فى وطنه ورعيته ، إخص عليك ياواد يافرد ريك ، والله خسارة الخديوية فيك »

ويحدثنا العدد الثانى من (أبو زماره)(٢) عن وصول العدد الأول واستقبال رياض باشا له ، وهو حديث ممتع طريف ، غير أنه لا ينشر لكثرة ما فيه من عبارات لا تليق بأن تكون فى مطبوع ، غير أنه يومىء إلى أن الصحيفة كانت فى كل يد بالرغم من الحكومة وعيونها ، كما يتميز العدد الثانى من (أبو زمارة) بكثرة المراسلات التى جاءت إلى المحرر من مصر ، وهى فى معظمها ركيكة العبارة ، فلا هى عربية ولا هى عامية ، كما أن موضوعاتها فى عمومها تافهة لا تستحق النشر أو التعليق

---

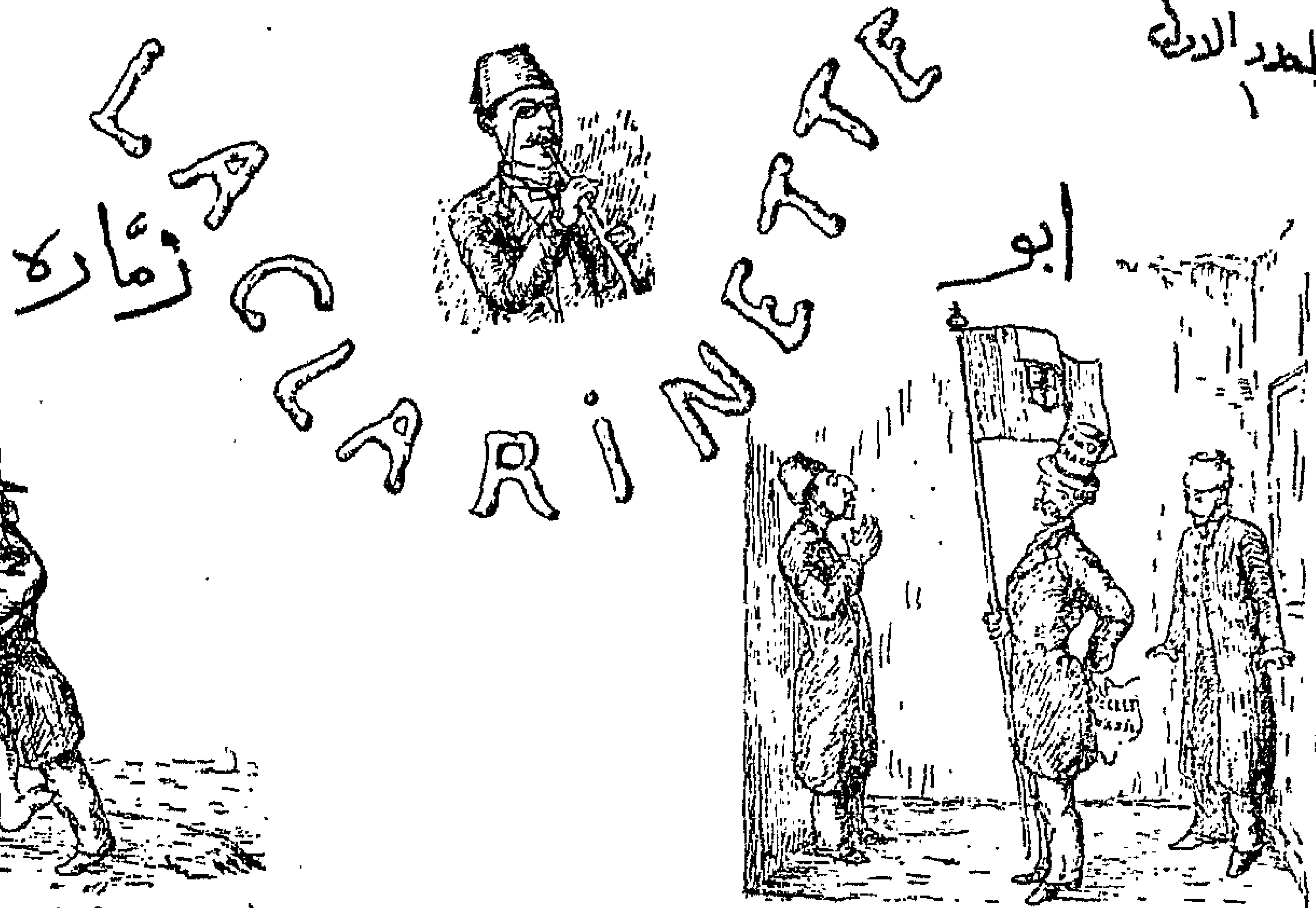
١ ـ كانت وراثة العرش قبل تعيين اسماعيل لأرشد الأسرة ، ولكنه حين عين خديو ياعلى مصر جعل الوراثة لتوفيق ودفع مالا كثيراً للسلطان ووزرائه فى سبيل تحقيق هذا الغرض

٢ ـ العدد الثانى من أبو زماره الصادر فى ٢٩ يوليه ١٨٨٠

ويمتاز العدد الثالث وهو الأخير من (أبو زمارة) بأن المحرر قد ضـاق ذرعا بمواطنيه وتكاسلهم عن أداء واجبهم نحو التخلص من الخديو توفيق ، وأجرى ذلك على لسان « الحدق » فقال «أهو حاول المسكين أربع سنين كأنه بينفخ فى قربه مقطوعه والعالم بيتعجب وتقول ياترى بيجيب الـكلام ده كله منين ؟ إحنا بس نعرف نقرأ

السنة الرابعة

العدد الاول ١



Ismail recevant Chahin à Naples

Chahin faisant les honneurs aux décrets de Tewfik.

شيخ الحارة بيستقبل بابا شاهين بالاحضان فى ...

البرنس شاهين امام الوزير والعزيز بيتمل الديكريتو ليه العالى

Paris le 12 Juillet 1880

باريس فى ١٧ جوليو تموز سنة ١٨٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين — والصلاة والسلام على انبيائه اجمعين — اما بعد فيقول العبد الحقير ابو زمارة — لما بلغني ان صدر امر من ناظر الخارجيه — بتفتيش وكسر الصفاره — الساعيه في استحصال الفرح والطرب — قلت يا ربي نور عقلي وفهمي — وانصرني على الواد الامرد مصطفى فهمي — اللي امر بتعطيل صفارتي البهيه — العزيزه عند الشبان المصريه — فاجابني من السما سيدنا جبرايل — وقال لي يا حبيب وادي النيل اعلم ان ابو ريشه الملعون والواد — لما قروا الثلاثة اعداد — اللي نشرتهم في الصفاره — طلع الدم في راسهم وعملوا عليهم غاره — وبعتوا نزهوا الواد مصطفى — وبالاقلام ورموا له الخد والقفا — وقالوا له شابرق شابوق — احجز جريدة الصفاره والا نحطك على خازوق — فارتعش فهمي وجرى في لباسه — وخاف من الظالمين على فقد راسه — فقال وامر برف للبوسطه الفرنساويه — بحجز العدد الثالث من الصفاره المحبوبه — انما سعادة مدير البوسطه كان من زمان فرقها — ووكيلي اوغسطين على الزباين وزعها — فارسل من وقتها من غيظه ناظر الخارجيه — صورة الديكريتو للجرائد المحليه — وبه يقول ان من حيث جرنال ابو صفاره — هو تحرير الشيخ ابو نظاره — فيلزم منع دخوله في الديار المصريه — لانه ضد الحكومه ومهيج الرعيه — فقلت سعدنا ابنا مصر اجمعين — وظنوا ان علينا انتصر الظالمين — انما فشروا والله العظيم — برضنا احنا

من صحف يعقوب فى باريس

جرانيله ونقول الله الله ياكلام حلو ، يا أفكار عجيبه وما أشبه ... »(١) ثم يقول يعقوب على لسان (الحدق) مرة أخرى ، إنه خطب وسط حشد من خاصة الفرنسيين مبيناً جور توفيق وجبروته وظلمه لرعيته ، حتى بكى من فرط التأثر ، فأذا ترك منبر الخطابة ، سأله البعض « إن كان الأمر هكذا ، الأهالى ساكته ليه ؟ ولايه بتعمل زفه وزينه فى يوم عيـــد الواد ... ؟ بقى لازم يكونوا أولاد مصر أندال والأندال ما بيستحقوشى إن محبين الشرق والحرية يساعدوهم » !

وهكذا يزحم يعقوب بن صنوع صحيفته (أبو زمارة) بشكوى مرة من تهاون مواطنيه فى طلب حقوقهم المشروعة ، والسعى لإعلاء كلمة الحق والحرية ، وسوف نرى على مر السنين أن هذه الشكوى كانت متصلة وقوية ، لأن القوم رضوا الذل جيلا بعد جيل ، ولم يفرغوا منه بالرغم من جهاد الأحرار فى مصر وخارج مصر سنوات وسنوات .

وهو دائب السعى فى الحملة على رياض باشا أو « أبو ريضه » كما يسميه ، محمساً مواطنيه كى يقضوا على عيون هـذا الوزير الذين أفسدوا ذمم الناس وأخلاقهم ، وملأوا النفوس رعباً وخوفاً ، وقد بين ذلك كله فى محاورة بين « الحدق ومجدع فى حديقة الأزبكية » وننشر طرفا منها هنا كخاتمة توضح ماكانت تسعى إليه (الزّمارة) عند قرائها العديدين .

مجـــدع — إن كنت صحيح حدق وبتفهم الصورة إيه ، قل لى أمّال إمته الأمور تنصلح والأحوال تتعدل ، لأن الكيفية إذا استمرت على ماهى الناس قول عليها عِدْمتْ والسلام ، لأن ذوات وأعيان ووجوه العاصمة المصرية ما بيتيسرشى لأحد منهم أنه يروح يطل على صاحبه ، وده كله من كثرة أولاد... (٢) البصاصين المفترين الساعين فى قفل بيوت العالم وسبب الهلاك ده كله يكون أبو ريضه لأنه حلف بأبوه الوزّان أن يخرب ويحبس الناس الأبرياء خذاه الله

---

(١) العدد الثالث من أبو زمارة الصادر فى ٢٧ أغسطس ١٨٨٠

(٢) هنا لفظ رفعناه لأن نشره لايليق

الحـــدق ـــ وإنت التانى إن كنت مجدع صحيح كنت مع كم واحـد من إخوانك
تزنق كم بصّاص(١)من دول و ترقعهم علقه بنت هرمه كانوا يحرموا، إنما
إنت وأصحابك خسارة إسم مجدع فيكم ، بس تعرفوا تتكلموا
فى الهـــوا

وهكذا يمضى يعقوب بن صنوع على سجيته فى نشر المحاورات فى الزمارة كما نشرها فى غيرها من صحفه منذ أنشأ تلك الصحف إلى يوم قضى ، لا هوادة فى خصومة من خاصمهم ، ولا تراجع فى إيمانه بمن وثق منهم ، صنعة الكاتب الأبى النزيه ، والصحفى النادر المثال فى تاريخ عز فيه قرين لذلك الكاتب المناضل ، وقل من يقف إلى جانبه فى صفوف الأحرار

---

(١) هو ما نسميه بوليس سرى الآن .

الحاوى

وهذه مجلة أخرى من مجلات الضرورة ، الحاوى Le Charmeur ، صدرت عدة أعداد ، كل خمسة عشر يوماً تصدر نسخة منها ، وقد جرت فى سياستها ومزاجها على النهج الذى نشأ عليه أبو نظارة صحفه المختلفة ، وإنه لم يغير من مجلات الضرورة تلك إلا أسماءها ورءوس الصفحة الأولى فيها حتى تستخفى معالم الروح وراء الرسوم والأشكال ، ولا تفطن عيون الحكومة المصرية إليها ، وإن لم يغير سنوات الصدور التى سجلت على تلك الرءوس ، فالحاوى صدرت فى السنة الخامسة من حياة صحفه الكثار ، وإن كان نصيبها فى رسالة الرجل عدة أسابيع

صدرت « الحاوى الكاوى اللى يطلع من البحر الداوى عجايب النكت للكسلان والغاوى ويرمى الغشاش فى الجب الهاوى » يوم الجمعة ٥ فبراير ١٨٨١ ، وقد سبقت صدورها كراسة صغيرة الحجم سميت (مقدمة الحاوى) وهى فى مائة واثنتين وعشرين صفحة ، تضمنت كثيراً من الموضوعات المختلفة ، فقرأنا فصلا عن مجلة (الحاوى) بلهجة الشآميين زاخراً بفضائح الحكم فى مصر ، وفصولا أخرى عن السياسة الخارجية التى لها اتصال مباشر بالسياسة المصرية ، ثم عرض الكاتب « مخاطبات » بينه وبين تونسيين ، وهى من الطرائف الجديدة فى صحفه الطارئة ، ثم عنى فى هذه المقدمة ، ولعلها المرة الأولى ، بأمور تونس ، ولعل أسباب ذلك ترجع إلى الصلات التى بدأ يقيمها المترجم له مع باى تونس ومع غيره من أمراء الشرق ، كما ستفصح عن ذلك صحفه فى مستقبل الأيام ، وقد أكد هذا ، الفصل الممتع الذى نشره فى تعريب الألفاظ التونسية الظريفة ؛ هذا إلى مجموعة ضخمة من الأخبار المتفرقة عن شئون مصر الداخلية كتعيين المديرين والمحافظين وما إلى ذلك

وقد طبعت هذه المقدمة فى كراسة من الحجم الصغير ، ولم يشر صاحبها إلى أسباب طبعها ، كما لم يذكر فى أعطافها موعد صدورها ، ولم يعرف إن كانت هذه المقدمة قد نشرت أجزاء أو طبعت جملة ، فأنه لم يرقمها ، غير أنها كتبت بعدة خطوط وطبعت على الحجر ، وكان أسلوبها فى كثير من صفحاتها أسلوباً عربياً صحيحاً ،

LE CHARMEUR.

LIB. RTÉ, EGALITÉ, FRATERNITÉ.

السنة الخامسه — جرايد ابي نظاره

الحاوي

الحاوي الكاوي اللي بيطلع من البحر الداوي
عجايب النكت للكسلان والغاوي
ويرمي الخناس في الجب الهاوي
المدير والمحرر جمس سانوا ابو نضاره



La police retirant le Charmeur du turban du pauvre Fellah.

أهو الحاوي في عمتك يا فلاح نتوه عالك



La Vente du Charmeur à la barbe de la police.

اجمني على البارزية وخذ الحاوي

IMP. LEFEBVRE PASS. DU CAIRE 87 ET PARIS

العدد الاول يوم الجمعه ٥ فبرايو سنة ٨١

قال الحاوي

ا محوا تصدقوا يا ساده من قال — ان ماجتكم الحاوي مات او غرشوه الظالمون بالمال — لعدم ظهوره في الشهر اللي فات — الحاوي صاحب شرفنا ياخلان — وكان يصدر جرناله لولم يكن غيات — انما الشهر ده بازن الباري — يبيع بنوادره موين القاري — وينزل كالعاده بجريدته على مصرة الوزير والواد — اللي عاملين صنعتهم نهب اموال العباد — ويدرج في هذا العدد اخبار محفل ميدان الحريه — ويشهر بين الدم شجاعة الشبان المصريه — ولا يسأل من زم ابو عوزره محرر حقوق رياض — اللي ظلمه على ابناء مصرنا فاض — ويقدم الى مشتركين الحاوي الكرام — الواد ووزيره على سلالم الاهرام — وشريف الحدق وحيدر المالي المحبوبين عند جميع الاهالي — بينشوا في رجلين سعادة الوزير — وهو يتجر في رجلين سيده الخفير — فينا الواد ووزيره ساقطين من اعلا الاهرام — ابو الحلم طالع بعون الله وبهمة ابناء مصرنا الكرام ..... ان شاالله تنجح يا بابا شريف — انا والله بحبك لكونك ظريف — واشهد

من صحف يعقوب فى باريس

وإن غلب عليه طابع الكاتب الساخر والممثل الأصيـــل

وتتضمن الصفحات الأولى من (مقدمة الحـاوى) الأهداف التى صدرت لتحقيقها المجلة نفسها ، فيقول الكاتب « أول امبـارح ورد لى من الحدق جواب . وقال لى فيه ياحاوى طلع من الجراب . فتأملت فى قوله وفهمت الـكلام . وحالا نشرت الحـاوى

لسادتى الكرام. ودرجت فيه حوادث برنا الكريم. وذكرت فيه اسم حبيبكم الحليم . وزينته بأخبار الأمم الإفرنجية . المتمتعين بالسعادة والحرية ... » إلى أن يقول « بقى كل شهر مرة بيصدر الحاوى ، ويخاطب الأحباب بالعربى مش بالفرنسوى .... »

وقد عنيت (مقدمة الحاوى) عناية ملحوظة بحوادث الخارج ، وإن كانت قد دأبت على روايتها رابطة بينها وبين حوادث مصر ، فهو يحدثنا مثلا عن المؤآمرة التى تسعى إلى تنفيذها المانيا ضد فرنسا ، والجهد الذى تبذله للإيقاع بين إيطاليا وبين وطنه الثانى (١) فيقول « ... عمنا بنزرط « بسمارك » الثعلبى البروسيانى ، لما شاف أن جمهورية فرنسا المعظمه كلما لها لله الحمد فى التقدم والثروة والنجاح رايح بعيد عنك يطق من الغيظ ، وقاعد يبحث لها ليلا ونهاراً على مشكل يعنى خناقه من تحت رجلين الفراخ ، فأراد يرمى فتنة بينها وبين دولة إيطاليا المحمية ، ويجعل مملكة تونس سلم ، إنما الباى الذكى اللى يفهم الصورة إيه ، ماهوش مثل الولد الأهبل تور الله فى برسيمه فهم العباره وفقس ملعوب بنزرط وراضى الفريقين وفض المشكل ، والله جدع وبنزرط طلع قفاه يقمر عيش ...»

فأذا انتقلنا إلى مجلة الحاوى نفسها وجدنا روحاً فى علاج الموضوعات تختلف عن المقدمة بعض الشىء ، غير أن مجلة الحاوى تأخرت شهراً عن الصدور لأسباب خارجة عن مقدور صاحبها « إصحوا اتصدقوا ياسادة من قال — إن صاحبكم الحاوى مات أو خرّسوه الظالمون بالمال — لعدم ظهوره فى الشهر اللى فات — الحاوى صاحب شرف ياخلان — وكان يصدر جرناله لولم يكن عيّان — إنما الشهر ده بأذن البارى — يبهج بنوادره مرتين القارى — وينزل كالعاده بجريدته على حضرة الوزير والواد — اللى عاملين صنعتهم نهب أموال العباد — ويدرج فى هذا العدد أخبار محفل ميدان الحريه — ويشهر بين الأمم شجاعة الشبان المصرية ... » (٢) ثم يتحدث فى بقية هذا العدد بطريقته المعروفة عن غليان الجيش فى مصر واستبداد الحكومة الرياضية فى علاج شئون الوطن

وتتميز أعداد الحاوى القليلة التى أصدرها بتسجيل مقدمات الثورة العسكرية ،

---

١ — مقدمة الحاوى ص ١٢ وما بعدها

٢ — الحاوى . العدد الأول الصادر في ٥ فبراير ١٨٨١

بل إن ماكتبه فيها يعتبر فى ذمة المؤرخ فصولا ممتعة لهذه الفترة من تاريخ مصر الحديث، مع الدقة الملحوظة فى العرض والتفصيل ، وإن جاء ذلك كله فى كلامه العامى المسجوع الذى كان يطرب له المصريون إذ ذاك ، وما أظن إلا أنه يطرب أيضاً المعاصرين منا ، الدارسين هذه الحقبة من التاريخ .



ممثل الجيش يشكو لشيخ التمن أى السلطان تصرفات الخديو السيئة

إستمع إليه يقول (١) « وردت لنا اليوم مراسلات عديدة ، والأخبار اللى فيها يقيناً مفيدة . . . قال يوم المحمل العساكر المصرية ، وهم عابرين أمام الحضرة الخديوية ماحدش منهم قال يعيش توفيق ، فيظهر أن بينهم وبينه عدم توفيق ، والحق بيدهم لأن الجهادية ، صبحت ذليلة تحت الوزاره الرياضية . . . يرسلوهم فى المأموريات اللى ماينتج منها إلا العار للممات ، وللشركس يعطوا الرتب العظيمة ، والسرارى الحلوه والإنعامات الكريمة ، لكونهم من جنس ناظر الحربيه ، مساح جوخ الحضره الرياضيه ، فزعلت من الأمر ده الضابطان ، وأرادوا يورّوا العالم أنهم جدعان . . . إنما لكونهم أصحاب عقل صحيح ، وسعيهم دايماً مليح ، تشكوا للواد وللوزير ، من ناظرهم عديم التدبير . . . »

ثم يتحدث الكاتب عن عثمان رفعت وكيل الحربية « العجوز المدهول المخرف المجنون » ، وما كتبه المسئولون فى الضباط لممثلى الدول الأجنبية ليطمئنوا على رعاياهم ، مبينين لهم أن أى خطوة إيجابية منهم لا تعنى أنها موجهة إلى الأجانب « وده فكر عظيم لأن الدول آدى مرادهم — وقصدهم يدخلوا قطرنا بحجة أنهم يحاموا على

---

١ — الحاوي — فى ١٨ فبراير ١٨٨١

أولاد بلادهم » ، وهكذا يفصل لنا أبو نظارة قصة إقالةوزير الحربيةوتعيين البارودى مكانه فى جميع صفحات المجلة ، فى دقة تامة لاتختلف أبداً مع أى مصدر صادق من مصادر التاريخ .

وقصارى القول فى مجلة الحاوى ، إنها تفقد بهاءها إذا أنكرنا مقام (مقدمتها) فى بيان قدرها ، فالمقدمة عنوان حسن جداً للمجلة نفسها ، بل هى عندى أعز وأكرم من (الحاوى) نظراً لما احتوت عليه من موضوعات دقيقة ، واشتملت عليه من صراحة فى تبكيت المواطنين ولانصرافهم عن الجد والعمل ، وقبولهم الذل والخسف ، هذا إلى أن المقدمة تشير بوضوح إلى السياسة المرسومة فى توثيق العلائق بين مصر وفرنسا ، فأن المترجم له قد سفر فى هذه المقدمة عما يختلج به صدره من حب عميق لفرنسا ، وتكريم لرسالتها بين الأمم والشعوب ، وسوف نلقى ذلك ، من الآن فصاعداً ، واضحاً ظاهراً فى جميع ما كتبه أو قاله يعقوب بن صنوع .



« سيد العرب » أحمد عرابى

هذا عن (المقدمة) أما عن الحاوى نفسها فقد كادت تتخصص فى الثورةالعرابية ، ولم يكن فى محاوراتها أو موضوعاتها الأخرى شىء غير هذا الحادث الذى كانت له مقدمات ونتائج ، سجلتها الحاوى فى تفصيل جميل ، ودعت المواطنين إلى التشبه بضباطهم وجنودهم الشجعان وطرد حكومة « الواد الأهبل » والقبض على (الواد) نفسه ومحاكمته ، وإن الكاتب لينذر مواطنيه بأنه « إن ما خلصتوا من الواد ورياض ياجدعان — أحلف بحب الوطن والحرية — وشجاعة التلامذة والجهادية بأنى أمزع الجرنال وأكسر النضاره — وأبيع خرج الزماره والصفاره — بقى فوقوا يا أولادى من غفلتكم وورونى آمال شطارتكم — إنما يكون الأمر عن قريب — وأنا حالا أجيكم بالحبيب » (١) .

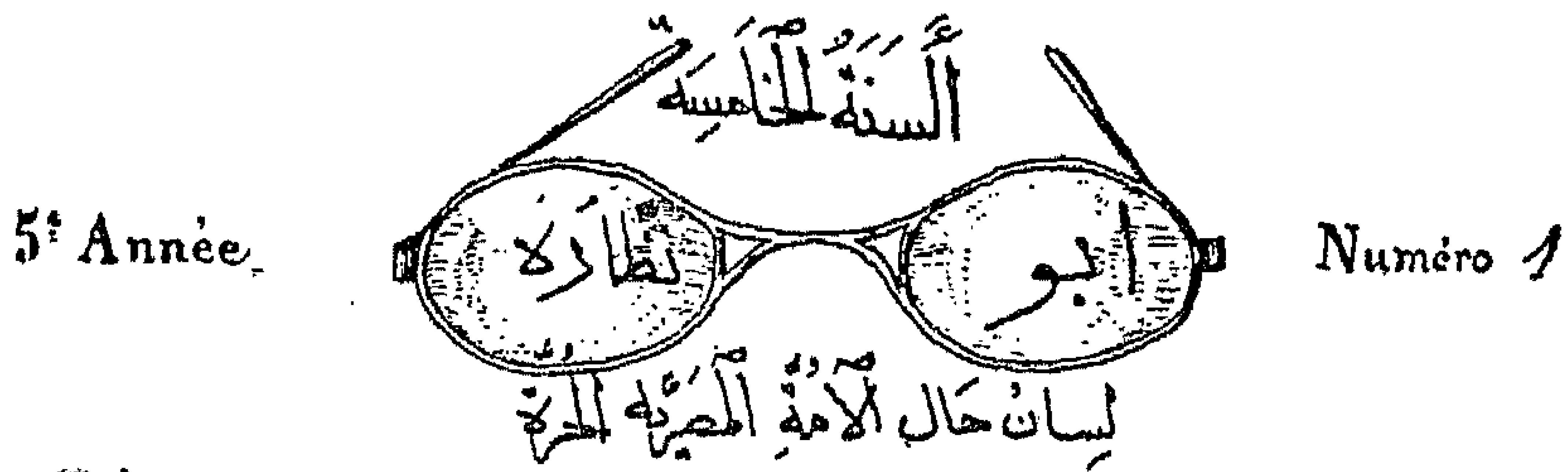
---

١ — الحاوى — فى ٢٥ مارس ١٨٨١ ويقصد بالحبيب البرنس حليم

أبو نظارة
لسان حال الأمة المصرية

ABOU-NADDARA

ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE

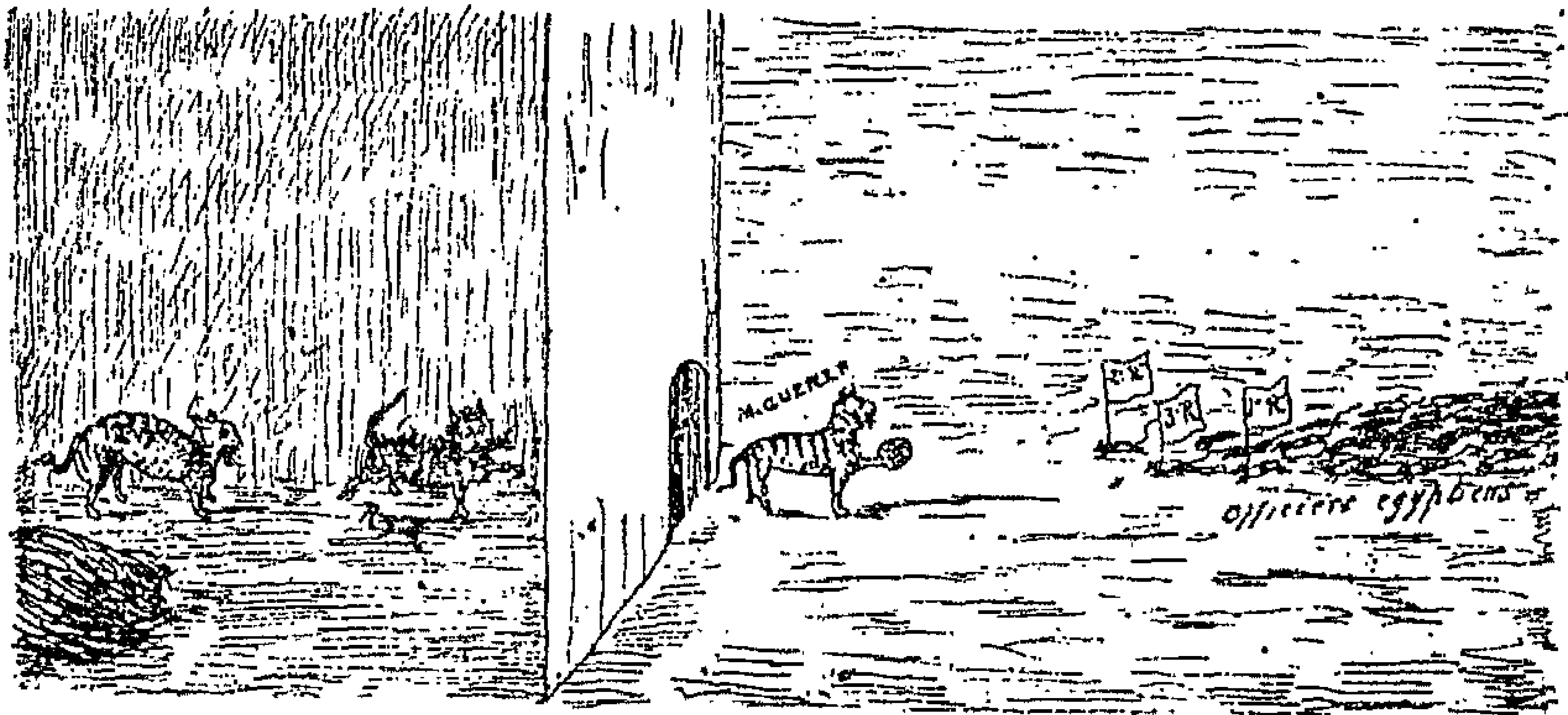


5e Année — Numéro 1

لسان حال الأمة المصرية الحرة

RÉDACTEUR EN CHEF : JAMES SANUA . 48 Avenue de Clichy à PARIS.

مدير ومحرر الجريدة الشيخ جمس سانوا ابو نظاره زرقا المصري



Une fable de La Fontaine en Egypte.

توفيق ورياض والبارودي القطط الخائنون مرادهم يغووا ظابطان يكنجي واوجبجي وورتجي
الاي الفيران الابرياء على اكل المطاعم المشلنبة المسمومة لكن الفيران ماهمش هبل

IMP. LEFEBVRE PAS. DU CAIRE 87 89

من صحف يعقوب فى باريس

منذ شهر أبريل سنة ١٨٨١ حتى وقف صدور صحف أبي نظارة لمرضه فى سنة ١٩١٠ صدرت (أبو نظاره) و (أبو نظاره زرقا) و (أبو نضاره) وهى أسماء ثلاثة لصحيفة واحدة، غير أنها أسماء متقاربة الشبه، غلب عليها الإسم الأخير، الذى عاشت عليه الصحيفة أكثر من عشرين عاماً.

صدرت أبو نظارة صورة صادقة لما سبقها من صحف، لم يتغير العنصر النفسى فيها ولم يصب قط بوهن يسقط من قدرها أو يقلل من مقامها فى تاريخ الصحافة المصرية، بل إن عصرها الذهبي مقبل بعد قليل.

ABOU-NADDARA

ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE

6ème Année  Numéro 4.

لسان حال الأمة المصرية الحرة

Rédacteur en chef: James SANUA, 46 Avenue de Clichy à PARIS

مدير ومحرر الجريدة الشيخ جمس سانوا ابو نظاره زرقا المصري



Triomphe du Parti National: Araby veut l'Egypte pour les Egyptiens, Abdallah balaie Tewfik; Fahmi purifie l'air après le départ de Chérif.

شهيد العرب اعرابي يقول مصر للمصريين عبد العال يكنس الواد الاهبل وفهمي يبخر المحل حتى تزول ريحة بابا شرف و سيده

IMP. LEFEBVRE 87-89 PASSᵍᵉ DU CAIRE PARIS

عرابي وأنصاره يطهرون البلاد من خصومها

وقد صدرت (أبو نظارة) بعد أن صادرت الحكومة المصرية الحاوى، وعاقبت بالنفى بعض من حملها، وفى ذلك يقول يعقوب بن صنوع مخاطباً الخديو توفيق «قد أمر وزيركم بسوء تدبيره المستحسن لدى سموكم بنفى شخصين من معتبرين البلد بسبب

وجود جريدتى معها » (١) وقد نشر العدد الأول من (أبو نظارة) فى السنة الخامسة من صحف المترجم له،وكانت تصدر كل عشرة أيام أو كل أسبوعين ، وقليلا ما كانت تزيد المدة على أسبوعين بين العدد والعدد ، وكانت بعض الأعداد تصدر فى ثمانى صفحات (٢) وبعضها يصدر فى اثنتى عشرة صفحة (٣) ، أما بقيه الأعداد فكانت من أربع صفحات كغيرها من صحفه الأخرى ، ولها شعار هو « لسان حال الأمة المصرية الحرة » .

وتتميز أبو نظارة بالمقالات الأدبية التى نشرها يعقوب خاصة بالثورة العرابية ابتداء من العدد الثانى فى سنتها الخامسة بعنوان (الصيحة الأولى) (٤) ، وهو يبصرفيها مواطنيه بخطر تدخل الإنجليز ، ويدعوهم إلى التآلف والتكاتف والاتحاد لإنقاذ شرفهم وتحسين أحوالهم المالية والسياسية والاجتماعية ، وهو يخاطب فيها الأمة عامة ويوجه الخطاب خاصة إلى علمائها فى بعض الصيحات (٥) .



L'AMNISTIE KHÉDIVIALE

الضغط على الحريات ، بقصف أقلام الكتاب وتكميم أفواه الأحرار

ويضيق الكاتب بمواطنيه وتكاسلهم ، فينشر باباً جديداً بعنوان (الآزفة) ويحرر فيه آزفة بعد آزفة ، يعلن فيه سخطه على رجال مصر الذين سلموا فى حقوقهم ، فجعلوا أنفسهم مطايا للوزراء والخديويين ، الذين استنزفوا أموال مواطنيهم وقبلوا الذل

---

١ ـ الحاوى فى ٢٥ مارس ١٨٨١

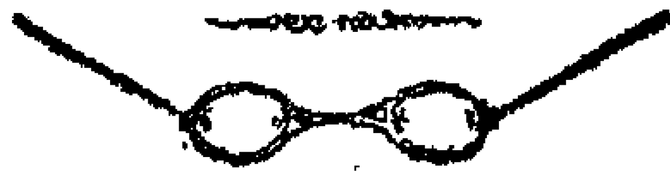
٢ ـ أبو نظارة العدد السادس السنة الخامسة .

٣ ـ أبو نظارة العدد الثامن السنة الخامسة

٤ ـ أبو نظاره في يوليو واغسطس ١٨٨١

٥ ـ أبو نظاره فى ٧ أكتوبر ١٨٨١

Abou-Naddara.



6e Année. N° 2.



1er Acte du peuple egyptien.... Le Châtiment... Le génie egyptien sort de son long sommeil et chasse ses mauvais gouvernants... Tewfik et ses courtisans s'enfuient.

اول فصل المصريين ـ والجهاديه والنواب ـ معاقبة الحكام المجرمين ـ وطرد الواد وشركاه سبب الخراب ـ يعينهم الملاك ـ حامى مصر من الهلاك



Deuxième acte du peuple egyptien ... Récompense et réparation. Le génie egyptien présentant à la nation son chef légitime et patriote, le prince Halim, déshérité et persécuté pour avoir voulu défendre les droits du peuple. La nation, par la voix de ses députés, l'acclame.

ثانى فصل الاهالي المصريه ـ استقبال حليم بالاحضان ـ واعطاه السلطه الخديويه ـ وختم الختام على الرحمن

IMP LEFEBVRE 87 · 89 PASS DU CAIRE . PARIS.

تمنيات يعقوب للحركة العرابية

فأضحوا عبيداً وسط أمم لا سيد فيها ولا مسود ، وقد حرر هذه الآزفات بأسلوب عربى ممتع ، قلما نجد له نظيراً فى صحف يعقوب المختلفة (١) .

وبالرغم من إعجاب يعقوب بشريف باشا فأنه لم يتردد فى الحملة عليه حملة شعواء حين أصدر قانون المطبوعات ، وفيه من القيود مالا يهضمه تفكير الأديب المنفى فى عاصمة الحرية ، وإن كان هذا القانون قد استقبل فى مصر نفسها استقبالا حسناً وتظهر هذه الحملة العنيفة فى رسم صدر به الصفحة الأولى ، وفيه يكمم شريف أفواه الكتاب ويربط أياديهم أمام ممثلى الأجانب الذين رحبوا بهذا الضغط ، ويقول أبو نظارة تعليقاً على ذلك « إكسروا أقلامنا وسدوا أفمامنا برضنا ننتصر على أخصامنا ونكسر أنف أظلم حكامنا والرب كريم يسعد أيامنا » (٢) .

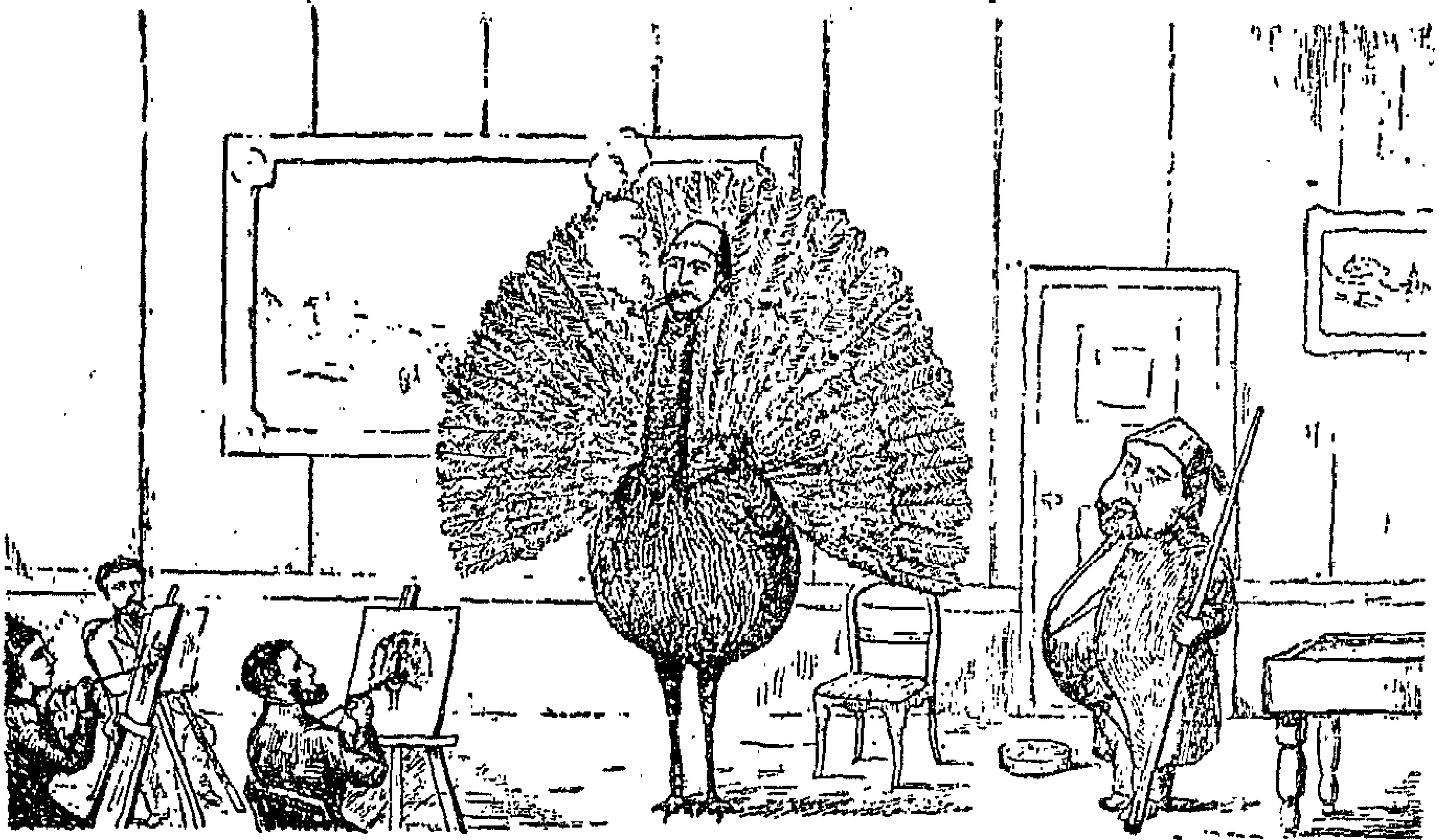
قصد المترجم له بما كتب وبما نشر من صحف أن يبصر مواطنيه بمالا يعلمونه من خبايا السياسة المصرية وحوادث البلاد الداخلية التى كان يتعذر على صحف مصر إعلانها بأية صورة من الصور وإلا تعرضت للمصادرة والإغلاق غير أن يعقوب بن صنوع — كصاحب رأى — كان يمثل المعارضة المتطرفة ، فهو يمدح شريف باشا حين كان شريف بعيداً عن السلطان ، فأذا ولى أمور الحكم وأفسح المجال للبرلمان ، ورضى أكثر الناس عن الحكومة الشريفية لم يرض أبو نظارة بل كان ضمن الساخطين ، لأن شريفاً لم يخاصم الخديو توفيق ، ولم يكن من طبائع الأشياء أن يخاصم الوزير الدستورى أميراً نزل عند رأيه فى احترام الدستور ، ووعد بالتمكين للحياة الدستورية فى هدوء ودون قلقلة قد تفسد القضية المصرية وتسىء إلى مقدرات البلاد

إن ابن صنوع لا يؤمن بهذا ، لذلك نراه يسخر من شريف ، ويسخر حتى من حياته الخاصة ، فقد كان الوزير يهوى (البلياردو) ، ورأى الجيل هذه الهواية سوءة تذكرها له الصحف الخصيمة كلما هاجمته سواء قبيل الاحتلال أو بعده ، وكان من بين الصحفيين الذين ذهبوا هذا المذهب يعقوب بن صنوع ، فهو يكتب متخيلا ساحراً أراد أن يخلص مصر من توفيق وشريف تلبية لرغبة يعقوب «فكذا مرادى ياشيطان ، بأنك تأمر اثنين من أهل الجان ، واحد يخطف الواد الأهبل ويرميه ، فى نابولى

---

١ — أبو نظاره العدد ١٣ من السنة الخامسة .

٢ — أبو نظاره العدد السابق



شريف يضيع وقته فى لعب البلياردو والوقوف أمام المصورين !

يأكل مقرونه عند أبيه، والثانى يأخذ بلطف أبو شرف رئيس الوزارة، ويسلمه فى يد أبى نظاره، يلعب معه بلياردو بباريس ....» (١)

ولم يخل عدد من أعداد (أبو نظاره . لسان حال الأمة المصرية الحرة) من نقد لتصرفات الحكومة الشريفية وخاصة حملته الشديدة على «قانون المطابع والجرائد» (٢) وهكذا وقف يعقوب موقف المتطرفين فى مصر من شريف باشا الرجل الدستورى الذى كانت صحافة مصر وصحافة ابن صنوع من قبل تدعوله وترجو أن يكون على رأس الحكومة، فأذا تم لهم الرجاء لم تعجبهم سياسته المعتدلة، ولم يرضوا عن أساليب حكمه، فهوجم برفق فى مصر، واشتد عليه الهجوم فى باريس

وليس غريباً على أبى نظارة هذا المذهب فى الرضاء والسخط على الناس، فهو شديد الحساسية حتى ليتناقض فى رأيه أكثر من مرة فى سنة واحدة، ويتأثر كطبيعة المصريين بالحوادث تأثراً سريعاً يفسد عليه الأحكام فى بعض الأحيان، ومن أجمل الأمثلة على ذلك قصته مع السيد عبد الله النديم، إنه يراه فى مارس ١٨٨٢ علماً من

١ — أبو نظاره — العدد الثالث — السنة السادسة

٢ — نفس المصدر السابق

ABOU-NADDARA.

6e Année | N° 5



Mieux vaut douceur que violence.

لما رأونا الجماعة دخلنا عصر جديد - وحزبنا الوطني صبح شديد - بطلوا الزعيق والتهديد
- وظنوا ان التمليق ومسح الجوخ مفيد - ربنا كريم حليم الفرج ما هوش بعيد -

IMP. LEFEBVRE 87-89 PASSe du CAIRE PARIS

الأعلام فيقول « السلام عليك ياسى نديم ، ياقرة عين قراء جريدة الطائف ، الله الله على ذوقك السليم ، ياحاوى الظرائف واللطائف ، أحلف بحب الوطن ياعم ، أن كلما أتى جرنالك يزول عنى الهم من حلاوة أقوالك ، ومقالاتك الأدبية نورت مصرنا ، ونبذاتك السياسية جددت عصرنا ، وحياة دقنك ياعزيزى ، من عشقى فى فصولك الفريده باترجمها بالفرنساوى والإنكليزى ... » (١)

ثم استمع إلى رأيه فى عبد الله نديم فى ٩ يونيو ١٨٨٢ « أيها الولد الأبر ، كنت أظن أن الذمة والشرف توجبان على كل إنسان خصوصاً على من تحلى بخدمة الحرية والمدنية أن يكون متصفاً بشعار الحق والإنصاف ، حافظاً للجميل لا تلفته المقاصد الشخصية ولا الغايات الذاتية عن الحق ، فقد قيل : لعن الله قوماً يضيع الحق بينهم ولكن لما كان لكل امرىء من دهره ماتعود ، وكان الطبع غالباً على التطبع مهما كان صاحبه ، كشفت يد الأيام ستر الخفا عما يكنه الضمير ، فاتضح الصبح لذى عينين ، وبان لى الآن خطأ ظنى ، وعلمت أن الحق هو عبارة عن ترويج المصالح . . . وذلك

---

١ ـ أبو نظاره ـ العدد السادس السنة السادسة

لأنى تلوت بلسان الأسف وطالعت بعين الاستقامة ماحواه عدد ثلاثة وأربعين من جريدة الطايف الصــــادرة فى ٢٥ جماد الثانى ، وإذا بك قد أتيت فيه ببعض جمل وعبارات خالفت فيها ماتستلزمه الذمة وخرجت عن جادة الحق والإنصاف ...» (١)

ABOU-NADDARA

ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE

السنة الخامسة

5e Année — ابو نظارة — Numéro 11

لسان حال الامة المصرية الحرة

Rédacteur en chef: James SANUA. 48 Avenue de Clichy à PARIS.

مدير ومحرر الجريدة الشيخ جمس سانوا ابونظاره زرقا المصري



Araby-Bey dit à John Bull « *Tant que je garderai les Portes du Paradis du Nil, tu n'y mettras pas les pieds. Il n'y a que le prince élu d'Allah qui doit y entrer. L'Egypte est pour les Egyptiens* ». — John Bull s'épouvante. Les Puissances applaudissent Araby-Bey

[illegible]

IMP. LEFEBVRE. PASS. DU CAIRE 87, 89. PARIS.

تلك كانت سجية يعقوب بن صنوع ، لا يتردد فى تعديل رأيه فى شخص ما إذا تراءى له انحرافاً فى الرسالة التى اتبعها ، وهو لا يفرق بين كاتب أو وزير ، وقد رأينا هذه السجية مضطردة فى صحفه جميعاً ، وإنه لم يغير رأيه قط فى عدة أشياء : إيمانه بوطنه وتحنانه إليه ، ثم مخاصمته للخديوين فيما خلا عباساً الثانى وهجومه المتصل على الإنجليز وسياستهم فى مصر والسودان ، وقد بقى على هذه الآراء حتى قضى فى سنة ١٩١٢ ،

---

١ — أبو نظاره زرقا — عدد ١١ سنة ٦

فلا عجب إذن إن رأيناه فيما بعد مادحاً لشريف ، فعلى قدر مايقدم الوزير لبلده يلقى من المترجم له التأييد والتشجيع .

ABOU NADDARA

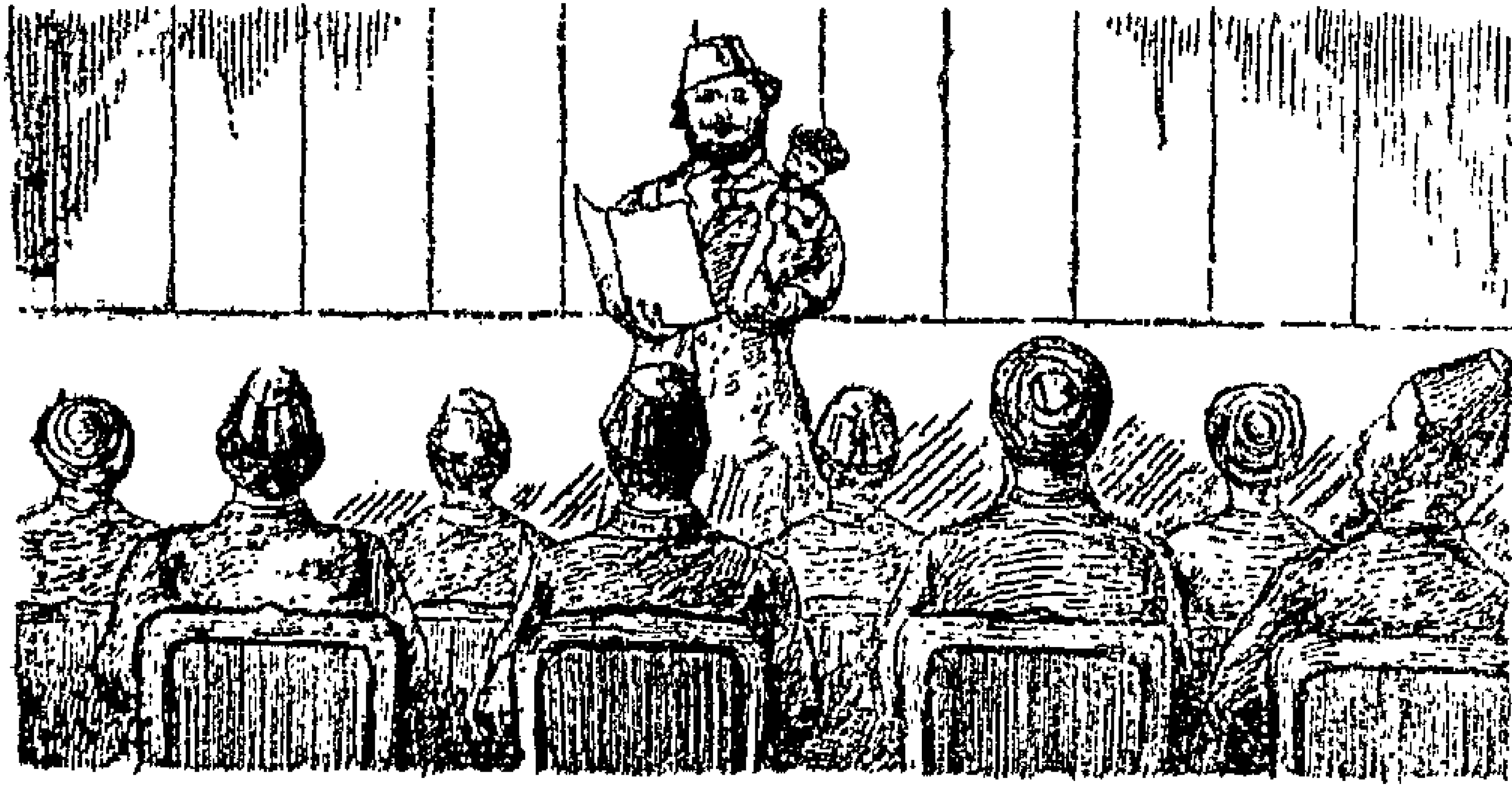
ORGANE DE LA JEUNESSE D'EGYPTE



5e Année — Numéro 15

RÉDACTEUR EN CHEF : JAMES SANUA, 48 Avenue de Clichy à PARIS.

مدير ومحرر الجريدة الشيخ جمس سانوا ابونظاره زرقا المصري



Tewfik prononce le discours que Chérif lui souffle à l'ouverture de la Chambre. Réflexion de l'auditoire : Comment oses-tu, Bébé de Khédive, nous parler de civilisation et de liberté, après nous avoir bâillonnés et lié les mains par ton infâme loi de la Presse !!!

IMP LEFEBVRE 87-88 PASS DU CAIRE PARIS

فى برلمان ذلك العهد

ابو نظارة زرقا
لسان حال الأمة المصرية الحرة

يمضى أبو نظارة فى طريقه يؤدى رسالته الوطنية والصحفية ، فيغير اسم صحيفته تغييراً آخر فيسميها (أبو نظارة زرقا — لسان حال الأمة المصرية الحرة) ويتم هذا التغيير بصدور العدد الثامن الصادر فى السنة السادسة بتاريخ ٢١ أبريل ١٨٨٢

لما جانى خبر الكونت شاهين . بانه انتقل الى
الرحمه الالهيه . طلبت له العفو من رب
العالمين . وزالت كراهته من قلبى ونسيت
الاسيه . لانه الله يرحمه كان قال لاسماعيل
. مدة ما كان الجندى فى عزهو وتاسه .
اذا اتجاسر حليم و دخل وادى النيل . وراس
افندينا الحبيب لك راسه . واذى سبب
كراهة ابنا مصر ناحيه . انما احنا قلبنا حليم
. قلنا عذاب بابوى شاهين يكفيه . يغفر
خطاياه ويفتح له باب النعيم . يا اهل شاهين
قتيل شيخ الحاره . اتنبلوا والطموا على الحدين
سبع بيتكم مات فى بلاد النصاره . ولا كان
جنبه شيخ نقى يقرا له كلمتين . آه عند
طلوع روحك يا شاهين . ما كان حداك الا
اسماعيل الشيطان . فما خلاكه تستشهد
كالمؤمنين . وتتشاهد من بعدك يا كبدى
القران . انما برضها الجنه مفتوحه لك
. ورحنا يجيى من حبابته توضيق اعينك

أول نعى فى مجلات يعقوب

وقد أخذ ينشر مع المتن العربى فى كثير من الأعداد ترجمة فرنسية طغت أحياناً على صفحات الصحيفة ، ويعتذر الكاتب عن ذلك بقوله « وصغرت الخط لجعل محل للترجمة الفرنسى اللى طلبتها منى جميع محررين أوروبا لدرجها فى صحفهم الغراء ، فأن شاء

الله من الآن وصاعد النظارة تصدر عربى وفرنساوى » (١) .

ومن الجديد الذى رأيناه فى (أبو نظاره زرقا) فى عامها السادس نشر أول نعى فى صحفه جميعاً ، غير أنه نعى غريب طريف ، إنه فى إطار مستطيل مجلل بالسواد، ينعى فيه شاهين باشا أحد خصومه من كبار الرجال فى عهد اسماعيل ، وننشره كاملا لنتبين كيف تسيطر عواطف صنوع على آرائه فى الناس ، حتى أولئك الذين فصل الردى بينه وبينهم بحجاب ثقيل ، ولكنه لا يراعى رهبة القضاء ولا جلال الموت ، قال « لما جانى خبر الكونت شاهين ، بأنه انتقل إلى الرحمة الإلهية طلبت له العفو من رب العالمين ، وزالت كراهته من قلبي ونسيت الأسيّة لأن الله يرحمه كان قال لإسماعيل مدة ماكان الجندى فى عز هو وناسه ، إذا تجاسر حليم ودخل وادى النيل وراس أفندينا أجيب لك راسه ، وآدى سبب كراهة أبناء مصرنا فيه ، إنما إحنا قلبنا حليم قلنا عذاب نابولى سنتين يكفيه ، يغفر خطاياه ويفتح له باب النعيم . ياأهل شاهين قتيل شيخ الحاره ، اتنيلوا والطمـــوا على الخدين ، سبع بيتكم مات فى بلاد النصاره ، ولا كان جنبه شيخ تق يقرا له كلمتين . آه عند طلوع روحك ياشاهين ، ماكان حداك إلا اسماعيل الشيطان ، فما خلاك تستشهد كالمؤمنين ، ونتش من يدك يا كبدى القرآن . . . » (٢) وقد ترجم الكاتب هذا النعى الغريب إلى اللغة الفرنسية ونشره فى إطار أسود .

ثم تعود الصحيفة فتواصل رسالة يعقوب الأصيلة ، وتشغل صفحاتها بمجريات الحوادث فى مصر ، فتحـذر عرابى وإخوانه من الخطر المحدق بالقضية الوطنية ، وتشرح لهم ذلك شرحاً وافياً استغرق نحو ثلاث صفحات من المجلة (٣) وأخشى ماكانت تخشاه أن يقع الاحتلال الإنجلـــيزى للبلاد ، لخطأ من المسئولين مقصود أو غير مقصود .

وتتأزم الأمور وتضرب الأسكندرية وينطلق فيها الحريق فيأتى على مبانيها ، وتترامى الأخبار إلى أبى نظارة فينشر تفاصيلها ، ويبين لمواطنيه الموقف فى صفحة

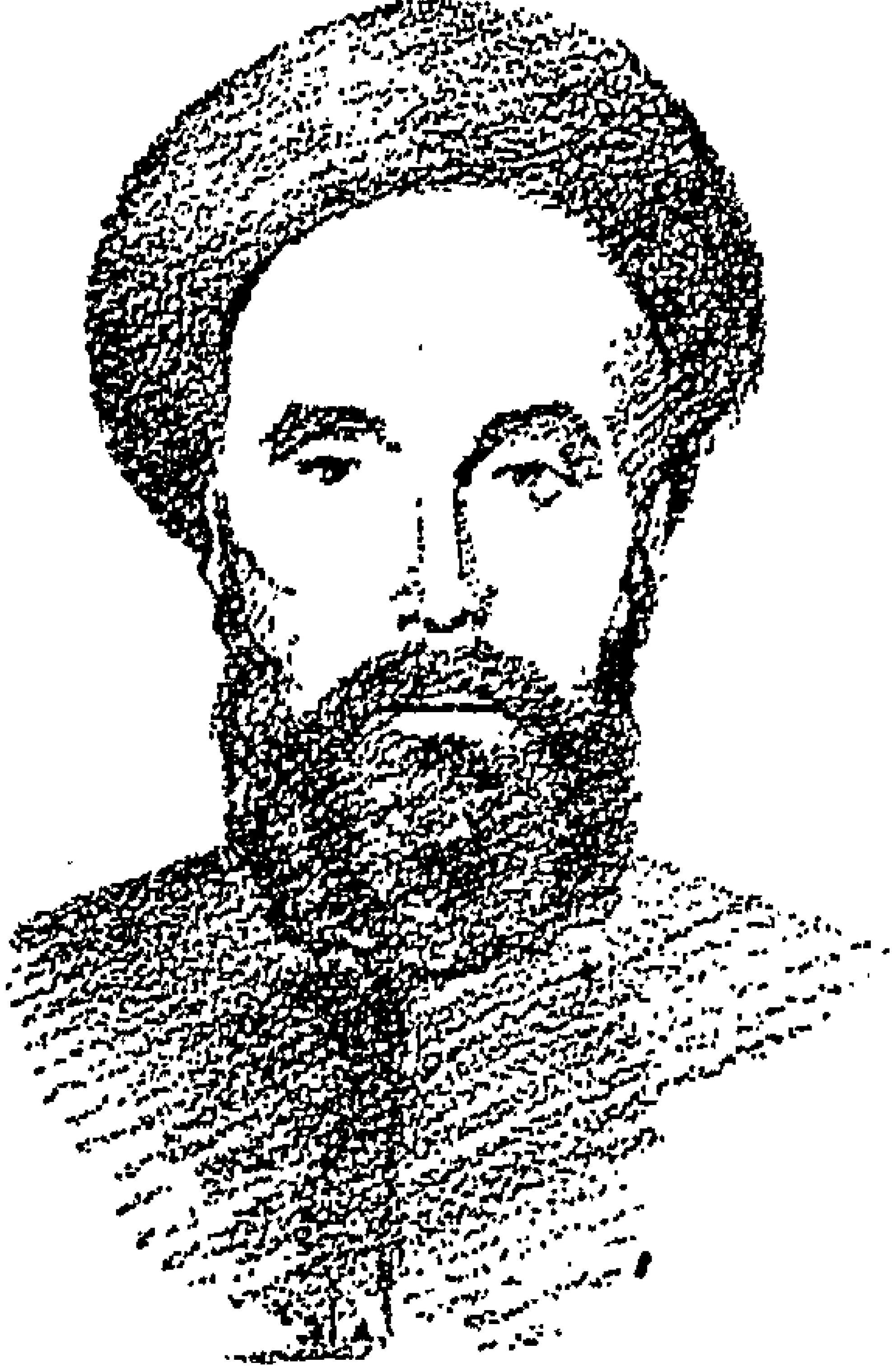
---

١ — أبو نظاره زرقا . عدد ٨ سنة ٦

٢ — أبو نظاره زرقا . عدد ٩ سنة ٦

٣ — أبو نظاره زرقا . عدد ١٠ سنة ٦

جلل جانب منها بالسواد ، ثم يدعوهم إلى الجهاد ، ومن قوله «يا كبدى عليكى يا اسكندرية يابكا عينى على سراياتك الفاخرة ، صبحتك كوم رماد الجلل الإنجليزية » ويبين كذب الإنجليز بتحميل المصريين مغبة هذا الحريق « مالها أصل ولا فصل أخبار التلغراف ، لأن جميعها صادره من كلاب البحر صيمور ، فلا أصدق أن عساكر مصرنا الأشراف ، ضد الإنسانية تحصل منهم أمور ، الجهادي المصرى يموت ، فى حب وطنه العزيز ، فكيف يحرق وينهب البيوت . . . وفى الواقع اللى حصل من القتل باسكندرية ، دا جاب علينا الحق لأنه عار ، ولو أن ابتداه من الجريح الدون والمالطيه ، اللى وزوهم اسماعيل وتوفيق وماليت المكار » . ثم يبين يعقوب لمواطنيه أنهم أساءوا إلى بلادهم إذلم يستمعوا إلى نصيحته ولم يوقعوا عريضة وينالوا فتوى



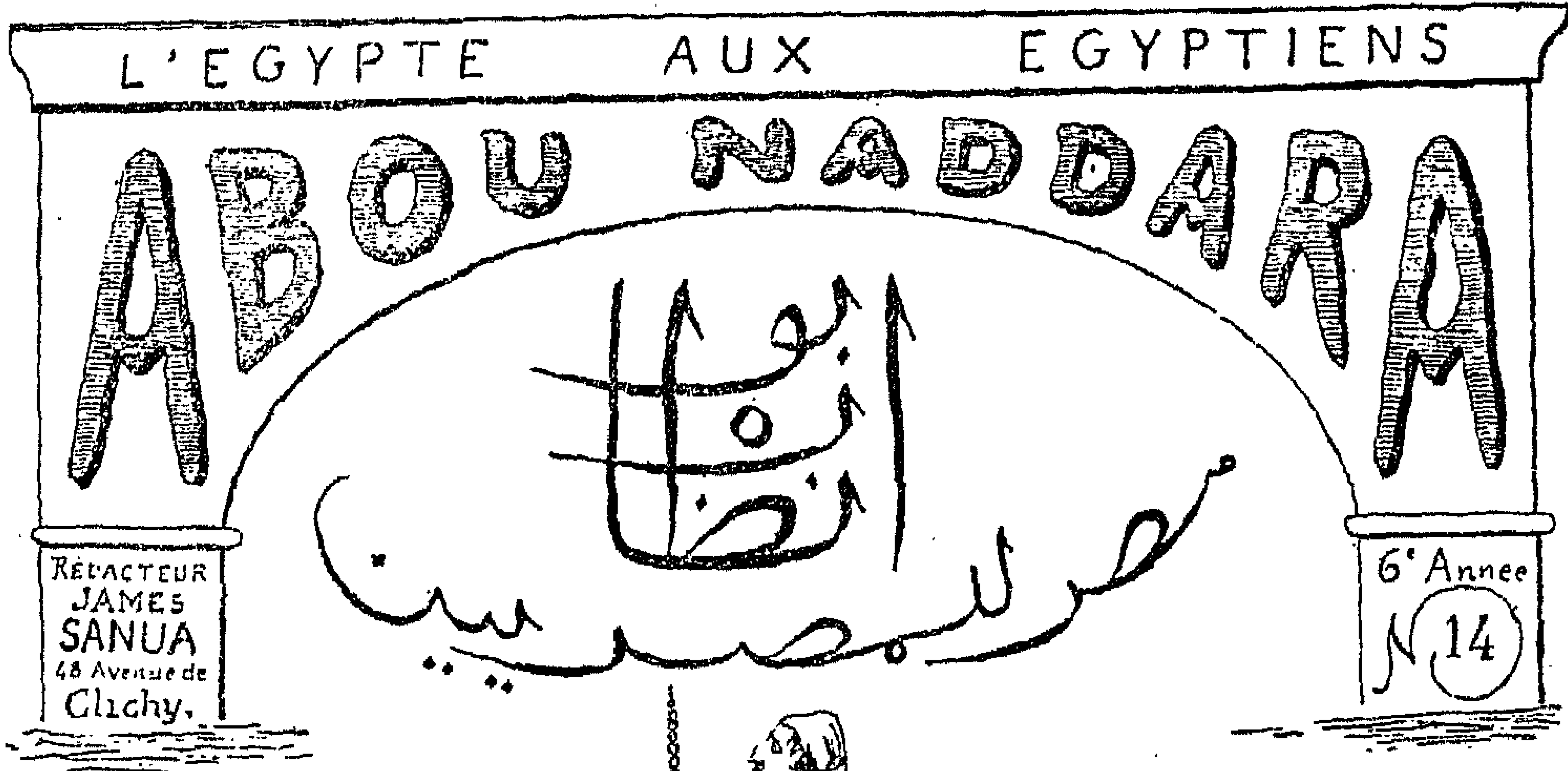
السيد عبد الله النديم وقد جاء ذكره فى أكثر من موضع .

العلماء بطرد توفيق ، ثم يقول « اللى فات مات ياجدعان . . . حاموا بشرف عن بلادكم يافرسان ولعنة الله على من يسلم روحه للعدو أسير » ويتجه بكلامه إلى الأمة الإنجليزية يشكو إليها حكومتها « إنتى كريمة ياأمه بريتانيه ، إنما حكومتك بالمظالم مشهوره ، إنتى بتدافعى فى محافلك عن حقوق الأهالى المصرية ، وحكومتك مرادها تخرب بلادنا المعموره » ويمضى مادحاً الفرنسيين ، متحدثاً عن موقف أحرارهم فى البرلمان الفرنسى وعلى رأسهم كليما نصو ، حاملا على بعضهم لمؤازرتهم الإنجليز فى فعلتهم وفى مقدمتهم جامبيتا ، ثم يشجع مواطنيه أخيراً « اليوم صبح إسمكم عظيم ، ومحبوب عند جميع محبين الحرية ، ماتخافوش ربنا كريم حليم ، إن كنتم جدعان الإنكليز يطلعوا من الديار المصرية . . . » (١)

ويسخر يعقوب فى نفس العدد من توفيق سخرية لاذعة قاسية تجاوز بها الحد فى عرف أيامنا وأيامهم ، وإن لم تخل من طريف تميزت به صحف أبى نظارة ، قال

١ - أبو نظارة زرقا ، العدد ١٣ السنة السادسة وقد وضعنا نقطاً مكان لفظ يمنعنا الحياء من نشره

« وردت الينا رسالة من مكاتبنا بالقاهرة يقول فيها إن توفيق توفى لكن أهل مصر حذفوا حرف القاف من اسمه والحدق يفهم . يقول أيضاً إن شباننا وجدوا فى اسم حليم أحرف يتركب منها لفظ مليح ، فلذلك الأهالى بمصر بتسلم على بعضها بهذه الجملة





توفيق بيقول للواد ماله يا بتاع الانكليزى وماليت بيصيح امام الجنرال ولسلي يا ابنا مصر اسجدوا للمنتصر بسيفه المرصع بالجنيهات
Tewfik entraîné par Malet Khédive et poussé par Riaz estène porte Wolseley pacha en triomphe !



وقعة تل الكبير توفيق باعنا بمليون جنيهات ، بمليون جنيهات ومائة الف انتصر حضرة ابن الانكليز كما مات
Prise de Tel Kébir par l'or anglais et non par Lord Wolseley !

من صحف يعقوب فى باريس

« المليح جاى لنا عن قريب » مكاتبنا أسعد الله أوقاته أرسل لنا أيضـا دور جديد بتغنيه الأهالى على هوا المارسيليزه الفرنساويه وترجانا بدرجه فى هذا العدد فهاهو :ــ

أرقصى وغنى ياتوفيقه ، وسلى عشيقك لورد صمور . اللى نجاكى من الحريقه . وركبك على الوابور . إرمى طربوشه ياصبيه . والبسى لك برنيطه عال . عرابى، طلبه، عبد العال . هنوا توفيقه الإنكليزيه . ياابن البلد يافلاح . زفوا توفيقه للنكاح . هيابنا هيابنا . نرى توفيقه خارجه من برنا » وهكذا يمضى مصوراً الخديو توفيق فى هذا الإطار الذى لاتخرج عنه سيرة هذا الخديو فى أى كتاب علمى مدروس حين لا يدلس على التاريخ أو يكتب التاريخ خضوعاً للظروف والملابسات كما كان يصنع بعض حملة القماقم من مؤرخى عصرنا سعيا وراء رتبة أوجاه !!

* * *

ثم يعترضنا فى دراسة هذه الصحيفة عـــدد واحد باسم (أبو نظاره ــ مصر للمصريين) لم يكن له نصيب فى أى معنى جديد انطوت عليه أبو نظاره زرقا ، ولو أهمل فى تاريخ صحفه لماخسر الكاتب شيئا ، فقد كان عدداً خاصاً بتذكير أهل الذكر فى مصر بما سبق أن كتبه لهم من ستة شهور عما يلقونه اليوم من أحداث(١)

* * *

ثم يتلو هذا العدد ، عدد واحد باسم (أبو نظاره زرقا ــ لسان حال الأمة المصرية الحرة) ثم تختفى الفقرة الأخيرة المكتوبة تحت الإسم الأصيل ، وهذا العدد الختامى من تاريخ هذا الاسم يتضمن حديثاً عن أبى نظارة وما سعى إليه فى انجلترا كى يحول بين عرابى والإعدام ، ومدى ماعرضه الإنجليز من رشاوى رفض أن يقبلها ، وسعيهم لنقله إلى لندن حتى تصدر صحيفته من هناك ، وكيف أبى أن ينصت إليهم ، أو يخون قضية بلاده التى وقف عليها حياته .

وحقاً وقف قلمه على خدمة القضية الوطنية كما سنرى فى مستقبل صحفه الكثار ، ولم نرقط تهاوناً فى كفاحه أو يأساً من استقلال وطنه وتمتعه بجميع الحريات (٢)

---

١ ـ أبو نظاره ـ مصر للمصريين ــ العدد ١٤ السنة السادسة

٢ ـ أبو نظاره زرقا ـ العدد ١٦ السنة السادسة

أبو نظارة زرقا

صدر العدد الأول من (أبو نظارة زرقا) فى مطلع العام السابع من تاريخ مجلات ابن صنوع فى ١٩ يناير ١٨٨٣ مصدراً بافتتاحية دعا فيها صاحبها لبنى وطنه بالعز والتأييد حتى يصبح الفقير غنياً والأعمى مبصراً والعقيم منتجاً ، كما حمل فيها على إسماعيل وتوفيق وابنه عباس ، وإن كان فيما بعد سيشمل عباساً بالعطف والتشجيع ، وينهى المترجم له افتتاحيته بدعوة مواطنيه إلى الاشتراك فى « النظاره الزرقاء الشهيرة » ويطلب إليهم أن يسرعوا « فى إرسال العشرين فرنك . قيمة اشتراك الجريدة فى السنة ، بحوالة بوسطة أو عن يد بنك ... »

وقد تميزت (أبو نظاره زرقا) بكثرة الرسوم فيها ، فنجد فى الصفحة الأولى والأخيرة رسمين يعبران عن معنى من معانى الساعة ، كما نجد كلمة (زرقا) قد كتبت بالزاى ، إلى جانب تفاصيل واضحة عن المجلة ، فنرى صاحبها واقفاً بين رسمين يمثلان الحكمة والحرية وإن تغير رأس المجلة بين آن وآن ولم يتغير إسمها على أى حال

وكلما قلبنا فى صحف يعقوب وجدنا طابع الصحيفة وأهدافها أهم ما فيها ، فهى سجل عظيم لأحداث مصر ، يحسن ألا نفوت الفرصة ، فننقل عنها بعض هذه الأحداث لنبين طريقة النظر الجديدة فى الصحافة المصرية ، هذا إلى أن خط المجلة قد تحسن بشكل ملحوظ ، ونظم عرض الموضوع فيها فى نهرين ، كما أدخلت فيها أبواب جديدة كباب (السياسة) ولم يكن لها ترجمة فرنسيه لمدة سنتين ، وإن كانت الرسوم قد احتوت على تلك الترجمة ، ومن أبوابها الجديدة أيضاً « تلغرافاتنا الخصوصية » التى زخرت بها السنة الثامنة ، وهى برقيات من تأليف المترجم له فيها المختار من الشتائم والسخرية ، وسوف نعرض لها فى سطور مقبلة

وقد سار أبو نظارة على نهجه فحدثنا حديثاً شائقاً فى المخاطبة الأولى بين شهامتلو حسام أفندى ضابط عسكرى وقيافتلو عياقتلو نومة الضحى أفندى . . . الخ » عن حريق الإسكندرية ومذبحتها خاصة ، فرمى فى الحوار إلى أن الخديو توفيق هو صاحب الجريمة « ... على الواد الأهبل مستندات وشهادات وحجج وأوراق وتلغرافات

Septième Année
Rédacteur en Chef — James Sanua
48 Avenue de Clichy — Paris
Journal Oriental Bi-Mensuel
Abonnement 20f par an
Envoi en timbres-poste ou Mandats à l'adresse du Rédacteur en Chef



السنة السابعة
جريدة شرقية
مدير ومحرر جمس سانوا في باريس
٤٨ افنو دوكليشي ٤٨
الجريدة تصدر مرتين في كل شهر . وقيمة الاشتراك في ظروف عن سنة واحدة عشرون فرنكاً ترسل باسم المدير اما طوابع بوسطة او حواله على البوسطة . جميع الرسائل تكون باسم المدير

No 10 Paris 28 Juillet 1883
عدد ١٠ باريس ٢٨ يوليو ١٨٨٣



L'idéal d'un gouvernement Égyptien pour lord Dufferin. | L'idéal d'un gouvernement Égyptien pour Ismaïl.



L'officier Anglais — Le général de moâ ordonner vô faire sourveillance màison Fatimâ, sou Cambaly. — Le Préfet — Est-ce le rendez-vous des sociétés secrètes — L'officier — Oh nô, Fatima pas conspiréchénne — Le préfet — Pourquoi donc faut-il la surveiller. L'officier — Pasque Fatima être le Mistress de le général de moâ, et lui pas voulòir sales Arabes visiter elle, pour donner à elle le Choléra et elle après, donner maladie à général de moâ. — Le Préfet — Mais je suis un préfet de police, je ne suis pas le gardien du Harem du général — L'officier — L'observéchénne de vô, général pas prendre en considéréchénne, si vô pas exécouter ordre général, Goddem! Ça, très malhoreuse por vô. — (Le Préfet dût s'exécuter)

ضابط انكليزي يأمر مأمور ضبطية مصر يجعل يتجسس على دار فاطمة لكونها محترفة جنرال انكليزي ويخاف ان اولاد العرب يشوشوها والجنرال ينعدي منها — ياكبدي عليك يا مأمور ٥ تعريض على آخر الزمن

من صحف يعقوب فى باريس

تثبت لمن اطلع عليها أنه هو الآمر بمذبحة إسكندرية ، وجميع أهالى لندن ألزموا الوزارة الإنكليزية بتشكيل مجلس لتحقيق الدعوى ومحاكمته »(١)

(١) أبو نظارة زرقا العدد ١٠ السنة السابعة

وهو يحمل الخديو وعصبته كل النتائج التى وصلت بمصر إلى هذا الهوان ، ونشر فى ذلك قصيدة ممتعة نسبها لأحدهم نقتطف منها بعض أبياتها ، فهى إلى دقة التصوير تجمع معانى أدبية لا بأس بها ، بعنوان « القول الوجيز فى دخول الإنكليز » (١) :

يا راوى الدهر حدث عن أبى العجب ... واندب زمان التصافى يا أخا العرب
ما بين جهل وحقد ضاع سؤددنا ... واستأصلتنا يد الأرزاء والكرب
هذا العزيز تخلى عن سيادته ... للإنكليز ولم يقبض سوى الكذب

. . . .

كانت شرارة نار لم تكن أبداً ... محتاجة فى تلافيها إلى نصب
لكن حشوا رأسه غشاً فأضرمها ... حتى تجاوزت البلوى إلى اللبب
وبعد ربكته جاءوا لنصرته ... لكنهم جرعوه لوعة الحَرَب
حنوا عليه حنو الذئب إذ نظرت ... عيناه شاة تجر الرجل من عطب
فخال أن ثنايا الذئب باسمة ... وما درى أنها أنياب مختلب

. . . .

مصر الفتاتَ أبو سلطان أسلمها ... وإنما أسلم الإسلام بالذهب (٢)
هم رأسوه على النواب يرشدهم ... فكان نائبة من أكبر النوب
وقد أثارت لهيب النار ندوته ... فصار أولى بأن يدعى أبا لهب
تبت يداه على ما جاء من عمل ... لم يأته خائن فى سالف الحقب

. . . .

فكم أصابوا بريئاً طوع غايتهم ... وأغمضوا أطرفهم عن كل مرتكب
وكم أهاجوا بزور القول من فتن ... وروجوا الكفر فى جد وفى لعب

وهكذا مضت القصيدة الممتعة تحكى المصائب والخيانات التى حدثت فى صفحتين

---

(١) أبو نظارة زرقا العدد ١٠ السنة السابعة

(٢) « أبو سلطان » هو سلطان باشا رئيس مجلس النواب الذى خان وطنه وعاون الانجليز وانحاز إلى الخديو توفيق فى آخر لحظة ونال مقابل ذلك الرتب المصرية والانجليزية وقدراً طيباً من المال على سبيل المكافأة . والفتات ـ معناها مصر الممزقة

من أبى نظارة زرقا ، وتؤرخ للاحتلال وأنصاره تأريخاً صادقاً لا غبار عليه

ولا يتهاون يعقوب بن صنوع فى الحملة على الخديو إسماعيل وولده توفيق ، فقد كان ذلك من أهداف سياسته العامة ، إلى جانب تلك الكراهية العميقة للاحتلال

السنة الثامنة
جريدة شرقية مديرها ومحررها
الشيخ ابو نظاره
قيمة الاشتراك ٣٠ فرنك في العام
ترسل باسم المدير بباريس الى عنوانه
٢٢ رو دي لا بنك ٢٢

L'Égypte aux Égyptiens

Abou Naddara

ابو نظاره زرقا

8me Année
Journal Oriental
Abonnement 20 Fcs par An
22 Rue de la Banque
Paris

No 1 Paris le 19 Janvier 1884. | Direction Abou Naddara | باريس ١٩ جنايو ١٨٨٤ | عدد ١

Ismail a John Bull. — Je te donne ce sac pour que tu me fasses rentrer en Egypte. et quand j'y serai je te donnerai l'autre. — John Bull aux Fellahs — Voulez-vous donner l'hospitalité a Ismail — Les fellahs — Plutôt votre cholera des Indes.

(اسمعيل للمستر بول) خد الكيس ده ودخلني مصر وهناك اعطيك التاني (مستر بول الى ابناء مصر) هل تضيفوا اسمعيل ؟ (الجواب) نضيف هواك الصفرا الهندي احسن منه

Les officiers Anglais prisonniers, dansent la gigue devant le Mahdi pour l'amuser

ظباط الجنرال عكس الانكليزي الاسرا يرقصون امام المهدي ليسليه

LE GÉRANT, G. Lefebvre. — Paris. Imp. Lefebvre, Pas. du Caire 87. 89.

أبو نظارة زرقاء حين تغير شكلها فى سنة ١٨٨٤

وأصحابه ، وهو فى هذه الكراهية ينفس عن نفسه كمواطن مصرى شريف ، ويعبر أيضاً عن السياسة الفرنسية التى كرهت هذا الاحتلال ووقفت له بالمرصاد فى كثير من المناسبات حتى تم الاتفاق الودى بعد ذلك بسنوات . ومن العناوين الطيبة لحملته على إسماعيل وتوفيق ما نشره فى معرض المقارنة بينهما وبين الأمير حليم(١) وفى هذه المقارنة عرض الكاتب لسيرة إسماعيل فى إيطاليا وما تعرض له من سوء المصير نتيجة اضطرابه فى شئون السياسة وأموره الخاصة التى لا تليق بأمير كبير ...

ثم لا ينى المواطن الحر عن الدفاع عن القضية المصرية بجميع الوسائل والطرق، فيسعى خطيباً يعرضها فى مدن فرنسا وعواصم أوروبا ، ويسجل آراءه فى صحيفته ، وهو ينشر أيضاً نحو صفحتين كاملتين عما صنعته « صاحبة السعادة الخاتون كارتر المحترمة » فى هذه القضية وكيف « عقدت محفلا سياسيا دعت إليه جمعاً غفيراً من السيدات السياسيات مع بعولهن وأولادهم وبناتهن، وكلفت بعض الرجال السياسيين إلقاء الخطب فى سياسة الدولة البريطانية بمصر — فتولى رياسة المحفل مستر وود — صاحب جريدة (المورنينج بوست) وصار صاحب النحلة معاوناً أول له ...»(٢) وكان هذا الاجتماع ناجحاً وموفقاً ، وتعرض فيه المتكلمون لبربرية حكومتهم التى قضت على استقلال أمة متحفزة وسمحت للفساد أن يستشرى فيها دون وازع من ضمير وخلافاً لما أثر عن تقاليد الأمة الإنجليزية ، الأمر الذى يراه أحرار انجلترا مسبة فى تاريخهم ويستوجب منهم السعى عند المسئولين للرجوع عن هذه الطريق وإخلاء مصر من الجنود الإنجليز

ويعقوب لا يقف مجلته من الآن فصاعداً على القضية المصرية وحدها، بل يعرض لقضايا الشعوب المستعمرة فى كل مكان ، وخاصة الشعوب التى تخضع لحكم الإنجليز ، وهو يعرض قضاياها ليعتبر مواطنوه ويروا فيها كيف يجالد ويكافح الأحرار فى كل مكان ، وقد صدر افتتاحية أحد الأعداد بموضوع عن الهند قدم له بأنه « وردت إلينا من أحد نبهاء الهند الرسالة الآتى درجها ، فالمرجو من محبى الوطن والحرية بمصر أن يقرأوها بغاية التأمل ويفهموها كلمة كلمة ، فتظهر لهم خباثة الحكومة الإنكليزية

---

١ — أبو نظارة ذرقا — العدد التاسع السنة الثامنة

٢ — أبو نظاره ذرقا — العدد الثامن السنة التاسعة

وسوء معاملتهـــا مع من يقع تحت يدها ، والعذاب الأليم الذى تذوقه للأمم التى تتسلط عليها هذه الحكومة المشومة » (١)

فهو فى جانب من صحفه يروى لمواطنيه ظلم الإنجليز ويبصرهم بسياستهم فى داخل البلاد التى يحتلونها ، ثم يبين لهم فى جانب آخر العبث الذى يعبثه أعداؤهم بالقضية المصرية فى الميدان الدولى ، وكيف يحاولون إخراجهـا من هذا الميـدان لينفردوا بأمور البلاد ؛ حتى إنهم دعوا إلى مؤتمر يعقد فى لندن سنة ١٨٨٤ ولـكنه كما يقول صحفينا « طلع طزفش » (٢) وقد أثبتت الأيام صدق ماذهب إليه ، فلم تلق قضية مصر عناية صادقة من الدول الأوروبية ، التى سلمت واحـدة بعد أخرى للإنجليز بما يريدون

وهو دائب الـكتابة فى مجلته ليجاهد مواطنوه ذل الاستعمار، ويكافحوا أعداءهم الإنجليز ،وله فى ذلك أكثر من مقال وصورة ، ومن أمتعها مقاله بعنوان (الأحوال المصرية) وهو قطعة أدبية لابأس بها جاء فيها « .... والنواح النواح على الشبـان الأحرار الذين ماأنبتهم رياض مصر غصوناً إلا وقد قطعت عليهم سبـل الترقى ومنعوا ماء الهناء وهواء التقدم فلا نمو لهم إلا بالذل ولايميلون إلا ميلة المسكين بعد دلال الشرف فى منارة الأوطان ، والأسف كل الأسف على الشيخ الـكبير والطفل الصغير ، فذلك لا يوقر وهذا لايرحم .... والحسرة الحسرة على الرجال الذين أفنوا أيامهم فى خدمة الحـكومة وقصروا أوقاتهم على صالحها وهم اليوم تفيض أعينهم من الحزن إذ لا يجدون ماينفقون . .. أفيقوا أفيقوا ياعشاق النوم إن معشوقكم هـذا عدو لـكم .... » (٣)

ولما لم يعجبه خنوع مواطنيه كتب يقول « لاأدرى هل أنتم صخور صم أوختم الله على قلوبكم وعلى سمعكم وعلى أبصاركم فأنتم لاتشعرون ؟ هل أنتم مياه راكده أو أنتم جبال راسخة أو أنتم من دباب سيبريه فى أيام الشتاء ؟ هل متم ؟ فأن كنتم متم فلا أقل من أن تنتشر روائحكم الـكريهة . ماهذه الحالة ؟ الإنـكليزى قد ابتلع بلادكم وأفقر

---

١ ــ أبو نظاره زرقا ــ العدد التاسع السنة السابعة
٢ ــ » » » ــ » الثامن » الثامنة
٣ ــ » » » ــ » الرابع » »

أغنياءكم وأذل أعزاكم ودمر بيوتكم وسلب قوتكم وأهلك عساكركم وفرق شملكم.. وكل العالم فى جلبة وضوضاء واستخبار واستفهام عن أخباركم وقلوب الأجانب فى قساوتهـا قد تفتتت حزناً عليكم .... ومع كل ذلك أراكم كاشرى الأنيـاب غائرى العيون متقلصى الشفاه كأنكم فى حانة ... ياأهل مصر! ماهذا السكوت . ما هـذا الجمود.... واللهوالله والله . هذا وقتلو تقاعدتم فيه عنطلب حقكم لجحدكم كل إنسان حتى البرابرة والتكارنه والسومالية والسودانيون ولهم الحق بذلك » (١)

وهكذا يبكت الكاتب مواطنيه وكان تبكيته يصل أحياناً إلى الشتائم فيتحسر قائلا « مافاضلشى فى مصرنا إلا الجديان . . . » .(٢) .

ولم يعجبه فى رجالات مصر فى ذلك الوقت ، أى فى سنة ١٨٨٤ إلا شريف باشا ، ذلك الوزير الذى أبى أن يفرط فى السودان ، وله موقف مشهور خلد فى التاريخ ، ويعقوب هنا منصف للناس والتاريخ ، فقدكان خصماً لشريف باشا فى أكثر من مرة ، ولـكنهمدحه أيضاً أكثر من مرة ،وذلك كلما وقف الوزير موقفاً مشرفاً ، وكانت آخر المواقف المشرفة ماذكره عنه فى أزمة سنة ١٨٨٤ على لسان شريف نفسه وهو يخاطب الخديو بقوله « . . . سعادتك سيد العارفين وتعلم أن رجل اختيار مثلى اللى قضيت طول عمرى شريف مايصحش إنى أضيع شرفى على آخر الزمن . . . » ثم يرسم صورة ممتعة لمكانة رئيس الحكومة فى ذلك الوقت بقوله على لسان شريف باشا « أنا اليوم ياأفندم صبح رئيس نظار دولتك العليةأشبه بطرطور لأن لسوء حظ مصرنا الربط والحل فى يد الجماعة » (٣)

إن صحفينا لا ينكر فضلا لأحد ، ويسجل هذا فى إخلاص ، مهما تكن بينه وبين صاحب الفضل من خصومات ، وقد دأب على نشر المديح فى كل من يرعى ذمة وطنه ولو لم يكن مصرياً ، وحسبنا على ذلك دليلا ثناؤه الجم على لويس صابونجى صاحب النحلة « وهى أشهر من أن تذكر ، وكل مصرى حر بها أخبر»ويعلن ابن صنوع فضل صابونجى على زعماء الثورة العرابية « ولولا منشيها — يقصد المجلة — الذى أخلص

---

١ — أبو نظاره زرقا العدد العاشر السنة الثامنة

٢ — « « « « الثانى « «

٣ — أبو نظاره زرقا عدد ١ السنة الثامنة

الجد وثبت على الكد فى الاستنصار للسيد أحمد عرابى وإخوانه وسعى لدى زعماء الحرية ونصراء الإنسانية للتألب على أهل الفساد لكان عرابى اليوم قدباد » ويمضى متحدثاً عن أنه كان — أى لويس — واسطة خير بين « مستر بلونت الشهم الهمام وبين السيد أحمد عرابى . . . » (١) .



قال ابو نظاره

المستر بلنت وله فى تاريخ العرابيين تاريخ . .

وقد نشر هذا تحت رسم لصاحب النحلة وهو من الرسوم القليلة النادرة للأشخاص التى وجدت فى صحفه الأولى مرسومة وسط إطار جميل ، وكذلك نشر صورة للمستر بلنت وتحدث عنه مترجماً لحياته نقلا عن « جريدة النحله الصابنجية » فذكر أن خصوم الحرية لمصر ادعوا أنه عين للإنجليز ، وأنه لم يصدق شيئاً من هذا بعد اطلاعه على مؤلفات بلنت عن الشرق وفضائله « فأن السيد ويلفريد سكاون بلونت حبيب الأمم الشرقية ، أما قرينته اللادى عنّا ، فهى جميلة كحور الجنه ، ليس فقط بالحسن والجمال ولكن بالفضائل والكمال ، لسانها بالعربى فصيح ، ولفظها بلغتنا مليح ، حفظت القرآن الشريف ، ودرست كل شاعر عربى لطيف . . . » (٢) وقد نشر صورتها فى عدد تال مادحاً سجاياها ذاكراً شمائلها فى تفصيل (٣) وإن

١ - أبو نظاره زرقا عدد ٩ السنة السابعة
٢ - أبو نظاره زرقا عدد ٥ السنة السابعة
٣ - أبو نظاره زرقا عدد ١٠ السنة السابعة

ماذكره يعقوب بن صنوع من ثناء على المستر بلنت ، وما أضفاه عليه من تكريم لجدير به حقاً عند من يعرف تاريخ الثورة العرابية (١) وعند من قرأ عنه فى صحف مصر أو فى صحف أبى نظارة فى باريس (٢) فقد ذاد الرجل عن العرابيين وقضيتهم وعاب على مواطنيه مواقفهم من مصر ، ونشر ذلك فى التيمس جريدتهم الكبرى (٣)

ويبدأ فى (أبو نظارة زرقاء) تاريخ الحركة المهدية بما نشرته عنها المجلة من حوادث وبيانات ورسوم ساخرة تهزأ بمكانتهم كجنود حرب (٤) ومن أمتع ما نشر فى هذا الباب تلك الأزجال التى تعرضت لرجال الإنجليز من ضباط الجيش أو من موظفى الحكومة المصرية المدنيين ، فقرأنا زجلا عن (دور على الجنرال جردون) قال فيه الكاتب (٥)

يامحـــلا لنجليزيه　　أم عين زرقا وشعر أصفر
ياخســـارة دالصبيه　　فى جوزها العسكرى الأحمر
شفتها امبارح ياسيادى　　ماكانش حولها انجليز
فقلت لها يامَسْليدى　　جيف مى أكيس إيفيو بليز (٦)

. . . .

أنا فى عرضك وان كيس (٧)　　قالت جو ديم بلادى فول (٨)
بلا فول بلا شـعير　　ما تتبغددیش عـلىّ
أنا ابن المهدى الكبير　　إحلى علىّ شويه

. . . .

فشفنا المهدى منصور　　والجردون فى الشق مكتوم
تانى يوم جابوه أسير　　فى مصيـده ســودانيه

---

١ ـ أبو نظاره زرقا عدد ٧ السنة الثامنة
٢ ـ أبو نظاره زرقا عدد ٥ السنة الثامنة
٣ ـ أبو نظاره زرقا عدد ٦ السنة الثامنة
٤ ـ أبو نظارة زرقا ـ عدد ٨ السنة الثامنة
٥ ـ أبو نظاره زرقا ـ العدد ٧ السنة الثامنة
٦ ـ تعريبها أعطنى قبلة واحدة من فضلك
٧ ـ تعريبها قبلة واحدة
٨ ـ تعريبها لعنة الله عليك يامجنون

أمام المهدى الشهــير   مـع ضبــاطه لنجلــيزية

. . . .

فأذا فرغ يعقوب بن صنوع من حملته على جوردن عقب عليها (بدور على كليفورد لويد)وهو وكيل الداخلية الإنجليزى وله تاريخ مشهور عرضنا له فى كتابنا عن جريدة الأهرام(١) بما يكفى لشرح سيرته فى أخـذه لأمور مصر الداخلية وقد جاء فى هذا الزجل(٢)

لو لم يكن باش دجـــال   ما كان غلادسطون اختاره
قال جا مصر يصلح لاحوال   خربهـــا يخـــرب دياره
ياما نهب فـلاحـين   ياما غــدر جهــاديه
ياما ظلم مساكين   ونفى شبــان مصــريه
أما ربى فعـــله عجب   كشف ستره فبان غشه
وفى شهر شعبان ورجب   أمام الناس سـوِّد وشـه

ولم تقف السخرية عند حد ، سواء اتصلت هذه السخرية بنظام الحكم والادارة فى مصر أو فى السودان، ومن ذلك ما نشره تحت عنوان (تلغرافاتنا الخصوصية) وهى برقيات من صناعته (٣) وتشبه الأمثلة التى كان ينشرها منذ سنتين تحت عنوان (كلام فارغ وكلام مليان) (٤) ومن هذه التلغرافات ماجاء « من القاهرة فى ٧ منه»(٥) وفيه يقول « سلطان باشا متوجه إلى لندن بمأموريتين إحداهما ينظر طريقه لإعفاء المسلمين من لبس البرانيط كما أمرهم الذى جرى مفعوله فى ١٥ مايو ١٨٨٤ — ثانيهما يتعهد للإنكليز بتسليم بر مصر كلها ، ومرضاة الأهال على الله ثم عليه بمبلغ أكثر شويه من الذى كان أخذه عندما سلمهم التل الكبير وكان ذلك عشرة آلاف جنيه .... »

وتستمر (أبو نظاره زرقا) تؤكد سياستها فى نقد أمور الداخل وكشف أستار

---

١ — راجع كتابنا عن جريدة الأهرام ص ١٧٠ وما بعدها
٢ — أبو نظاره زرقا عدد ٧ السنة الثامنة
٣ — أبو نظارة زرقا — العدد الأول السنة الثامنة
٤ — « « « — « — « « السنة السادسة
٥ — « « « — « — « السادس السنة الثامنة

السياسة الدولية تجاه مصر ، وتشرح مقام المهدى فى نفوس مواطنيه المصريين (١) وتحمل على الإنجليز والنحس الذى حل بمصر بحلولهم ، وتأتى فى ذلك بمثال الكوليرا التى انتشرت فى البلاد انتشار النار فى الهشيم (٢) ثم لا يفوت المحرر بين آن وآخر الحملة على إسماعيل فى منفاه ، ومن هذا القبيل ماذكره عنه وعن المجلة التى يصدرها فى إيطاليا بقلم ابراهيم بك المويلحى (٣) فقال فى خطاب مفتوح « . . . . طى جوابى هذا يابو توفيق تجد مقالات أحد من الخوازيق ، قطفتها من أعظم جرانيل باريس ولندن وروما وفينا وبرلين ، اقراهم يا كبدى وابكى على روحك يامسكين ، دول ذموك وهلهلوك وكشفوا سترك وحقيقة أحوالك ، وأخبروا جميع الناس بأن جرنال الاتحاد هو جرنالك .... » إلى آخر ماجاء من تسفيه الخديو وما احتوت عليه صحيفة الاتحاد التى كان يصدرها فى الخارج من دعاية فجة تافهة

وهكذا يختم يعقوب بن صنوع بانقضاء سنة ١٨٨٤ حقبة من تاريخ حياة صحفه ، مليئة بالأحداث والعبر ، ويستقبل بعد ذلك بعض الحقب التى بلغت فيها صحفه غايتها من النضج والاستواء ، وسجلت أحداث مصر كبيرها وصغيرها ، وقربت إلى الأفهام كثيراً من المشاكل التى كان يستعصى فهمها ، ويدق هضمها على عامة الناس ، وخاصتهم فى بعض الأحيان !

---

١ ـ أبو نظارة زرقا ـ العدد الثالث السنة الثانية

٢ ـ » » » » التاسع » »

٣ ـ ابراهيم المويلحى أديب مصرى معروف له جولات صحفية منذ كان الخديو اسماعيل يحكم البلاد ، وكان من أصدقائه وإن كان يوماً علماً من أعلام الديمقراطية وقد صحب الخديو فى الخارج ونشر عدة صحف يدعو فيها لتكون الخلافة فى بيت محمد على

٤ ـ أبو نظاره زرقا ـ العدد العاشر . السنة الثامنة

الوطنى المصرى

وهذه صحيفة أخرى ، من الصحف التى اضطرته الحكومة المصرية إلى إصدارها فقد أصدرها حين قرر مجلس النظار مصادرة صحيفته (أبو نظاره زرقا) حتى يتمكن بذلك من إسماع صوته فى مصر عن طريق توزيع (الوطنى المصرى) على قرائه العديدين الذين كانوا يتشوقون إلى مجلته ، وينتظرون أعدادها وجلين من مصادرتها فى الجمارك المصرية .

والوطنى المصرى صحيفة تشبه فى حجمها (أبو نظارة زرقا) ، ولولا تغير الاسم لظنناها هى بنفسها ، فهى لاتختلف عنها شكلا أو موضوعاً ، بيد أنها تميزت عن صحفه الأخرى باللغة الإنجليزية التى احتلت منها جزءاً واسع النطاق ، وهى ترجمة طيبة لبعض مقالاته المنشورة فى الصحيفة باللغة العربية .

وقد نشر المحرر اسم الصحيفة باللغة العربية محاطاً بترجمة حرفية لهذا الإسم باللغة الإنجليزية وهى The Egyptian Patriot ، هذا إلى أن جميع التفاصيل الخاصة بالمجلة كاسم صاحبها وناشرها وقيمة الاشتراك فى مصر وغير مصر من بلاد العالم وتاريخ الصدور وما إلى ذلك قد نشر باللغة الإنجليزية على رأس العددين النادرين اللذين صدرا منها فى باريس .

وقد ذكر المحرر أنه سيصدر منها اثنى عشر عدداً ، والصحيح أنه لم يصدر فيها إلا عددين فقط حتى رتب أموره مع معاونيه فى القاهرة ، فأعاد إصدار (أبو نظارة زرقا) فى الشهر التالى لصدور الوطنى المصرى ، ونقصد بالأمور التى رتبها مع معاونيه هى التغلب على عقبات إدخال (أبو نظاره زرقا) إلى مصر دون أن تحجز فى جماركها وذلك بطرقه المختلفة التى شرحنا طرفاً منها فى فصل سابق .

وقد صدر العدد الأول من (الوطنى المصرى) فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨٣ أى بعد مضى سنة على الاحتلال الإنجليزى لمصر ، وقد كان أبو نظارة يحسن لو استمر فى إصدار صحيفته ومعها ترجمة إنجليزية ، أو إصدار صحفه الأخرى ومعها تلك الترجمة حتى يمكن للإنجليز فى انجلترا أو فى مصر أن يقرءوا هذا الصوت البعيد ، ويتبينوا منه

وجهة نظر الأحرار ، ويحسوا — وخاصة الإنجليز المحليين — خطر صحيفته إذا قرأها المسئولون فى دوننج ستريت ، ولكنه يبدو أن ثقته فى الفرنسيين وإيمانه بأنهم

First Series.
Abou Naddara Editor
48 Avenue Clichy

Subscription for First Series of 10 Numbers 4/-

Address P.O.O to the Editor



الجزو الاول
مدير ومترجم الجريدة الشيخ ابو نظاره زرقا بباريس
*
٤٨ افنيو دي كليشي ٤٨
*
الجزو يحتوي على ١٢ عدد
*
قيمة الاشتراك
في ظروف مختومة للقطر المصري ١٠ فرنكات
باقي الجهات بدون ظروف ٥ فرنكات ترسل عن يد البوسطه

No 1. Paris September 29th 1883. | عدد ١ باريس ٢٩ سبتمبر ١٨٨٣



John Bull.—) Vous allez voir, mes amis, comme nous serons heureux ensemble !.. Ah! voici une admirable côtelette aux pommes. Parfait! Partageons en frères. A toi l'os, mon cher Elnbalad; à toi la pomme de terre, vilain Pat.—(Elnbalad.)— Il appelle cela partager.—(Pat.—) Oh! moi, quand il y a des pommes de terre, je ne dis trop rien— John Bull.—) Halloo! I am sure we shall enjoy it!... A magnificent cutlet and delicious potatoes! Let us share our meal as true brothers. There is a bone for thee beloved Egyptian & a potatoe for thee Pat.—(Egyptian aside) John Bull calls that a fraternal share! (Pat) Potatoes are sufficient for me.—

الانكليزي كعادته يأكل اللحم ويطي العظم للمصري ويلهي الايرلنديزي ببطاطه . ويقول ان دي قسمة الحق

من صحف يعقوب فى باريس

سيقفون إلى جانب المصريين جعل المحرر يعنى عناية خاصة بنشر ترجمة لمقالاته باللغة الفرنسية دون الإنجليزية ؛ وحتى العددين اللذين صدرا من الوطنى المصرى لم يخلوا من ترجمة فرنسية ، وإن اقتصرت الترجمة على الصور والرسوم .

وقد صدرت (الوطنى المصرى) فى ست صفحات، على غير المأثور عن صحفه التى كانت تصدر إلى ذلك الوقت فى أربع صفحات فقط ، ولو حظ على هذين العددين النادرين أن المعارك التى كانت دائرة فى السودان حينئذ كان لها المكان المرموق فيهما ، إلى جانب بعض الرسائل التى وردت للمحرر من « الجمعية الوطنية السرية بالقاهرة إلى أبى نظارة بباريس » (١) .

وفى هذه الرسائل يبدو أن وجهة نظرنا القائلة بأنه كان من صالح البلاد نشر ترجمة إنجليزية فى صحفه لما كان ينشره باللغة العربية من موضوعات، قد أحسها مواطنونا فى ذلك الوقت ، إذ جاء من الجمعية الوطنية بعد شرح ما أصاب مصر من سوء « . . إنما مصائبنا دى المهوله ، عند أهالى أوروبا بالكلية مجهوله ، فيجب عليك نشر جريدة سياسية تترجم أهم مافيها إلى اللغة الإنكليزيه ، والقصد فى الترجمة هو عرض حال وطننا العزيز ، على الأمة البريطانية لأن لليوم موجود بين الإنكليز ، كثير من محبى الإنسانية والإنصاف كما كنا نعهده فيهم من قديم الزمان ، فأذا سمعوا صراخ مصر ووقفوا على سوء حال المكان ، بادروا إلى إصلاح مافسده فريق منهم إما جهلا وإما تعمداً ونحن نبلغ القصد والمراد ، وتعود لنا الحكومة الوطنية اللى حرمنا منها الواد » .

ويكتب أبو نظارة حاشية على ما جاءه من الجمعية الوطنية السرية ، يقول فيها « أنا مستعد لخدمة الجمعية الوطنية المصرية ونشر جرنالها ودرج جميع مراسلاتها فيه، فقط أرجوا بأن كاتبى المقالات لا يمدحونى . مثل ما فعلوا فى الجواب المحرر أعلاه لأنى لست أهلا لذلك ، وكلما فعلته وسأفعله لإصلاح وطنى فهو فرض على كل مصرى . . . . »

وفى رأيى أن أحداً لم يكتب له فى هذا الموضوع ، وإنما هو تخيل أنه قد تلقى هذه الرسالة وغيرها من الرسائل ليعبر بها عما يعتلج فى نفسه ويدور فى رأسه من

---

١ ـ الوطنى المصرى فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ ص ٣

أفكار وآراء ، وهى طبيعة الممثل فيه ، وله فى ذلك أكثر من مثال لاحظناه فى صحفه الكثار ، وقد كانت فكرة ترجمة ما كتبه باللغة العربية إلى اللغة الانجليزية فكرته هو ، وليست فكرة جاءته عبر البحار كما يقول ، وهى فكرة صائبة آمن بها مصطفى كامل وغيره فيما بعد فنشروا صحفاً باللغة الانجليزية ليتبين الانجليز قضايانا المعروضة بصدق وأمانة(١)

The Vision of Sheikh Abou Naddara, the Egyptian exile, which he saw in the days of Pharaoh Teufik in the fourth year, fifth month and sixth day of his VICE-RULE over the unhappy land of Egypt that he sold to SADSTONE Grand Vizier of Lady Victoria for two millions of English pieces of gold, a bill payable at four years' date from the cursed day of the unlawful bombardment of Alexandria.

The spirit transported me to the once elegant city of Alexander the Great. I recognized her not. Heaps of rubbish everywhere. The Great Mohamed Aly alone remains standing surrounded by the ruins of his beloved city. He weepeth sore day & night on the Princess of his provinces destroyed by the infernal guns of Seymour the British Satan. Alas! I closed mine eyes, as the scene before me made bitter tears run on my poor cheeks. Again I saw the light of day, and behold I am in Cairo formerly called the victorious city, now the Vanquished slave of the British Government: I saw Khedive Toothpick on his impure throne, on his right, Major Baring, on his left Mr Clifford Lloyd and before him his private interpreter. Thus they spake to one another.

Baring) What maketh thee so merry this morning, Master Teufik? (Teufik) The contemplation of the divine features, Milords! Clifford) Nonsense! Let us talk business. Time is money. (Baring) And in need we are indeed of that precious metal that wide openeth all gates. (Teufik) Pray delight my Khedivial delicate ears with your good tidings, noble Knights. (Clifford) Bad news this morning, Sir Baring) General Hicks, I mean His Excellency Hicks Pacha tries in vain to seize that Muddy Prophet, I mean the black Mahdy, the Arabi of Soudan. (Clifford) The bloody rogue commandeth fourthy thousand lancers. (Teufik) May Allah, for the sake of his Holy Messenger, Mohamed, throw this false Prophet into the Noble and Honourable hands of the Hero of Heroes Hicks Pacha.. Oh! on that blessed day I shall give a ball and an evening party (Clifford) Preceded by a sumptuous banquet. (Baring) That's all right! But let us talk of the means of defeating the Negroes; otherwise no feasting can be done. (Teufik) English soldiers are lions; they can easily tear to pieces those black dogs (Clifford) But our lions can do nothing without £s. s. d. Baring) We come to ask thee only one hundred thousand Egyptian pounds to be sent at once to Hicks Pacha to enable him to conquer his D. D enemy (Teufik smiling) Allah! Allah! Oh I do understand ye right, Milords! We shall do with the officers and allies of the Mahdy as we did with those of cursed Araby. They shall pocket our shining gold and forsake their black chief, as the bedouins did with Arabi on the memorable day of Tel-el-Kebir. Thus Mal

صفحة باللغة الإنجليزية من الوطنى المصرى

وهكذا صدر العددان النادران فقطعا على (أبو نظارة زرقا) سيرتها قليلا ، إذ جاء العدد الأول من الوطنى المصرى بعد صدور العدد الثانى عشر منها ثم جاء

١ ــ تطور الصحافة للمؤلف ص ١٧٤ وأعلام الصحافة العربية للمؤلف ص ١٤٢ ، ١٤٣

العدد الثانى بعد العدد الثالث عشر ، وهما على أى حال لا يعنيان أن يعقوب بن صنوع اعتمد عليهما فى إبلاغ رسالته سواء للمصريين أو للإنجليز ، بل هما فى اعتقادى من صحف « الضرورة » التى نشرها المترجم له حتى يتغلب على الصعاب التى اعترضت سبيل صحيفته باسمها الأصيل ، فقد كان الاحتلال الانجليزى قاسياً على الصحف فى سنواته الأولى ، فصادر الصحف المحلية الوطنية وألغاها ، كما أصدر مجلس النظار فى سنتى ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ أكثر من قرار يحرم دخول جرائد بالذات إلى مصر ، وفى مقدمتها صحف يعقوب والعروة الوثقى التى كان يحررها الأفغانى ومحمد عبده فى سنة ١٨٨٤ ويصدرانها فى باريس .

فأذا أصدر المترجم له مجلته (الوطنى المصرى) إلى جانب (أبو نظارة زرقا) فأنما يصدرها من باب الحيطة وعلاج النقص إذا حدث ذلك حتى إذا صودرت صحيفته الكبرى ظهرت مكانها مجلته الأخرى وحلت عند قرائه محل صحيفته الأصلية ، وتمكن بذلك من أداء رسالته على طريقته الفريدة التى اتبعها ثلاثين عاماً دون توقف أو استرخاء

أبو نظارة

مصر للمصريين

هي فى ذمة المؤرخ أول مدارج النضج والاستواء فى مجلات يعقوب بن صنوع، من حيث الشكل الذى صدرت فيه صحفه، إذ هى أكبر طولا وعرضاً، وأجمل صورة ورسماً، وأدق إملاء وخطاً، ومن حيث الموضوع وتنوعه، والأسلوب وصحته، والفكرة وحرارتها .. فمنذ سنة ١٨٨٥ سنشاهد داراً للنشر أو شيئاً يشبه دار النشر، مصدره انتظام حياة الكاتب المادية واستقراره فى عاصمة النور، وشهرته بين الفرنسيين كمواطن لاجىء حر شريف

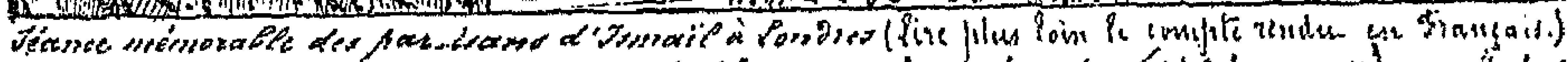
صدر العدد الأول من (أبو نظاره — مصر للمصريين) فى ١٠ يناير ١٨٨٥ وكان آخر عدد صدر منها فى سنة ١٩١٠، أى أن يعقوب بن صنوع مضى يصدر مجلته نحو ست وعشرين سنة، تقلبت فيها المجلة فبلغت فترة أوج العز والكمال، وانخفضت فترات فأصابها الهوان فى شكلها وموضوعها، وهى فى جل أعدادها خصصت جزءاً منها لنشر الموضوعات باللغة الفرنسية، فكانت الصفحتان الأولى والرابعة وقفاً على تلك اللغة (١)، وكانت اللغة الفرنسية تطغى أحياناً على اللغة العربية فتملأ أكثر المجلة وذلك « لتفهيم الأوروباويين ماصارت فيه مصرنا الآن من النشاط والتيقظ وعدم قبولها الغفلة، كذا اجتهاد أهلها فى حزم الرأى وحسن المسلك واتحاد الكلمة ... » (٢) ومن الأمثلة على ذلك أيضاً أن المجلة فى إحدى السنوات كانت تنشر ثلاثة أرباعها باللغة الفرنسية (٣)

وقد تغير رأس المجلة عدة سنوات، فظهرت فى سنة ١٨٨٥ بالعنوان الذى ذكرناه، ثم تغير رأسها فى سنة ١٨٨٦ فأصبح (أبو نظارة — ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود) ثم عاد رأسها إلى إلى ما كان عليه من قبل

---

١ — أبو نظاره — العدد الثالث وما بعده سنة ١٨٨٥ .
٢ — « فى ٢٤ مايو ١٨٩٣
٣ — « — راجع سنة ١٩٠٨

فى سنة ١٨٨٧ ، ثم تغير تغيراً خفيفاً فى سنة ١٨٩١ ، ثم تغير تغيراً ملحوظاً فى سنة



9me Année
Journal Oriental
Directeur & Rédacteur
en Chef
J. Sanua _ Abou Naddara
22. Rue de la Banque
Paris
Abonnement:
20 Frs par an

L'Egypte des Egyptiens

مصر للمصريين

Abou Naddara

ابو نظارة

السنة التاسعة
جريدة شرقية
مديرها ومحررها الاولي جيمس سانووا ابو نظارة
قيمة الاشتراك في ظروف سنة واحدة
عشرون فرنك
العنوان
٢٢ رو دي لا بنك ٢٢ باريس

No 1 Paris le 10 Janvier 1885

عدد ١ باريس ١٠ جنايو ١٨٨٥

Séance mémorable des partisans d'Ismaïl à Londres (Lire plus loin le compte rendu en Français.)

جلسه بدار الديوك اوف سوسرلند . اسماعيل يحكي سياحته في اوروبا ويرجو الانكليز الحاضرين يساعدوه على رجوعه لمصر .

Pendaison des fellahs sous prétexte qu'ils pourraient être révolutionnaires —
اسماعيل يشنق الفلاحين بحجة انهم عاصيين عليه

Empoisonnement des Pachas et des Beys adversaires d'Ismaïl, et confiscation de leurs biens —
اسماعيل يسم الباشاوات والبكاوات لنهب اموالهم .

Tortures infligées aux Egyptiens pour leur faire avouer où ils ont caché leur argent. —
عذاب ابنا مصر لكي يقروا بالمحلات اللي خبوا فيها اموالهم

Viens, ô Mahdi, viens nous venger d'Ismaïl —
تعال يا مهدي نجينا من اسماعيل

من صحف يعقوب فى باريس

١٨٩٣ ثم أصابها التغيير أيضاً فى سنتى ١٩٠٤ و ١٩٠٧ ، وهذا التغيير الذى شمل رءوس صحيفته لم يغير من شكلها أوطابعها أوحجمها ، بل مضت على سجيتها حتى ليفوت القارىء العادى أن يلاحظ هذا الذى سجلناه هنا من ألوان التغيير المذكور

والجديد الخطير فى شكل المجلة وروعتها ، هذه الصور الممتعة الملونة عدة ألوان، وهى تنافس مانراه اليوم من الصور الملونه ولا تقل عنها دقة وإخراجا (١) ولم يستطع المترجم له أن يستمر فى نشر تلك الصور البديعة فى جميع السنوات ، فاختفت فترة طويلة من صحيفته (٢) ولم تعد إليها إلا بعد سبع سنوات (٣) على أن هذا لا ينفى وجود صوره ورسومه الأخرى ذات اللون الواحد ، فى الصفحة الأولى أو الصفحة الرابعة ، وإن كان بعض الرسوم قد نشر فى قلب المجلة فى القليل النادر (٤) وقد صدرت الصحيفة فى ورق الصحف الجيد وإن كانت بعض الأعداد قد طبعت على ورق أبيض جميل (٥)

DIXIÈME ANNÉE

JOURNAL ORIENTAL

Directeur & Rédacteur en chef :

J. SANUA ABOU NADDARA

ABONNEMENT : 20 fr. par an

Rue de la Banque, 22

PARIS

N° 4. - 30 Janvier 1886.

ابو نظاره

ABOU NADDARA

السنة العاشرة

جريدة حرة شرقية

مديرها ومحررها الاول

الشيخ ابو نظاره

كافة التحارير ترسل الى هذا العنوان

رو دولابنك نمرة ٢٢ باريس

قيمة الاشتراك

عن سنة واحده عشرون فرنكاً

ستبدي لك الايام ماكنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

عدد ١ باريس ٣٠ جنايو ١٨٨٦

التغيير الذى أصاب رأس (أبو نظارة)

وقد قام يعقوب بن صنوع بكتابة صحيفته أحيانا وطبعها على الحجر ، وكان خطه من أقبح الخطوط التى مرت بتاريخ مجلاته ، نظراً لضعف إبصاره الذى حال بينه وبين

---

١ ـ أبو نظارة ـ راجع ابتداء من سنة ١٨٨٧

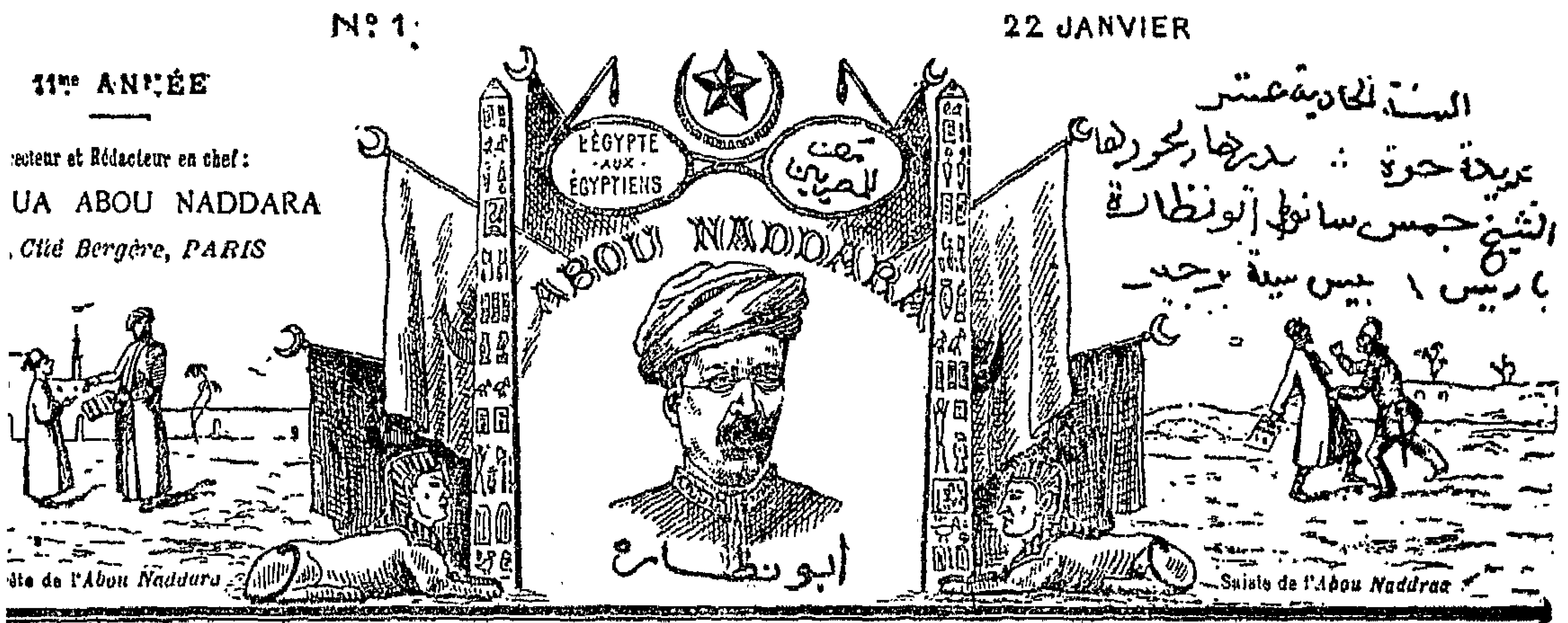
٢ ـ « « ـ راجع ابتداء من سنة ١٨٨٨ وما بعدها

٣ ـ « « ـ راجع ابتداء من سنة ١٨٩٤

٤ ـ « « ـ راجع بعض أعداد سنة ١٨٩٣

٥ ـ « « ـ راجع بعض أعداد سنة ١٨٨٨

تجويد الخط أو كتابة الكلمات دون خطأ أو اضطراب(١) حتى إننا نكاد نجزم بأن قبح الأعداد مصدره خطه الردىء ، وقد يستمر صدور الأعداد سنة كاملة على هذه الحالة(٢) ثم يتحسن بعض الشيء فى سنة أخرى(٣) ويبلغ أقصى الجمال فى معظم السنوات(٤) وقد رأينا مجلته فترة ما مطبوعة بحروف المطبعة ، فجاءت آية من آيات النشر والإخراج(٥) إلا أنه عاد إلى خطر اليد بعد نقل المطبعة من مكان إلى آخر واعتذر عن ذلك ، ووعد بنشر الصحيفة بحروف مطبعية غير أنه لم يف بوعده(٦)



التغيير الذى أصاب رأس (أبو نظارة)

ولم يكن صدور المجلة منتظما ، فقد كان العدد يصدر مرة كل شهر ، وأحياناً يصدر مرة كل شهر ونصف شهر(٧) ، واستمر يصدرها مرة كل شهر منذ ١٨٨٥ إلى سنة ١٨٩٠ ، ثم كتب يعقوب يقول فى ورقة خاصة ملحقة بالعدد الصادر فى ٢١ يناير ١٨٩١ « قد ازدادت رغائب مطالعى جرنالى لنمو أهميته ، واتسعت دائرة الاشتراك

---

١ ـ أبو نظارة ـ العدد ٥ من سنة ١٨٨٧
٢ ـ « راجع سنة ١٩٠١
٣ ـ « راجع سنة ١٩٠٢
٤ ـ « راجع سنة ١٩٠٣
٥ ـ « راجع السنة الثامنة والعشرين
٦ ـ « راجع العدد الرابع فى أبريل ١٩٠٥
٧ ـ « صدر عدد (٩) فى ٢٢ أكتوبر ١٨٩٥ وعدد ١٠ فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٩٥

فيه ولم تختص بمصر وسورية وتونس والجزائر والغرب بل بالهند والزنجبار وجزائر القمور وغيرها من البلاد الشرقية ، والذى يؤكد لنا ذات أهمية الجرنال ونفوذه وانتشاره فى وادى النيل مع شدة الحرس والمراقبين لمنعه . . . وبناء على طلب القراء جعلنا صدوره مرتين فى الشهر عوضاً عن مرة واحدة . . . . » غير أن هذا الوعد المسجل لم ينفذ ، بل إن مجلته مضت تصدر فى بعض السنوات أربع مرات فقط ، وإن كان يصدر بجانبها وفى نفس الحجم مجلات مختلفة لم يحن الوقت بعد للتحدث عنها(١)



من التغيير الذى أصاب رأس (أبو نظارة)

وقد ذكرنا أن يعقوب بن صنوع جعل مكاناً ملحوظاً لترجمة فرنسية لما يكتبه باللغة العربية ، وكان ينشر موضوعات كاملة بتلك اللغة لا علاقة لها بالمنشور باللغة العربية ، غير أن هناك لغات أجنبية أخرى نافست اللغة الفرنسية فى كثير من الأعداد وخاصة اللغة التركية التى كانت تبرز بين آن وآخر بمناسبة «المولد السلطانى الحميدى»(٢) ثم احتفظت مجلاته جميعاً فى أكثر السنوات بالتاريخ الهجرى يتصدر رأس أعدادها كما كانت الصفحة الأخيرة مكانا للتاريخ الفرنجى(٣) المعادل للتاريخ العربى ، غير أنه كان يغفل أحيانا كثيرة ذكر التاريخ الميلادى

---

١ ـ أبو نظارة راجع ابتداء من ١٨٩٨

٢ ـ « راجع العدد العاشر ١٨٩٩

٣ ـ « راجع ابتداء من سنتى ١٨٩٧ ، ١٨٩٨

بقي سؤالان قد يشغلان بال قارىء هذا الكتاب ، أولهما عن مقدار النسخ التى كان يطبعها من كل عدد، وثانيهما عن الأسباب التى عطلت المجلة عن الصدور أكثر من مرة فى الشهر ؟

ويجيب أبو نظارة بمناسبة بلوغ صحـــفه العيد الفضى عن السؤال الأول بقوله « . . . طبع كل مرة من كل عدد من الأعداد العادية مايزيد عن عشرة آلاف نسخة أما الأعداد ذوات الأهمية مثل التى تضمنت عيد الجلوس والمولد السلطانى فقد طبع كل عدد منها ماينوف عن الخمسة وعشرين ألف نسخة ، وبحمده تعالى فلقد طافت مشارق الأرض ومغاربها، وسلت الحزين على همه وملأت قلب المظلوم أملا بزوال ناف العبودية من على أكتافه . . . » ثم نجد الإجابة على السؤال الثانى فى قوله إنه تقدم فى السن وضعف بصره وكثرت أشغاله « بالتعليم والترجمة » فضلا عن اشتغاله بالقاء الخطب فى المحافل والمآدب السياسية والعلمية ، كل ذلك لم يمكنه من إصدار مجلته فى بعض الأحيان أكثر من مرة فى الشهر (١) .

ويعتبر يعقوب بن صنوع صاحب الجريدة وكاتبها وناشرها ، وإن قام بكتابة خطها كثيرون من الشرقيين ، ووضع رسومها أكثر من رسام ، غير أن موضوعاتها جميعا من قلمه ، سواء كانت باللغة العربية أو بأية لغة أجنبية ، فقد كان الرجل يجيد كتابة أكثر من عشر لغات ، غير أننا لاحظنا بين آن وآخر كتابات بقـــلم آخرين أفصحوا عن أسمائهم إفصاحاً ملحوظاً ، وداوموا على نشر المقالات عدداً بعد عدد ، حتى ليخيل إلينا أنهم من محررى المجلة الأصيلين ، وفى مقدمة هؤلاء القس لويس صابونجى صاحب مجلة النحلة (٢) .

* * *

أما سياسة المترجم له فى صحفه جميعا ، فهى هى سياسته التى عرفناها له من قبل حتى سنة ١٨٨٤ ، ولا يزال إسماعيل وتوفيق ، وخاصة الأخير موضع سخطه وسخريته ، ومن ذلك مانشره تحت عنوان (دور) (٣) ولا تنصب السخرية على توفيق وحده

---

١ ــ راجع سنة ١٨٩٥ من أبو نظاره

٢ ــ راجع سنة ١٨٨٦ من أبو نظاره

٣ ــ أبو نظارة ــ العدد ١١ سنة ١٨٨٥

بل تشمل المصريين الذين يرضون الذل ولا يرفضونه ، إستمع إليه يقول

مستر توفيق ابن اسماعيل ماله رفيق فى وادى النيل
الناس سابوه لكونه خان مصر وابوه حتى السلطان
باع للأجنبى كل الأصحاب أهبل وغبى غشاش كذاب
. . . .
فى مصر رجال يخلصوهم من الأندال اللى باعوهم

غير أنه يستعرض تهاون مواطنيه فى ظروف سابقة ، ويتذكر مواقفهم الضعيفة فى الشدائد والمحن ، فيعلق على ضعفهم وخورهم فى عنف بقوله فى فقرة من فقرات هذا الدور :—.



Vingtième Année
FONDATEUR
Directeur et Rédacteur en Chef
J. SANUA ABOU NADDARA
6, Rue Geoffroy-Marie, PARIS

Le Journal d'Abou Naddara

Toute communication et demande d'abonnement doivent être adressées au Directeur du Journal

N° 6. 22 Juin 1896

ABONNEMENTS :
Édition de Luxe avec suppléments et primes, 1 an. 26f »
Abonnement simple, 1 an. 10 »

بيان هذه الرسومات فى مقالة [illegible] السودان [illegible]

هزيمة الانجليز فى السودان

لا.دول بالهم توفيق بيسوقهم ده وحل مش دم اللى فى عروقهم

. . . .

وتأخذ القضية السودانية وأبطالها مكان الصدارة فى صحيفة ابن صنوع سنوات متصلة ، فنجد تحية رائعة من قلم صاحب النحلة عن (عثمان دقة بطل السودان)(١) استغرقت الصفحة الأولى ، وفيها يدافع صابونجى عن الثائر ويحمل على الإنجليز «إذا ذب المرء عن دينه وعرضه ووطنه كان أشد الناس ورعاً وشرفاً ومروءة فالبطل الهمام عثمان دقه الذى أضحى على الإنكليز أشد نقمه ، قد تفرد بين قواد السودانيين بالبسالة والغيرة على حرية وطنه وقومه ، فلا لوم عليه إذا قاوم الإنكليز والأجانب الذين حاولوا غزو بلاد نشأ فيها ، ولذلك لاندرى بأى حق يصفه الإنكليز بصفة عاص » ثم يمضى مادحاً له ساخراً من الإنكليز وجيشهم المدبر فى السودان .

ويظهر أبو نظارة شماتته بهزيمة الجنود الإنجليز فى السودان تحت عنوان (برج إيفيل) وهو حديث عن هذا البرج ومهندسه فيزعم أنه كتب مقالا من أعلى البرج ذكر فيه أنه يرى وادى النيل « من السودان إلى اسكندرية . . . ويرى أسود السودان قد أخذوا الإنكليز على أسنة رماحهم كأنهم كباب من لحم خنزير قد سيخ فى سيخ مسقى ببول الحمير ، وهم على صورة الجراد ، ووجه الشبه أن الجراد لم ينزل بواد إلا خربه . . . » (٢) وهكذا ينتقل إلى مدح شجاعة مواطنينا السودانيين ، مؤيداً كفاحهم ، راجياً نصرهم ، فهو يعتبر نصرهم نصراً لمصر أيضاً .

ويتحدث المترجم له عن فتح السودان ، ويرى ذلك خطراً على كيان مصر نفسها وافتئاتاً على حقوق السلطان ، ووسيلة لإطالة بقاء الإنجليز فى مصر ، ويرتب على هذا الموضوع آراء لابأس من تسجيل بعضها ، قائلا إن الاحتلال « سايق قدامه عساكرنا المصرية، لمحاربة إخوانهم السودانية ، ومصاريف السفر من خزنتنا اللى مفاتيحها بيد الإنجليز ، فخزنت على مصايب وطنى العزيز . . . وكيف الإنجليز يشهروا الحرب على السودان ، من غير مايستأذنوا مولانا السلطان ، ياهل ترى ديارنا المصرية ماهيش قسم من الممالك العثمانية ؟ . . . عمرى ما أصدق أن سمو خديوينا من الحرب

---

١ ــ أبو نظارة العدد الثانى ١٨٨٦

٢ ــ أبو نظاره فى ١٥ أغسطس ١٨٨٨

دى مسرور ، لأن جنابه سيد العارفين ، ويعرف أن محاربة السودانيين ، نتيجتها مشومة على وادينا ، ومفيدة لأعادينا ، لأنهم إذا انتصروا على السيد عبد الله العطايشى — يقصد التعايشى — ودقة عثمان — يقصد عثمان دقنه — يتسلطنوا هم ذاتهم على السودان ، وإذا أنغلبوا مثل أول مرة يتخذوا كسرتهم حجة جديدة ، لإطالة إقامتهم فى ديارنا السعيدة ؟ لا . لا . ديارنا حزينة من يوم مادخلوها ، فنوا رجالها وأفقروها . . . » (١) إلى آخر هذا المقال الممتع الذى شرح جزءاً من سيرة فتح الإنجليز للسودان .

ويعبث الإنجليز بقبر المهدى ، ويسوء ذلك السودانيين والمصريين ، ويرى أبو نظارة أن يكشف للعالم ما ارتكبه المستعمرون من وزر ، فنشر تحت عنوان (وحشية الإنكليز وعدم مرحمتهم) (٢) قائلا « لابد بلغكم ياخلان ، مافعله من القساوة الانكليشيان ، بمدينة أم درمان ، بجثة السيد احمد محمد بطل السودان ..... إلى متى تحلم على الانكليز يارحمن ، دول ثابروا على المظالم ، وداوموا على الطغيان ... أف من الإنكليز ياماهم وحوش ، ياسلام عليهم متى قدروا ما يعفوش .... نراهم اليوم يفتحوا مقابر الأبطال ، ويخرجوا الميت ويفعلوا به أشنع الأفعال ، وفعلهم ده المشوم أجروه فى المهدى المرحوم ، أخرجوه من قبره وأمام أهله وناسه ، بيدهم النجسه قطعوا راسه ، وأعطوها لابن اخى غوردون الجنرال الخسيس ، اللى فى عهد المهدى مات فى أم دورمان فطيس ، وفرقوا أصابعه بينهم ورموا ماتبقى من جسمه الطاهر فى بحر النيل ... » ويكاد هذا العدد يكون وقفاً على فعلة الإنجليز وتصويراً لبغيهم ، باللغتين العربية والفرنسية وقد شرح هذا كله بطريقته الطريفة وأسلوبه العامى المسجوع ، ورسم له صوراً بديعة تحكى المقول فى وضوح يغنى عن الشرح الطويل

وإن ابن صنوع لايحمل على الانجليز فيما يعنى مصر والمصريين من شئونها المدنية أو يحمل عليهم فيما صنعوه فى السودان من وحشية لم تراع حرمه الموتى ، بل يحمل عليهم ويسخر منهم كلما جد فى حياة الإنجليز جديد ، فتجد أكثر من مقال

---

١ ـ أبو نظاره العدد الرابع في ١٨٩٦

٢ ـ أبو نظاره العدد الثالث فى ١٨٨٩

وصورة ورسم عما يصادفه الانجليز فى حربهم فى الترنسفال ، وهو يشرح جهاد أصحاب البلادو يسجل هزائم المستعمرين،ويطالب مواطنيه بأن ينتهزوا الفرص ويقوموا قومة رجل واحد ، ويفعلوا بالإنجليز ما فعله إخوانهم المجاهدون فى جنوب إفريقية (١)

ومن روائع البحوث التى عرض لها يعقوب بن صنوع شئون الحرب بين اليابان والروس فى أوائل القرن العشرين ، فقد حكى لنا فى تفصيل موضوع تلك الحرب وأسبابها واحتمالاتها ، ولم يفوت عددا دون أن ينشر من أخبارها ما اعتادت نشره الصحف الأخرى ، وزاد عليها بشرح الظروف وتفصيل الملابسات التى تحيط بالمحاربين ، وبين قدر العلم ومقامه فى توجيه تلك الحرب، منددا بتأخر الروس مبشرا بتقدم اليابانيين ، وقصارى القول إنه قرأ ودرس عن تلك الحرب ماهيأ لصحيفته أن تسجل من الاراء والبحوث خير ماسجلته الصحف المعاصرة فى هذا الموضوع الخطير (٢)

آدي جنازة ست توفيق . والده باشا ام اسماعيل . اللي عابوا الخراب والهيق .. لمر مصر ولينا وادي النيل . تسمع يا اخ ازى جميع العباد . يهود او نسامين ونصارى . ميمشي بنواتيه الواد . في الواد الاهبل ابن شيخ الحارة . لكونه خلى العسكر ترفع عوض ما تقلب السلاح حسب الواجب في الجنازات . وهو عاطي ظهره الى سيده مختار . وحاطط ذراعه تحت ابط السار ولف اللي جايبه من مصر كل البرادات . وفاته بالسيرة صاحب توفيق من الدار للدار . ما نزعلشي يا غازي يا ضرغام . الصبر جميل يا قرواش طرطوق . وحياتك قبلما ينتهي العام . يجي دورك تجري امر السلطان وتنسحب الواد للخاروق .



جنازة جدة توفيق وتحكى طرائق النظر فى وداع الأموات !!

وسوف نقرأ فى (أبى نظارة) أمورا تكاد تكون خاصة لاعلاقة لها بالشئون السياسية ، ومنها ذكره لوفاة جدة توفيق ووالدة إسماعيل وتعليقه على جنازتها بالكلام والرسوم (٣) ومنها حياته التى لا يغفل عن ذكرها فيما روى عن الناس

---

١ ـ أبو نظاره ـ راجع الصفحة الأولى من سنة ١٩٠٠

٢ ـ « « ـ راجع سنة ١٩٠٤ (ويلاحظ أن المجلة كانت تطبع فى سنة ١٩٠٤ بمطبعة حروف)

٣ ـ « « ـ العدد السادس فى ٢٤ يوليو ١٨٨٦

من قصص وحكايات ، وإنه ليحدثنا عن تاريخه حديثاً ممتعاً شائقاً(١) لايخرج عما نشرناه فى فصول سابقة غير أنه يخشى أن ينساه مواطنوه إذا مات فلا يكون لجهاده أو لتاريخه نصيب بين الأحرار ! وما نظنه بعد هذه الترجمة — وإن جاءت متأخرة — إلا سعيدا فى قبره مرفوع الذكر بين الأحياء على قدر ما وهبنا الله من خلة الوفاء للأوفياء .

إنه يخشى أن ينساه مواطنوه ، ولكنه لاينسى وطنه ومواطنيه ، وإن تحنانه لبلاده لينتزع منا العطف الشديد ، فقد تمنى أن يغيب عن وجه مصر عدوها المستعمر « . . . كنت أودع قلبى وقرطاسى ، وأعود إلى مصر وأعيش بين أهلى وناسى ، لأن الغربة طالت علىّ ووحشتنى الديار ، ونظرى ضعف قوى وصبحت اختيار . . . ويا هل ترى بعد هذا البعاد الطويل ، يسمح لى الزمان بالعودة إلى وادى النيل ، وأرى مبانيه وأتملى بأنس ذويه . . . ولم يكن تمنى ذلك لضيق القماش ، ولا لضنك المعاش ، ولكن الوطن عزيز وحبه فى الفؤاد غزير ، وكل امرىء نقى النطفة ، لم يسل ذوق هذه القطفة ، وذوقها فى فمى أحلى من الشهد ، وألذ من طيب المنام بعد طول السهد ، فأن كان لى فى مجارى الغيب أراه ، فقد بلغت من الحظ أوفاه ، وإن دنى قبل الرؤية الختام ، فمنى عليه السلام » (٢)

ثم نجده يشمت شماتة قوية حين يعفى نوبار من رئاسة الحكومة ، ويهلل لذلك فيؤلف تمثيلية بديعة بعنوان (سقوط نوبار) (٣) نشرت فى عدة فصول ومناظر ، واستغرقت العدد كله ، معروضة عرضاً جميلا فى أسلوبه المعروف ، ويقابل هذه الشماتة حزن عميق حين تلقى نبأ وفاة سامى البارودى ، إذ قال « كان مرادنا أن تشحن صحائفنا بأخبار مسرة حتى يتسلى بها أهل الوادى على همومهم لكن وآسفاه تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن ، ولم يغلب مافى الغيب إلا صاحب الغيب . . . إذ ورد لنا ما كدرنا وهو وفاة صديقنا محمود باشا سامى المعروف بالبارودى . . . »(٤) وبين مدى حزنه فى المحاورة التى تضمنت نعى الوطنى العظيم .

---

١ ـ أبو نضاره ـ راجع الورقة الصفراء قبل بدء سنة ١٨٨٦ مباشرة ثم العدد الثانى من سنة ١٨٨٧

٢ ـ أبو نضارة ـ راجع مقدمة سنة ١٨٩٧ وهى فى ورقة واحدة وله حديث آخر فى العدد الخامس ١٨٩٦

٣ ـ أبو نضارة ـ فى ١٤ يوليو ١٨٨٨

٤ ـ أبو نضارة ـ العدد الخامس ١٨٩١

وبعد قليل يقضى الخديو ، فيجلل جزءاً من الصفحة الأولى بالسواد ، وينشر تحت عنوان (توفيق) افتتاحية استغرقت العدد كله باللغتين العربية والفرنسية ، جاء فيها « إن الليالى والأيام لترينا عجائب لم تسكن لنا على خاطر وبال ، لا يعلم بما يجرى إلا مدبر الأمور وباسطها ... » ثم يستطرد ذاكراً أن قضاء الله «لا يبالى بعالى ولا واطى » مبينا أنه كان قد أعد مواد الصحيفة وفيها ما يسىء إلى ذكرى الفقيد غير أن قلبه « لم يزل رحيما دائماً وصفوحا » غير أنه سجل ما للتوفيق وما عليه «ولذلك قد أبديت كل ما أعلمه عن المتوفى من حسنات ومن مثاوى حتى يكون اعتباراً لمن يعقبه فيجتنب الخوض فى فعل مثل ذلك ... » (١)

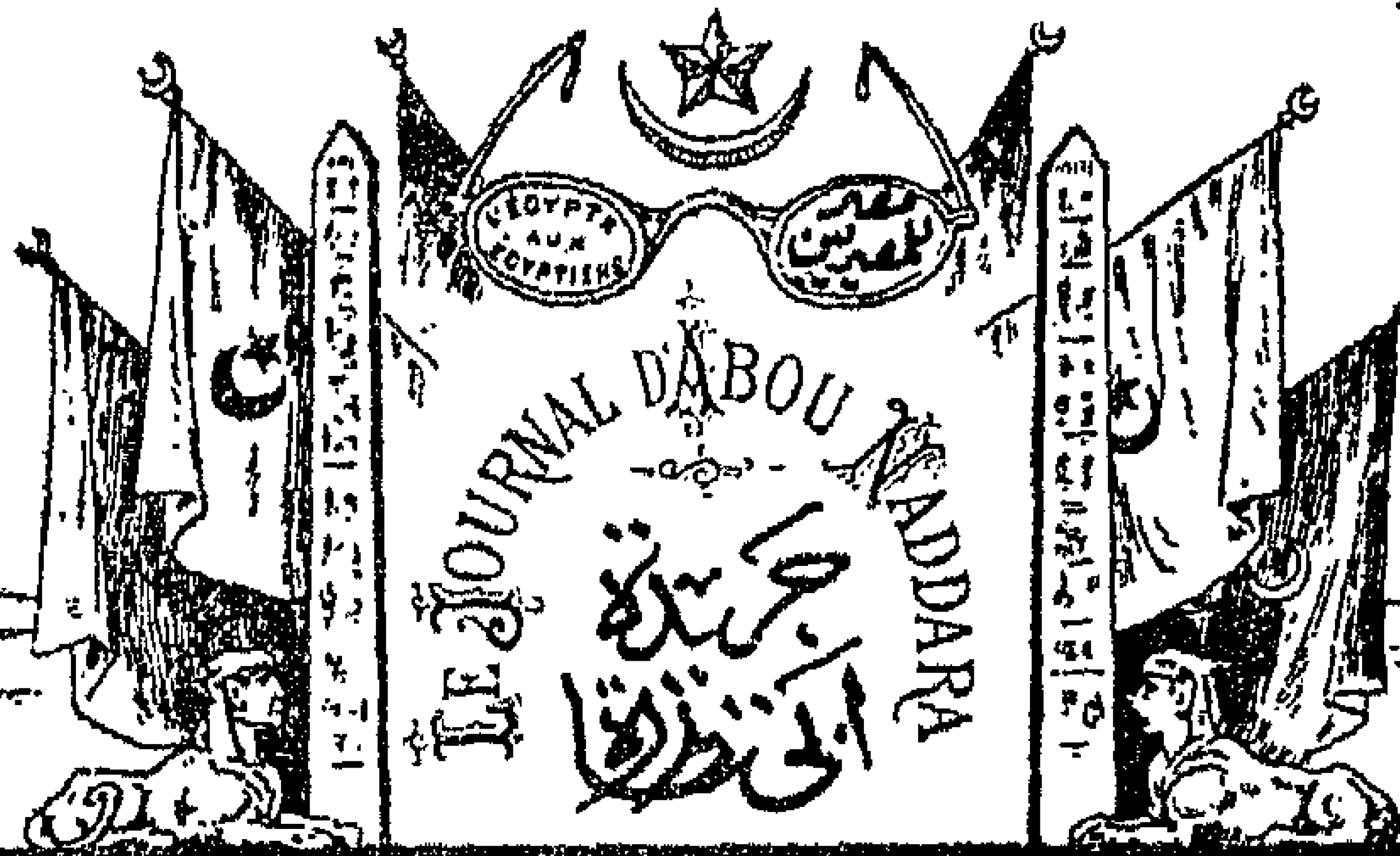
إن ابن صنوع يؤرخ لحياة الخديو المتوفى تأريخاً لا يمكن أن يوصف بالغرض ، فلم يذهب إلى ذمه إلى أبعد مدى ، إذ حاول أن يكون مؤرخاً عادلا ، وأحسب أن تولية عباس الثانى بن توفيق كان لها دخل كبير فى تهدئة الخصومة بين الكاتب وخصمه العتيد، وإن من يراجع الثناء الجم والتكريم الملحوظ الذى احاطت به صحيفة يعقوب الخديو الجديد يجد ما يؤكد ماذهبنا إليه من رأى(٢) فقد شغلت صحفه بمقالات المديح وصور عباس الثانى فى كل مناسبة من المناسبات ، وكان مصدر هذا الإعجاب مواقف الخديو الشـاب من الإنجليز وانحيازه إلى المواطنين الأحرار ، حتى إن المحرر لم يجد بدأ وهو ينعى البرنس حليم (٣) صديقه ومعقد آماله ، من ذكر عباس الثانى ذكراً فيه الولاء والوفاء ، وفيه الثقة بالأمير الوطنى الغيور ...



محمود سامى البارودى

١ ـ أبو نظاره عدد ٢٥ يناير ١٨٩٢
٢ ـ أبو نظاره راجع سنة ١٨٩٢ وما بعدها وخاصة العدد الخامس فى ١٨٩٤
٣ ـ أبو نظارة ـ العدد السابع ١٨٩٤

ويذكر يعقوب بن صنوع بين الأحياء والأموات ، علماً ، له فى تاريخ مصر الحديث مكانة الصدارة ، يذكر مصطفى كامل بمناسبة وجوده فى باريس فيقول « ..... ونذكر هنا ما صدر من الخطبة الفائقة الرنانة التى ألقاها صديقنا مصطفى أفندى كامل فى جمعيته الجغرافية بباريس



17e Année. — N° 2. — Paris, le 5 Février 1893.

السنة السابعة عشر عدد ٢ . باريس في ٥ فبراير سنة ١٨٩٣

... السرور الخديوي
بارسما بهذا العدد نسوّر
من معناه ما صدر من الاعيان
البلد والافرنج من ابداء سرورهم
باشا في تياترو الاوبرا
بيان ذلك على سبيل التفصيل
ووجها ادناه
من شهر يناير الماضي الموافق
النشاءه رجب الاصم توجه
الخديوي الى تياترو الاوبرا
استقبال من حضرته والحضرة الناس
والى الترحيل والتعظيم له بصوت
جميع اللغات ما عدا اللغة الانكليزية
والعز العزا اربع مرات
من الوداد والحب الناشئ
صادق النية والاخلاص لجنابه
اليهم الخديوي برد التحية
مما رآه منهم ثم التفت الى



ازدياد عساكرنا بمصر وحينئذ نفهم
المنطوي تحتها - قال الجنرال ووكار -
اما انت صاحب تدبير اقل خبرة بسياسة
وكل رياسة - قال اللورد كرومر
كلنا معاشر الانكليز من هذه العينة.
والفرنسيس الذين ارهم ساندين المصريين
لدفاعنا فلهم يوم الاكبر نوتيهم حالهم
قال الجنرال ووكار هو يؤشر باصبعه على
حجرة قريبة منهم - تأمل ايها اللورد في
هذا الاجنبي وهو نازل صفقاً بدون
انقطاع والمنه موكونيا وبسرور
غاية الانبساط من رؤية حبيبه
الفرنساوي لاشتراكه مع المصريين في
كيد الانكليز. ما الله هؤلاء الناس.
هل علمهم يحدثهم انا غدا راحلون نخلي
لهم الديار؟ - وانال والفريد اللورد
كرومر وطرق بلكمته على ركبته وقال -
نحن نترك مصر ونخلي لهم هذه البلاد
التي هي جنة العباد؟ ابداً ابداً.

الخديو عباس الثانى الذى نال تقدير صنوع .

بشأن الدفاع عن مصر وأهلها وحقوقها ، فصار لها طنطنة فى الجرانيل المعتبرة ، فسررنا لذلك وبادرنا بأشهارها حتى يطلع ... قراؤنا ويعرفوا مالهذا الخطيب الفصيح من البلاغة وحب الوطن ، ونسأله تعالى أن يكثر من أمثاله ويمن علينا جميعاً برؤية وادينا حراً سعيدا »(١) ومن العجيب أننا — على قدر الجهد الذى بذلناه فى دراسة صحفه — لم نجد أية إشارة إلى مصطفى كامل بعد ذلك ، مع أن هذا الزعيم الشاب قد ملأ الدنيا ، ومن بينها فرنسا ، برسالته التى هزت أعصاب الإنجليز وأرقت عليهم حياتهم فى وادى النيل

ومن تحصيل الحاصل كما يقولون ، أن نذكر أن أبانظارة لم يفوت سنة من السنوات إلا وكان له حديث ممتع عن سلطان تركيا ، غير أن الجديد فى أحاديثه شبه الخاصة مارواه عن الصحف المصرية الحديثة ، وخاصة تلك الصحف التى يعتقد الكاتب أنها صدرت لأداء رسالة(٢) تشبه رسالته وقد خص بالذكر «حمارة منيتى» فقال عنها «الجرايد ترجمان الأفكار وحدائق الأخبار ، خصوصاً الجرائد الهزلية اللى بالبدايع محلية ، وبالأنكات اللطيفة مرقومة ، كجريدة حمارة منيتى المنظومة ، اللى بتصدر فى مصر المحروسة ، وهى عند أهل الحظ أصدق من الحاجة نفوسة ... »(٣)

* * *

فأذا فرغ يعقوب بن صنوع من هذه الأمور العارضة لم يترك عدداً من أعداد صحفه إلا وعرض لشئون مصر الداخلية ، ومتاعبها فى الميدان الدولى ، وكانت لفرنسا مكانة خاصة فى نفس المترجم له ، فما تردد أبداً فى ذكرها الذكر الحسن كلما وجد فرصة لذلك (٤) وكثيراً ما حيا أصدقاء فرنسا وأكبر ثقافة الفرنسيين ، بقدر ماحمل حملة شعواء ، فى سخرية لاذعة ، على أولئك المتجلنزين ، وقد أمتعنا فى ذلك بمحاورة أدبية بين (سى لطيف افندى وشعلان باشا المتجلنز) (٥) وهى محاورة استغرقت

---

١ ــ أبو نظاره ــ العدد الاول ١٨٩٦
٢ ــ أبو نظاره العدد السادس ١٩٠٥
٣ ــ أبو نظارة ــ العدد التاسع ١٨٩٨
٤ ــ أبو نظاره ــ العدد الثاني عشر ١٨٨٧
٥ ــ أبو نظاره ــ العدد الثامن ١٨٨٨

أكثر من صفحتين ، وقد مضت مصر فعلا مبتلية بجماعة عاشت فى أعطاف الأساليب الإنجليزية ، ولا يزال بعضها إلى اليوم — للأسف الشديد — يحيا فى هذا الجو الغريب...



مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى

وإن ضيق يعقوب بأمثال أولئك المتجلنزين لا يمنعه من إعلان سخطه على كافة المصريين الذين وجدوا الذل أحلى مذاقاً من العسل « ... . وده لكوننا أنذال ، لأننا لو كنا صحيح رجال ، ماكان يقدر لا اللورد كرنب ولا السردار كشنكار ، يلزمونا نقول لهم ياس سار (١) ، يعنى نعم ياسيدى سمعاً وطاعة . آه يامصر ضاعت منك الغيرة الوطنية والجسارة والشجاعة ، ده شى جنان ، مايتصوره إنسان ، كيف خمسة آلاف عسكرى انكليزى بستر حمر وفساتين ، يدخلوا بلادنا ويحكموا على خمسة ملايين ؟ ... » (٢) وهو يدرس الحالة فى مصر على هذا النمط الساخر الزاخر بالتبكيت والتأنيب ، مستعيناً بتمثيلياته وقصصه بين آن وآخر (٣)

وليس يعنى هذا أن الكاتب قد قطع أمله فى مواطنيه ، بل إنه ليذكر بالفخر جهادهم ، فيحيى هممهم بمناسبة انقضاء عشرين عاماً على صحفه « صار لنا عشرين سنة تمام ، ونحن نقاتل الظلام ، وندافع عن حقوق الأوطان بالقلم واللسان . . . .

---

١ — يقصد نعم ياسيدى وهى الترجمة العربية لهذه الكلمات الانجليزية . واللورد كرنب هو كرومر والسردار كشنكار هو كتشنر

٢ — أبو نظاره — العدد التاسع ١٨٩٤ — ويشير بذلك إلى الفرقة الانجليزية المشهورة بسراويلها المزركشة المعروقة

٣ — أبو نظاره — العدد العاشر ١٨٩٤



كرومر أو اللورد كرنب

أما نحن فلم نزل فى الغربة باذلين ، جل همنا فى المدافعة عن المصريين ، كما يرى القارىء فى هذا المجموع ، اللى يدخل مصر ولو ممنوع ، ونخبر القارىء حتى يفرح ، أن جرنالنا هذا اللى فى الإنكليز يقدح من أعداده اللى صدرت فى هذا العام خمسين ألف نسخة دخلت بلادنا رغماً عن أنف اللئام ، ولله الحمد اليوم جميع الوطنيين، بينادوا امثلنا مصر للمصريين، ولهم جرانيل بحامى عن وادى النيل ، وبيكتبوا ويخطبوا بغاية الجسارة مثل والدهم أبو نظاره ، ده شىء يفرحنا لأننا صبحنا اختيارية ، فأذا توفينا هم يستمروا فى الدفاع عن الوطن والحرية .... »(١)

إنما الهدف الرئيسى فى صحفه ، لم يكن هذا الذى عرضنا له ، بل كان على رأس أهدافها الحملة المتصلة على الإنجليز ، وتعقب فعالهم فى كل مكان . وكشف مستورهم فى كل أمر يتهيأون له ، وإظهارهم بمظهر الجماعة الباغية الطاغية التى استشرى فسادها فى الأرض ، حتى غضبت عليها بلدان العالم جميعاً ، إستمع إليه ينطق لك إبليس مصوراً هذه الحقيقة « السلام على الهندى اللى صبح أرفع من البوص من موته من الجوع ، وعلى الفلاح اللى رايح يكفر من ظلم الإنكليز ، وعلى الطليانى اللى المستر بول غشه وتسبب فى كسرته وتقهقره ، وأزكى تحياتى أهديها لك يا أمريكانى يابطل اللى خليت الإنكليزى يحط ذيله بين وراكه »(٢) وهذا تصوير بديع لما صنعه الإنجليز فى شعوب الأرض ، فأفقروا الهنود والفلاحين المصريين ، وورطوا الإيطاليين فى حرب خاسرة مع السلطان !

ثم يسخر من الإنجليز وماصنعوا بمقومات حياتنا تحت عنوان (فضائل الإنكليز على المصريين) فيتعرض لمجلس شورى القوانين بقوله عن الإنجليز « اللى دخلوا البلاد وظلموا العباد ، وشتتوا شمل المصريين ، ونهبوا صندوق الدين ، وأنشأوا

١ — راجع الورقة الخاصة بمجموعة جرائده لعام ١٨٩٦

٢ — أبو نظارة — العدد الأول ١٨٩٦

مجلس شورى القوانين اللى كله عجز وبجز لكل من هب ودب ، وقال دى كلها فضائل بيعملوها للمصريين يكرم السامعين . . . »(١) ثم ينتقل إلى المحاكم الأهلية التى أنشأوها « . . . وقال ياسيدى طلعت محكمة أهلية على ترتيب البلاد الأوروبية ، وكلها جدعان ظراف وصبيان لطاف ، وناس تخدم المحتلين ، ودا اللى زاد فى البله طين ، يحكموا من غير مايفهموا ، ويفهموا من غير مايحكموا ، أشباح بلا أرواح . . . » ثم يختم سخريته اللاذعة بنقد المحتل فى طرائق نظره إلى حرية الصحافة ، وقد جاء ذلك فى زجل طويل استغرق نصف صفحة كاملة .



اللورد كتشنر أو السردار كشنكار

وينتهز يعقوب بن صنوع الاحتفال بالعيد الستينى لولاية فكتوريا شئون الملك فى بريطانيا ، فيرفع إليها خطاباً مفتوحاً تنقل فقرات من المقدمة التى قدم بها هذا الكتاب بعنوان (إسحى عسا كرك من مصر تصبحى فريدة العصر)(٢) وفيها يقول «هذا موضوع مكتوبى لجلالة فيكطورية ملكة الإنجليز ، اللى جرادها الأحمر بيتلف زرع وطننا العزيز ، ربنا ينجينا عن قريب من شرهم ، ويسلط عليهم زوبعة قوية تطيرهم لبرهم ، لأنهم إذا مانكشحوش من هنا لسنة من وادينا ، مين يعرف إيش يجرى فينا ، نموت من الجوع لأن الجراد فى الزيادة فى الغيطان ، والبلاد ، خلونا من الجراد الأحمر وسيرته الرديه ، إحنا فى مكتوبى للحضرة البريطانية ، اللى اليوم ملوك الدنيا بتهنيها ، على الستين سنة اللى بقى لها متسلطنه فيها ، نقشت لها المكتوب ده بلسانها لسان الوز ، وقلت لها إن كان بدك فى الفخر والعز ، والذكر الطيب بعد العمر الطويل ، إسحى عسا كرك ياستى من وادى النيل ، إنما الكلام

---

١ ــ أبو نظارة ــ العدد الأول ١٨٩٧

٢ ــ « « ــ العدد السادس ١٨٩٧

دا دخلته لها فى قالب لطيف ، بنفس سياسى ولسان ظريف ، لاشك أنها لما تقراه تنسر ، إنما ما أظنش أنها تأمر بسحب عساكرها من البر ، تيقنوا يا إخوانى أن العساكر الإنكليزية ماينجلوش عن مصر إلا بالقوة الجبرية ، دول مايجوش بالمعروف، ماينفعش معهم إلا المتلوف ، ما ألعن سيرتهم عن الموضوع بتبعدنا ، ربنا يقطع جرتهم ومن ظلمهم ينجدنا ، المكتوب المذكور ترجمته بالفرنساوى ، ودرجته هنا حتى يقراه ويفهمه كل أورباوى ، وتنقله عنى كل الجرائد الإفرنجية ، لما فيه من أهم الأمور السياسية . . . . » .

وهكذا لا يفوت أبو نظارة مقالا إلا ويهاجم الإنجليز ويتخير لهم ألوان الشتائم وأقبح الأوصاف كأعداء للوطن لا ينبغى أن يتهاون أحد فى خصامهم .

وقد يجد المطلع على مجلات أبى نظارة ، أن صاحبها ينصرف فجأة عن شئون مصر حتى ليخيل إلينا أن السلطات المصرية أو البريطانية قد استطاعت التغلب على أريحيته واشترته فيمن اشترتهم من الكتاب والصحفيين ، وهذا نادر قليل فى صحفه الكثار ، إذ أن انصرافه عن شئون مصر لم يحدث قط إلا فى سنة ١٩٠٠ حيث شغلت صحيفة (أبو نظارة) بأمرين ، الأمر الأول وهو الأهم ، معرض باريس ، فقد كانت سجلا لهذا المعرض بصورها ورسومها ومقالاتها المفسرة الشارحة للمعرض وما احتوى عليه من أشياء ، المبينة الأغراض التى يلتمسها ، وقدره فى حياة الشعب الفرنسى ، وإعلانه عن حضارة ذلك الشعب العتيد ، والأمر الثانى يتصل بحرب الترنسفال ، وفى غضون الكلام عن تلك الحرب أشار الكاتب إلى مصر فى بعض الأحيان

ولم يصب ابن صنوع بحرج قدر ما أصيب بالحرج نتيجة عقد الاتفاق الودى بين الانجليز والفرنسيين سنة ١٩٠٤ ، فقد أغفل فترة التحدث فى هذا الموضوع ، ثم طلع علينا فى أحد أعداد سنه ١٩٠٥ بحديث غريب ، أوله يبدو فيه الحرج واضحاً والتخريج للحالة غير مفهوم ، فقد انتزع من الاتفاق أملا لم يره أحد ولم يؤمن به إنسان « ماذا ينتج لوطننا العزيز من اتفاق فرنسا والانجليز ، هـذا سؤال إخوانى المصريين ، سؤال ما يعلم به إلا رب العالمين ، إنما أنا كل ما افتكر فيه ياسادة ، أقول المولى قادر على تبديل الذل بالحرية والسعادة ، ويمكن إن الاتفاق ده اللى زاد فى نفوذ الانجليز وفى سطوتهم على وطننا العزيز ، ينتهى بانجلاهم عن البر وتعود لنا مصر وتتفنطز

وننبسط وننسر ، ربنا على كل شيء قدير ، وعلى السيد ينصر الأسير ، قلبي يحدثني بأن اتفاق الدولتين علينا سعيد ، ونرى مصر خالية من الحمر فى عهد مولانا عبد الحميد »(١)

وهذا كلام أقل ما يقال فيه إنه فارغ ، اضطر الكاتب إلى نشره ليتخلص من الحرج الذى أصابه كمواطن مصرى موضع عطف الفرنسيين ، فأن التاريخ قد كذب كل ما ذهب إليه شعوره وإحساسه ، بل إن منطوق الاتفاق يعنى أنه تثبيت للاحتلال وتأكيد له ، وليس اتفاقاً سعيداً كما حدثه قلبه ومن شأنه أن يمهد لخروج الحمر من وادى النيل ، وقد عقب المترجم له على هذه المقدمة برواية تتحدث عن الاتفاق ، كان فيها موالياً للفرنسيين وخصماً شديداً للإنجليز ، غير أنها لا تعبر عن الواقع ، والواقع كان يكذب الرواية ومقدمتها ولا يسجل شيئاً من حقيقة الحال ، والحال كان أسوأ من أن يخرجه بن صنوع هذا التخريج الغريب !

غير أن يعقوباً لم يخفف قط من معارضته للاحتلال وأذنابه سواء قبل الاتفاق أو بعده فقد حمل حملة شعواء على عالم دينى من أئمة الاسلام فى مصر « كتب بيراعه السيال رسالة لم تزل محفوظة عند بعض الوطنيين تذكاراً لمروق ذلك الإمام عن واجباته الدينية والوطنية » فقد دعا الشيخ إلى مهادنة الانجليز والاستفادة من وجودهم فى مصر لأن نظامهم « خفيف » وظلمهم « لطيف » وحكمهم يدر الخير ، ولم يعرب لنا حفظه المولى عما نتج لأهالى تلك المستعمرات وفى مقدمتها الهند التى مر عليها أكثر من قرن وهى مستظلة بالعلم البريطانى ، من الفوائد الخصوصية الوطنية حتى تحمل رسالته المذكورة على أيدى الاحترام والاعتبار والامتنان ، ونتخذ قوله صادراً عن نزاهة وصدق فى الايمان ، وولاء وإخلاص فى محبة الأوطان ، وإلا فيكون كلامه كواو عمرو ، يكتبها ولا يلفظها القراء ، ورسالته لا محل لها من الاعراب بين العلماء والأدباء »(٢)

ثم يعرض يعقوب بن صنوع لمشاكل البلاد الكبرى فى أسلوبه العامى المأثور

١ — أبو نظارة العدد الثامن ١٩٠٥ (ويلاحظ فى أول المقال أنه كتب العدد ٧ وصفحته ٨)

٢ — العدد الثالث من السنة السادسة والعشرين

فنجد بحوثاً طريفة فى مشكلة العقبة تحت عنوان (الأسد والنمر) (١) ينشر المقال ويرسم له رسوماً ممتعة تصور حقيقة الحال ، ويقف فيه إلى جانب السلطان فى ثقة واطمئنان إلى قدرته على حل المشاكل ! كما أشار فى موضع آخر إلى الموقف الكريم الذى تقفه منا فرنسا وألمانيا وروسيا وذلك برسم بديع يبين إبليس يحمل إنجليزيين إلى جهنم لسوء معاملة بريطانيا لنا (٢) .

ولا نريد أن نطيل فى تأريخ ماتضمنته جريدة (أبو نظارة) وإنما نسجل هنا طريفة من طرائفه التى تدل على بعد نظره ، بعد أن بينا قصر هذا النظر فى الاتفاق الودى ، إنه يختلف اختلافاً عميقاً مع كافة المصريين الذين هزهم الفرح بإقالة اللورد كرومر ، إن المصريين يعتبرون تلك الإقالة نصراً مبيناً لهم وللحزب الوطنى الذى يرأسه مصطفى كامل ، غير أن ابن صنوع يتوجس خيفة من ذلك الحدث ، وينصح

VINGTIÈME ANNÉE

FONDATEUR
Directeur et Rédacteur en Chef
J. SANUA ABOU NADDARA
6, Rue Geoffroy-Marie, PARIS

Le Journal d'Abou Naddara

Toute communication et demande d'abonnement doivent être adressées au Directeur du Journal

N° 3.4 — 5 MARS 1896

ABONNEMENTS :
Édition de Luxe avec suppléments et primes, 1 an. 20 »
Abonnement simple, 1 an. 10 »

Lire à la 2me page nos intéressants articles : « L'Union Française à Constantinople » et le « Baptême du Prince Boris ».



إبليس يحمل خصوم مصر إلى جهنم فى حضور ممثلى الدول .

---

١ ـ أبو نظاره ـ العدد الرابع ١٩٠٦

٢ ـ أبو نظارة ـ العدد الثالث ١٨٩٦

بالتريث تحت عنوان (ماتفرحوش لمن يروح لما تشوفوا من يجى) (١) فيقول « . . . تأملوا فى المثل ده بإكرام ، لأن له محل شاهد فى هذه الأيام ، بمناسبة استعفاء اللورد كرومر وانجلاه عن وادينا ، بعدماعمل كيفه ربع قرن فينا ، ودخول السار غرست فى مكانه ، وهو من أوفى أصدقاه وأعز إخوانه ، بقى ماتفرحوش فى استعفاء اللورد كرومر وارتحاله ، لما تشوفوا غرست خليفته وتتأملوا فى أعماله ... »

ويقص أبو نظارة على مواطنيه نادرة من تاريخ الرومان فيها الحكمة والبيان الصحيح ، وفيها تفسير جميل لهذا المثل الذى يقوله دائماً عامة المصريين ، فصاحبنا ينقل إليهم أنه كان هناك « ظالم خاين غدار ، طلع ذات يوم للحرب ومعه جيش جرار ، فرأى عجوز شمطاء زىّ أم المستر بول ، طالعه تجرى وراه وهى تصيح وتقول ، ربنا ينصرك ياملك الزمان ، وتعود سالم غانم الأوطان ، فعرفها الملك ودعاها فهرولت نحوه وهى تصيح وتقول لبيك أنا جارية بين يديك ، فقال لها كيف تدعى لى بالفوز والظفر على الأعادى ، وأنا قتلت إخوتك وزوجك وأولادك ، وظلمت أهل بلادى ، فقالت له المرأة . أبوك كان ظالم وجبار ، وكنا كلنا نتمنى له الموت طول الليل والنهار ، فربنا قبل دعانا ، ومن مخالبه نجانا ، فمات وأنت خلفته فى الملك على الرومان ، فنراك فقته فى الجور والظلم والعدوان ، فلذلك نطلب لك العودة بالسلامة من الجهاد لخوفنا إن مت يطلع خليفتك أزرط منك فى الخباثة والرداوة والاستبداد » ثم يقول الكاتب لمواطنيه « فعلى شان كدا أنا ما أفرحشى فى الرايح ، قبلما أرى الجاى وأشوف إن كان يقبل النصايح ، ويعامل أبناء مصر والسودان ، باللطف والإحسان ، وينسينا حادثة دنشواى ، اللى حرقت القلوب ، واستعاذت بالله من سمعتها كل الشعوب ... »

لقد كان أبو نظاره يحكى لنا الحكمة فى كثير من أقواله وملحه ونكاته ، ولعل حكايته هذه من أمتع ماتضمنته صحفه المختلفة ، وهو دائب التحذير لمن يحسن الظن بالعدو ، دائب التأييد لمن يسعى لخدمة وطنه ، وإن استقباله لإعلان الدستور فى تركيا ، وتحيته لأعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، مثل طيب على اقتناصه الفرص فى تمجيد الأحداث الكبيرة وأصحابها ، سواء كان ذلك فى تركيا أو فى أى بلد آخر

١ ـ أبو نظاره ـ العدد الرابع ١٩٠٧

حتى يمكن أن يأخذ منه المصريون العبرة فيعتبروا ويروا المثل فيحتذوه(١)

لقد كانت مجلات يعقوب مسرحاً لعواطفه وأمانيه وقلما كان يشاركه فى تحريرها أحد من الكتاب إلا فيما ندر، وإن كان قد فتح صدرها لكثير من الكتب التى وردت إليه من مصر وغيرها من بلاد الشرق، فكان ينشرها جميعاً، وهى فى أكثرها تتفق ومزاج الناشر وأهدافه، غير أنه لم يتردد فى نشر آراء لا يؤمن بها وإن علق عليها بأنه غير متفق مع صاحب المقال ولا يذهب مذهبه فى الرأى والتأويل(٢)



ويبدو أن الحماسة التى كانت تغلب على عواطف الكاتب فى السنوات الأولى هدأت بعض الشىء حين بلغت صحفه الثلاثين من عمرها، ولعل للسن والأمراض دخلا فى ذلك، وقد أشار هو منذ سنة ١٩٠٦ بأنه لم يعد قادراً على الكفاح كما عود قراءه، غير أنه يعد مواطنيه بأن يصدر صحيفة فرنسية فى باريس تكون لسان الوطن فى الخارج(٣) وإن إعجزته السن والموارد عن الاستمرار فى إصدارها حين تحققت أمنيته، إلا أنه لم يكف قط عن التلميح ثم التصريح باعتزامه إغلاق صحفه، حتى حلت سنة ١٩١٠ وهى السنة التى مرض فيها ولزم فراشه حتى مات سنة ١٩١٢ (٤) فأعلن فى العدد الرابع أنه سيكون آخر عدد يصدر لأبى نظاره تحت عنوان «آخر عدد صادر من هذه الجريدة التى بأنظار عشاقها عاشت لليوم سعيده» ويذكر الأسباب.

---

١ ـ أبو نظاره ـ العدد التاسع ١٨٨٧

٢ ـ أبو نظاره ـ العدد الثالث ١٩٠٦

٣ ـ أبو نظارة ـ راجع الورقة المنفردة في ختام ١٩٠٦

٤ ـ ذكرت لنا كريمة المترجم له أن والدها أمضى فى سرير المرض سنتين كاملتين قبل وفاته.

ومنها أنه أصبح « اختيار » ونظره ضعف » ثم إن بلاده وبلاد الشرق عامة قد قامت فيها نهضة صحفية ولا محل لصحيفته بين تلك الصحف ، وهذه حقيقة سجلها وهو يختم نشاطه الصحفى العظيم

وإنه منذ مطلع القرن العشرين ، وهو يحاول أن يصدر صحفه على النهج القديم غير أنه كثيرا ما اضطر إلى تأخير إصدار بعض الأعداد لأسباب التمسها ، وما أكثر ما التمس من أسباب(١) كما أن الأخطاء المطبعية أو الخطية كانت إنذاراً بقرب النهاية وإن جالد الرجل فى تأخير تلك النهايه سنوات (٢)

---

١ ـ أبو نظاره ـ العدد الرابع ١٩٠٦

٢ ـ أبو نظاره ـ راجع الاعداد منذ سنة ١٩٠١

التودد

أصدر يعقوب بن صنوع ، إلى جانب صحفه الساخرة ، عدة صحف أخرى ، كان طابع الجد فيها غالباً على رسومها وموضوعاتها ، وعلى رأس هذه الصحف مجلة (التودد) والتودد « جريدة شهرية أدبية علمية تجارية تحت رياسة جاك قطاوى بباريس ونظارة أبي نظاره » وقيمة الاشتراك فيها عشرة فرنكات عن سنة واحدة وستة عن نصف سنة . وهي في حجم الكتب العادية ، وتفصح عنها مقدمتها إفصاحاً أبلغ من شرحنا ، فقد قالت في العدد الأول

« حمداً لمدبر الكون الذى أناط نجاح الأمم بالمعارف ، وصاغ من العلم حلية بهية أدهشت كل تالد وطارف ، وشيد منه أركاناً قوية كما شاء ، وأنزل أهله أسنى الدرجات وسماهم بالأحياء ، فهم مصابيح الأنام يستضاء بأفكارهم ويقتفى بآرائهم ، لهم السيادة على ماعداهم ، ولم يختص بالفصاحة وتقرير الأخبار سواهم ، وهم المحتاج إليهم فى جميع الأحوال ، وإلى أقوالهم المرجع والمآل ، ومامن أمة تقدمت وكثرت ثروتها وراجت متاجرها وزادت :وتها وتنعم بالها إلا باقتدائها بأهل العلم ، وما من أمة خذلت وتضعضعت واضمحلت إلا باستبداد الرأى وسوء التدبير وحب الذات والاكتفاء بمشورة عدم الخبرة ، والغفلة جهل والجهل لا يهتدى صاحبه إلى رشاد ولا يدريه فيطهره بالمداد ، ممقوت عند العامة ، منبوذ عند الخاصة ، لا يكاد يذكر حياً أو ميتاً ، وكفى العلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه ، وكفى الجهل ذماً أن يتبرأ منه أهله ، وفى الأمثال السائرة ، . العالم حى ولو كان فى منازل الأموات ، والجاهل ميت ولو كان فى منازل الأحياء ، وصلاة وسلاماً دائمين على جميع الأنبياء والمرسلين .... »

« وبعد لما رأينا هلال الشرق بعد انحطاطه آخذاً فى الارتقاء إلى برج الكمال الذى كان حالا فيه فيما مضى ، وتنبهت العقول فاستضاءت بمشكاة المعارف ومصابيح الفنون نشرنا هاته الوريقات على رؤس الأنام وسميناها بالتودد أملا بأن تكون واسطة فى الألفة والوداد بين الأمم ، وشبهنا ما طلع فى سماء صحفها بالبدر المنير لمناسبة

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS



·1re ANNEE· ·N°1· 15 JANVIER 1888

التودد

جريده شهريه
دبيه علميه تجاريه
تحت رياسة جاك
قطاوى بباريس
ونظارة ابي نظاره

السنة الاولى جماد اول سنة ١٣٠٥

قيمة الاشتراك
١٠ افرنك عن سنه واحده
٦ افرنك ستة شهور
ترسل الى مسيو لفيفر
٨٩ بساج دوكير باريس

Revue Mensuelle Arabe

LETTRES - SCIENCES - COMMERCE

Sous la direction de M. Jacques CATTAUI

Rédacteur en Chef : Le Cheikh ABOU NADDARA

Abonnement UN AN, **10** fr.. — SIX MOIS, **6** fr.

S'adresser à M. G. LEFEBVRE — 89, Passage du Caire, Paris.

من صحف يعقوب في باريس

ظهورها فى الشهر مرة كظهور البدر ، وإن نورها مستفاد من عقـول الأمم كما أن نور البدر الحقيق مستفاد من نور الشمس ، وإن كان نور البدر حسى (صحتها حسياً) ونورها معنوى (معنوياً) ولم تشتمل إلا على فنون ومعارف ومسائل علمية ومقالات أدبية وبعض من السياسة مما يلوح لنا من اللغات الأجنبية ، ونسأل المولى أن يعم نفعها كل مريد لأننا لم نقصد بها سوى بث الأمن والراحة وتنوير العقول بالرغائب العلمية والآداب الدينية ، إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير » (١)

إنه يصعب على القارىء أن يستنبط مايعنيه الكاتب من مقدمته الأدبية المنشورة فى صدر العدد الأول ، نظراً لقبح خطها ورداءة طبعها على الحجر ، وليس فى هذا العدد إلا مقالات وأشعار باللغة العربية ،وإن لم تسلم عبارتها أو يستقيم نحوها تماماً، وفيها من المديح لفرنسا وحياتها الشىء الكثير ، ووصف ممتع لباريس (٢) وقد ازدحمت صفحاتها بالرسوم ومعظمها لشخصيات معروفة ، وأكثر أخبارها ما اتصل بحالة فرنسا السياسية كتغيير الحكومات وتشكيل الوزارات (٣) ومن بين الصور التى عنى بها المحرر صورة جميلة لمستربلنت صديق المصريين (٤)

وتختلف التودد اختلافاً عميقاً مع مجلاته الأخرى،ويتناول هذا الاختلاف السياسة والمنهج والشكل فى معظم سنوات صدورها ، فهى سجل لنشاط دول الغرب والشرق وراوية لتاريخ الزعماء والأمراء والملوك ، تفصل ذلك حتى تستغرق كل صفحاتها وقد لا نجد عن مصر شيئاً لأعداد متتالية

وقد اقتصر المحرر فى ذكر مصر على تاريخها القديم ، إذ نشر فصولا متصلة عن تاريخها وآثارها،وعالج قصة بعض تلك الآثار فى أكثر من عدد،وقلما كان يعرض للنواحى السياسية المعاصرة وخاصة فى السنوات الأولى ،وإن زخرت مجلته بعد ذلك فى رواية الحوادث المصرية ، ولم تشر إلى تلك الحوادث فى دقة وعناية إلا حين كبر حجمها فبلغ حجم (أبو نظارة) وأصبحت فى سيرة مجلاته معاوناً أصيلا ومنافساً خطيراً لصحيفته

---

١ ـ التودد ـ العدد الأول فى ١٥ يناير ١٨٨٨
٢ ـ التودد ـ العدد الثانى ١٨٨٨
٣ ـ التودد ـ العدد الثالث ١٨٨٨
٤ ـ التودد ـ العددان الحادى عشرى الثانى عشر فى ١٨٨٨

الكبرى التى عرضنا لها فى فصول سابقـــة

ولم نرفى (التودد) إعلانات تعينها على أداء واجبها الصحفى ، غير أن القارىء اللبق يستطيع أن يعتبر كثيراً من الموضوعات مادة إعلانية إن صح التعبير، فأن مقالا زاخراً بمدح زيد أو عمرو وليس لأحدهما فضل فى وطنه، يعتبر فى الفن الصحفى إعلاناً مستتراً دفع أجره خفية، مالا أو نشاناً أو اشتراكاً مجزيا !

N°3 — 25 MARS 1888.

١٥ رجب سنة ١٣٠٥

عدد ٣

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS

التودد

جريده شهرية ادبية علمية تجارية

قيمة الاشتراك ١٠ فرنكات عن السنة

التغير الذى أصاب رأس الصحيفة

ولدراسة التودد يحسن أن تراجع سنة بعد سنة ، فهى كثيرة التغير من حيث الشكل والموضوع ، غير أن هناك علامات أو ملاحظات عامة يحسن تسجيلها دفعة واحدة ، فهى قد بدأت ولرياستها اثنان ، قطاوى وأبو نظارة ، فأما قطاوى فيبدو أنه نحى عن رياستها ولم يعد فى تاريخها أحد غير يعقوب بن صنوع ، الذى أشرف على تحريرها وسياستها منفرداً بعد العدد الثانى مباشرة ، وهى فى مجموعتها تكاد تبتعد ابتعاداً تاماً عن السياسة المصرية ، ولا تعنى إلا بالأخبار الصغيرة إلى جانب بعض الطرائف فى الأدب والتاريخ كما تخصصت فى مدح الملوك والأمراء وقادة الأمم والشعوب ، وقد عنيت أحياناً بشخصيات تافهة ما كان يليق أن تعنى بها (١)

ومما يذكر أن صاحبها كان يصدر أحياناً عددين معا فصدر العددان الحادي عشر

١ـ التودد ـ العدد الثاني ـ السنة الرابعة

والثانى عشر فى ست عشرة صفحة ومعهما ملحق من أربع صفحات ، ظهره أبيض وباطنه عبارة عن رسوم كاريكاتورية بالألوان عن الحالة فى مصر فى عهدى إسماعيل وتوفيق وخلال الفترة الأولى من الاحتلال البريطانى ، وتحتها تفسير للرسم باللغة الفرنسية ، كما صدر العددان الثالث والرابع فى عدد واحد من ست عشرة صفحة ، وكذلك كان الحال فى العددين الخامس والسادس فى سنة ١٨٨٩

15 JUILLET 1888. N° 6 باريس فى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٨

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS

Revue Mensuelle Arabe

LETTRES - SCIENCES - COMMERCE

Directeur et Rédacteur en chef: J. SANUA ABOU NADDARA

Abonnement · UN AN, **10** fr. — SIX MOIS, **6** fr.

S'adresser à M. G. LEFEBVRE — 89, Passage du Caire, Paris.



التغيير الذى أصاب رأس الصحيفة

وابتداء من السنة الثانية من (التودد) أخذت صفحتها الأولى تختلف عما كانت عليه من قبل اختلافاً يكاد يكون تاما ، وقد لاحظنا أن الصحيفة وإن انتظمت نوعاً

١ - التودد - العدد الأول سنة ١٨٩٤

جريده شهريه
ادبيه علميه تجاريه
تحت رياسة جاك
قطاوى بباريس
ونظارة ابى نظاره

التودد

السنة الاولى جماد آخر
سنة ١٣٠٦

قيمة الاشتراك
١٠ افرنك عن سنه واحده
٦ افرنك ستة شهور
ترسل الى مسيو لنبير
٨٩ بساج دوكير باريس



Portrait de son Altesse
ALY BEY, Bey de Tunis.

رسم صاحب السعادة والاقبال
مولانا على باى صاحب المملكه
التونسيه

رسم يبين التغير الذى أصاب الصحيفة

فى مواعيد صدور أعدادها إلا أنها اضطربت اضطراباً فى سنوات الصدور ، إذ اختفت نحو أربع سنوات بعد السنة الثانية ، ويعتذر ابن صنوع عن أسباب ذلك بقوله « لما ابتدأنا فى إنشاء جريدة التودد كان العزم وضعها فى سلك الاستمرار لكن بعد نشرها مدة عامين عرض لنا أمور . . . أشغلتنا عن المداومة والزمتنا الوقوف حتى نقضى ما تراءى لنا من ضرورية الأسفار التى كانت طوراً فى البلاد الإفرنجية وأخرى فى الممالك العثمانية »

ثم يبين لنا أسباب تلك الأسفار وما ترتب عليها من حسن النتائج ، ويمضى فيمدح الشرقيين عرباً وتركاً وإيرانيين ، ثم يقول « هذا ولما قضينا هاته الأسفار ، وبلغنا ما كنا متولعين به من الأفكار وعدنا إلى موضعنا ، ورأينا الأيام قد راقت والنفس مسرورة بحصول المآرب لاسيما مما حصل لنا من الإكرام لدى الملوك والأمراء الذين تشرفنا بضيافتهم وتفرجنا على محاسن مواطنهم قصدنا استنشار جريدة التودد ، وأملنا دوام استمرارها ، وقد حفظناها بحماية ذوى المعارف ، ورقيناها بنشاط أهـــل الرغائب ، ليشملها أولى المعرفة بمحاسن أقوالهم وبديع تصنيفاتهم حتى تعطر بأنفاسهم وتزين بمقـــالاتهم ، ويلبسها أهل الرغائب حلل المعالى باشتراكهم فيها ، فالأولون روحها والآخرون نفسها ، وجعلنا قيمة الاشتراك فيها ست فرنكات سنويا تدفع معجلا » (١)

ثم أضيف تغيير طفيف إلى اسم الصحيفة ابتداء من السنة الرابعة فسميت (تودد أبى نظارة) ويتصدر صفحتها الأولى قوله « تودد أبى نظارة ، جريدة سياسية أدبية بالرسومات محلية » وقد بين اشتراكها وهو عشرة فرنكات فى السنة وعنوانها وما إلى ذلك ، وقد أدخل عليها جديداً فى هذا الفصل الممتع الذى يكاد لا يخلو منه عدد وهو (فكاهة العقل) وهو حديث باللغة العامية ، يشبه كثيراً ما كان ينشر فى صحفه الأخرى الساخرة ، كما تتميز تلك السنة بأحصائية طريفة عن اليهود وتعدادهم فى فلسطين (١)

ولم يصدر من التودد فى سنة ١٨٩٥ إلا عشرة أعداد فقط ، ويتحدث كل عـدد عن أمة من الأمم مع رسم جميل لحاضرتها وبيان طويل عن تاريخ سفيرها فى باريس ،

---

١ ـ التودد ، العدد الأول ١٨٩٤

me Année N° 9 & 10. — (6, Rue Géoffroy-Marie) 15 Novembre 1889.

A'TTAWADOD

SYMPATHISONS



SOUS LE PATRONAGE DE M. LE DUC DE LA CHÂTRE



السنة الثانية : العدد التاسع والعاشر

باريس في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٩

Revue Mensuelle Arabe

LETTRES — SCIENCES — COMMERCE

Directeur et Rédacteur en chef : J. SANUA ABOU NADDARA

Abonnement : UN AN, 10 fr. — SIX MOIS, 6 fr.

S'adresser à M. G. LEFEBVRE — 39, Passage du Caire, Paris.

التغير الذى أصاب رأس الصحيفه

أما فى سنة ١٨٩٦ فقد ازدحمت بالوفيات ، وهى وفيات نزلت بعرب وأوربيين ، وفيها ترجمة لأولئك الذاهبين ، هـذا إلى محاورات(١) طريفة باللغة الدارجة عن حرب اليونان والأتراك نشرت فى سنه ١٨٩٧ وقد صدر فى تلك السنة تسعة أعداد وليست ثمانية كما أشارت المجلة إلى ذلك خطأ ، وقد لاحظنا أخطاء أخرى كانت واضحة فى تسمية الشهور المنشورة فى بعض الأعداد ، ومن الأشياء التى تلفت النظر عناية المحرر عناية فائقة بسلطان زنجبار ، حتى إنه أفرد للثناء عليه مرة ملحقاً نشره بعدة لغات(٢) ولا يخفى أن هذا السلطان قد وصل المترجم له بصلات أدبية ومادية ذكرت فى أكثر من مرجع .

ثم نجد المجلة قد كبر حجمها حتى أصبحت فى حجم (أبى نظارة) ومضت تصدر على غرارها فى سنتيها الثامنة والتاسعة ، وإن اختلفت فى أهدافها ، فبعدت عن شئون السياسة ما أمكن البعد عنها ، وعنيت بشئون تركيا عناية ملحوظة ، وتخصص بعض الأعداد فى رواية رحلة يعقوب إلى الآستانة ، كما تخصص بعضها الآخر فى أمور فرنسا وأعلام باريس ، ولوحظ أن جزءاً من صفحات بعض الأعداد فى سنتها التاسعة كان منشوراً باللغة التركية .

ومن الموضوعات السياسية التى عالجتها (التودد) حملتها على الإنجليز للفظائع التى يرتكبونها فى حربهم مع البوير ، وقد جاءت تلك الحملة تحت عنوان (البوير لهم رب يحميهم ، ومن ظلم الإنكليز ينجيهم)(٣) وقد بدأها بذكر سلطان تركيا وخديو مصر عباس الثانى بالإكبار والإجلال ، ثم دار بينه وبين « أبى خليل » حديث طويل ننقل منه بعض فقراته لنبين للقارىء المدى الذى أصاب (التودد) من تطور خطير

قال أبو خليل « أحسنت يا أستاذ ده رسم ما يحتاجش لتفسير — بقى ده اللى ماسك الرشاسة الجهنمية ده الجنرال كتشنر الشهير . ليس فى البراعة والمهارة والشجاعة والجسارة . لا ده فقط شهير فى غدر وقتل الأبرياء . ومكافئة الخوان والأشقياء —

---

١ ـ التودد ، العدد الخامس ١٨٩٧
٢ ـ التودد ، ملحق سنة «
٣ ـ التودد ، العدد الثالث ١٩٩١

السنة الخامسة العدد الاول في شهر رمضان المبارك سنة ١٢٩٨



التغير الذي أصاب رأس الصحيفة

قلت — ما أذكاك يابوخليل يازينة شبان وادى النيل . والنطع ده اللى واقف حداه المستر شاميرلين . يارب اضربه بكبتين ، وانفيه فى جهنم هناك يرى الاخوان والأصحاب بيقاسوا أمر العذاب فى جهنم الحمراء يعملوا من لحمه بيفتيك وكباب . لأن الملعون مدهن وسمين. يعملوا على كرشه عزومة للشياطين ... »

ثم ينتقل الحوار إلى قصة البوير وحربهم الضروس فيقول أبو خليل «طيب والأبطال دول ونسوانهم وأولادهم لابد إنهم البوير الأسود . الله الله على وجوههم السامية وعيونهم السود . لاشك أن البوير دول سكان قرية من قراى الترنسفال . هجم عليها ليلا الجنرال كتشنر وعساكره الأندال — وأخذوا الأهالى أسراء أولاد ونساء ورجال . . . »

فيرد عليه أبو نظارة قائلا « نعم وهاهو رايح يقتلهم بالرشاشة الجهنمية . ولو أن من سلم سلاحه حرم قتله فى شرايع الإنسانية» ثم يعقب أبو خليل « الإنسانية مالهاش اعتبار . عند المستر شامبرلين الطماع وكتشنر الغدار . وكلامك ده ياشيخنا العزيز . رأيته فى جرانيل الإنكليز . ما أخبث وما أفحش دِ الخصايل . ولاالبربر مايعملوش دِ العمايل . وهو حد فى الدنيا يقتل الأسرا ولا يرثى لحالهم . ويذبح أمامهم والديهم ونساهم وأطفالهم ؟ دول الإنكليز ذاتهم بيسخطوا على كتشنر وشامبرلين اللى جلبوا لهم لعنة أمم الشرق والغرب . بفعايلهم الذميمة فى الحرب . صار لهم بيحاربوا الترنسفال سنتين تمام . ضيعوا ستين ألف عسكرى ومايتين مليون من جنيهاتهم العظام . ولليوم القتال داير . ودايره على الانكليز الدواير .

ومن أمتع ما قرأناه حديث المحرر عن (الثلاث بليات الإنكليزية) وقد تحدث فيها عن المصائب التى جاءت فى ركاب المستعمرين «بحيث لا تمر سنة حتى يصاب قطرنا بأحداها وفى الغالب تتعاون الثلاث بليات علينا وتصدمنا فى آن واحد ، ومصداق قولنا ماهو جار السنة الحالية وهى ختام العشرين عاما من نزول الجراد الأحمر بمصرنا ، ياأفندم سنة يهيج علينا النيل ويغرق أطياننا . . . وهذا من إهمالهم ، وسنة تلهب النيران بأباعدنا ومصلحاتنا وهذا من قصورهم ، وسنة يفشى الطاعون وتنشر الكبة وهذا هم الجالبون له من هندهم . . . »(١)

١ — التودد ، العدد الثاني ١٩٠٢

السنة الثانية عشر جريده شرقية عربية مديرها الشيخ ج . سانوا ابو نظارة بباريس بشارع ريشه نمره ٤٢



قيمة الاشتراك سنوي فرنك ١٥ تدفع سلفاً

ومع جريدة ابى نظارة «والتودد» «والمنصف» فرنك ٢٦

عدد ١ باريس فى شهر ذى الحجه سنة ١٣١٦

شامبرلين الدجال . فى بلاد الترنسفال

المستر شامبرلين تعرفوه يا سادات . الرجل المرعش ناظر المستعمرات . المستعمرات الانكليزيه . الكائنه فى الاقطار المشرقيه . اخبرتكم هنا سرا را باخلاق . بما فعله من الجور والعدوان . فهو كما تعلموا قام الحرب على البوير . القوم الصالح اللى بيستاهل كل خير . اما مقاصده المسيكه وغاياته الغبيه . ماكانت الا للاستيلاء على اراضيهم اللى بمعادن الذهب محشيه . مين را يفه ما بملاها الا التراب . اما لعلو سعده وكثرة بخته اماله ماخاب . وفى الواقع ولو ان جيوشه انكسرت فى ميدان الحرب والقتال . بخداعه ومكره غشى البوير وتسلطن على بلاد الترنسفال . وما وفى لهم ولا وعد واحد من مواعيده . وقبض على ذمام حكومتهم وبيعمل فيهم كما يريده . وصبح المكسور سيد والمنصور من عبيده . وده كله ماكفاه الاوكان راح يبتزه فى اوطانهم ومعادنهم الذهبيه . اللى سلبها منهم واعطاها للحكومة الانكليزيه . فلما وصل المستر شامبرلين الدجال . الى بلاد الترنسفال . حصل بينه وبين قواد البوير مشاجرات . طنت ورنت فى سائر الجهات . اما هو فتشخر لهم متخر جابت للنايمين . وضرط لهم ضرطه ايقظت النايمين . وقال لهم انتم عبيد دى والبلاد بلادى . انصرف فيها واعمل فيها مرادى . وكان كلما وصل مدينه من مدنهم يدخلها بموكب ماله مثيل تتلته الغلغرافات وتوصفه الجرانيل . وتقول ان البوير استرحبوا به وهللوه . واكرموه وبجلوه . والحال البوير ما يتصوروه بالعين . ولما يشوفوه يزعقوا ويقولوا ربنا يلعنك يا شامبرلين . وقوادهم بوطه ودويت ودلارى سمعوه وسخ اودانه . وسخطوا عليه وعلى اعوانه . وبعض جرائد لوندره نشروا كل هذه الاخبار . والصحف الاوروبيه قالت للانكليز يا للعار . فالحوادث دى ياسادة . عملت لكم عليها رسم كالعاده . ومقالات فرنساويه . وقصيده بهيه . شنعت بها على لص الانكليز . سبب كل بلاوى وطنى العزيز . الرسم يمكننى افسره لحضرات القراء بكلمتين . الخبيص ده اللى فى العربيه ده شامبرلين والمسيوره دى اللى معاه دى مراته . والخياله اللى حوله دول ياورانه . وصورت هناك القرى والديار اللى خربها كتشنير وصبحها قفار . لانها لا يخفى البوير خربت ديارهم . ودمرت قراهم ومزارعهم ورملت نساءهم واستولى العدو على اقطارهم . والامراه الشهمه دى اللى وقفت للعربيه . دى ارمله بويريه . وحولها اولادها اللى صبحهم الانكليز ايتام . لان ابوهم وجدهم واعمامهم قتلوهم . فخاف منها الخبيل واصفر لون وجه المستر والمادام . ربنا ينصر المظلوم على الظلوم . اما الامرأة البويريه صاحت وقالت لشامبرلين هذا الكلام . ارجوكم تسمعوه باكرام .

ارجع لوراء بخيلك يا شامبرلين ولا تتقدم والا الويل لك . جاى تعمل ايه فى بلادنا المسكينه ما انتش شايف الارض لساها حمراء من دم القوم البوير الذى قتل وهو يدافع عن وطنه العزيز . انظر اباعدنا اللى حرقوها عساكرك وديارنا اللى خربوها ونساءنا

التغير الذى أصاب رأس الصحيفة

وهكذا أخذت (تودد أبى نظارة) تنافس فى أحيان قليلة صحيفته الأصيلة (أبا نظارة) ، وكانت تنشر أيضاً بعض الرسوم وصور الأشخاص ملونة(١) ، بل إن التودد ومعها صحيفة (المنصف) وصحيفة (العالم الإسلامى) كانت جميعاً معاونات صادقات (لأبى نظارة) حتى حللن مكان بعض أعدادها ، وقد استكملت التودد أو تودد أبى نظارة السنة الثانية عشرة ثم اختفت نهائياً بعد أن عاونت فى أداء رسالة صحفينا الكبير .

١ ـ التودد ، العدد الثالث ١٩٠١

المنصف

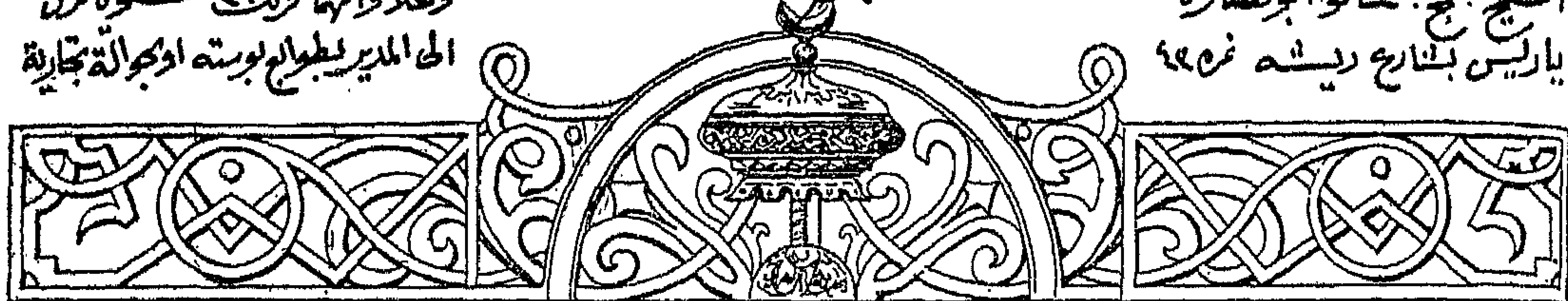
« المنصف » إحدى صحف يعقوب بن صنوع التى نشرها فى باريس وقد أصدرها فى حجم (أبى نظارة) الكبير فى سنة ١٨٩٩ وقد ظهر العدد الأول فى ١٥ فبراير من تلك السنة مطبوعاً على الحجر ، مكتوباً بخط اليد ، وهى كما يقول صاحبها «جريدة سياسية أدبية تجارية مديرها ومحررها الشيخ . ج . سانوا أبو نظاره المصرى بباريس » وقد جعل اشتراكها عشرة فرنكات فى السنة « ترسل إلى مديرها بطوابع بوستة أو بحوالة تجارية » وقد رسم على رأسها رسومات فنية مما يرسم عادة على منابر الجوامع والمساجد .

وللمنصف رسالة وأهداف يحسن تسجيلها كما هى لنتبين الأغراض التى انطوت تحت نشرها ، فقد وقع أبو نظارة على افتتاحية تضمنت ذلك كله وجاء فيها « أحمدك ياجميل الصنائع . يارفيع البدائع . على فضلك الوافى . وعونك الكافى . أمرت بالعدل والإنصاف . وعلمت مافى القلوب من وفاق وخلاف . بفضلك يامولاى نهضت . وبمعونتك ياإلهى نشطت . لأبدأ هذه الصحيفة . بآراء جلية شريفة . إذ ليس الغرض من إنشائها سوى الدفاع بكل صدق وإقدام . عن إخوانى أبناء الشرق الكرام . وتبيان حقوقهم . وسوء معاملة الغير معهم ومع أمرائهم وملوكهم . ومدح من نراه محباً لهم من الأمم الغربية . ومن يناضل عنهم فى حومة الإنسانية . ويحفظ حقوقهم ويفى عهودهم . لا سيما حقوق الأمة الإسلامية . وحقوق خليفتها المعظم ذى الفعايل المرضية . ومن الإنصاف أيضاً ذم من يجور عليهم ويظلمهم . أو يسلب أموالهم ويستخدمهم . أو يغور على بلادهم السعيدة . ويصبحها بحلوله فى ضيقة شديدة . ويتسلطن عليهم بحجة حمايتهم . أو تمدنهم ورفع درجتهم . وأرجو لجرنالى هذا أن يكون منصفاً لبنيه . من محبى الشرق وأعاديه . ولا فائدة فى كثرة التكرار . والإشارة تكفى النبهاء الأخيار . وما أوضحته آنفاً فيه كفاية المعلومية . وإن أتحفتمونى ياقرائى بآرائكم الصائبة ومقالاتكم البهية . بشأن معاملة الغربيين مع الشرقيين . من قبائح وملائح فلا بأس من المحبين . حتى إنى أبذل الجهد فى الدفاع . عنهم فى هذه النشرة وأجيد

المنصف

السنة الخامسة جريدة سياسية
ادبية تجارية مديرها ومحررها
الشيخ ج. سانوا ابو نظاره
باريس بشارع ريشه نمرة ٩٩

قيمة الاشتراك سنويا فرنك ٦
ومع جريدة ابى نظارة «والتودد»
وعلاواتها فرنك سنويا ترسل
الى المدير بطوابع بوسته او بحوالة تجارية



عدد ١ باريس فى شهر محرم الحرام سنة ١٣٠١

مصر للمصريين

اجعل يا ربى السنه دى الجديده . على ابناء المشرق سنة سعيده . ونجى كل مظلوم . من مخاليب ظالمه المشئوم . حتى نرى اولاد بلادنا المصريين . بالحرية والامن والراحة متمتعين . لان طالما الجراد الاحمر يتبطط فى الوادى . مصر تعتبرا نكليزية يا اسيادى . الامر ده ليل نهار شاغل بالى . احلم به ليلا واسطره نهارا فى جرنالى . وفى الواقع ليلة امس يا كرام . رايت نفسى فى المنام . كانى فى مصرنا العزيزه . واقف على سطح اهرام الجيزه . ورايت هناك المصرى والسودانى . والانكليزى والامريكانى . فلما قمت من النوم مسكت القلم ، ورسمت اللى جار واللى انظلم ، وكتبت الحديث اللى جرى بين الجماعه : كلام عقل ورزانه وشجاعه ، فرحت لما سمعت كلام المصرى والسودانى . والبطل الصنديد الامريكانى ، اما كلام المستربول ، ما يقوله الا المهبول والمسطول ، اسمعوه يا خلان . واضحكوا على الانكلشمان انما نصايح الامريكانى يا اخوه عليكم تتبعوها يا اخوانى . والان انظروا الى الرسم وتاملوا فيه . واسمعوا الى قول الاشخاص وافهموا معانيه . قال الفلاح — نهارك سعيد يا بطل — قال السودانى — ونهارك زى اللبن يا عزيزى — قال الفلاح اه — الايام السعيده اللى زى اللبن دى تركتنا من يوم ما دخل الانكليزى وادينا — قال السودانى — صدقت يا اخى اما المتشم فى ربنا بينصرنا على الاعادى كانصر سيدنا المهدى عليهم فى اول حرب . انا كنت فى وقعة عبيد ورايت الجنرال هكس وعساكره العشرة الاف مطروحين على ميدان الحرب غرقانين فى دماهم ربنا يرحم دا الايام ، اما ثانى حرب وهو الاخير كسرونا الانكليز لان ابنا مصر اللى كانوا معنا فى اول حرب قاتلونا فى الثانى . قال الفلاح — فهمنا فى غرضك من السيره دى . ١٥ كروس وكتشنير غشوا الجيش المصرى بقولهم ان القصد بالحرب خلاص السودان من يد الدراويش واعطاه الى الحكومة المصريه والحال انهم زرعوا فيه بيرقهم بيرق الظلم دول يا افندى من يوم حلولهم هنا ما تمر سنه الا وتجينا المصائب سنه حريق وسنه غريق وسنه هوا اصفر وسنه طاعون . قال السودانى — امته يا رب تخلصنا من جور الانكليز اللى بياكلوا لحمنا ويشربوا دمنا — عند ما طلع الامريكانى على سطح الاهرام وقال للفلاح والسوداني — ربنا يخلصكم من يد الانكليز لما يرى سبحانه وتعالى حب الوطن دخل فى قلوب حكامكم — فقال السودانى للفلاح بصوت خفى — من اين جانا الرجل ده . يكونشى جاسوس انكليزى ؟ صورته ما تشبه شى صورة اعادينا الحمر اما كلامه زى كلامهم — فقال الفلاح للسودانى — صاحبنا ده امريكانى . ده يحب مصر ومراده يراها تكسر نير العبودية اللى مركباه الانكليز على قفاها — فقال السودانى للامريكانى — ان كان صحيح تحب بلادنا قل لنا نعمل ايه لانقاذه من جور الانكليز — قال الامريكانى — اول كل شئ لازم ان الاهالى تتهذب يعنى تتعلم تقرا وتكتب — قال له الفلاح كل اولادنا يعرفوا يقروا ويكتبوا بالعربى والفرنسا وفى حتى بلسان الوز يعنى الانكليزى — قال الامريكانى — طيب وانتم . . . ؟ — قال السودانى — احنا نعرف نحارب ونموت فدا الوطن — قال الامريكانى — يا هل ترى لكم رئيس لا لا . ما عندكمش رئيس يقودكم كل واحد منكم بده يامر وما حدش فيكم بحب يطيع وبغير ذلك لا لزوم لا الحرب والقتال والامم المتمدنه

من صحف يعقوب فى باريس

القراع . وأملى دوام هذا الشان بصواب ومسرة وإحسان . ولا فلاح . إلا من الفتاح »

وحقا أدت المنصف رسالتها أحسن الأداء فى هذه الفترة القصيرة التى عاشتها ، أى فى السنتين اللتين صدرت فيهما ، وحققت أهدافها كاملة ،فكانت تكشف عن متاعب أهل الشرق من استعمار الغرب واستبداده فى أسلوب عامى هو الأسلوب الذى غلب على صحف يعقوب جميعاً ، مع بعض الرسوم والصور ، ومع ترجمة فرنسية استغرقت نصف صفحات المجلة ، على أن الملاحظ فى سياسة الجريدة كان إعلان فضائل الفرنسيين ، وكانت تصدر أفتتاحياتها أحيانا عن رءوساء جمهوريتهم أو كبار رجالهم (١)

ثم تضمنت (المنصف) كثيراً من صور الأشخاص ، وهم أشخاص لهم فى حياة الشرق والغرب نصيب ،ولم تلجأ قط إلى ما اتبعه ابن صنوع فى نشر القصص والروايات السياسيه التى أجادها وأبدع فيها فى صحفه الساخرة الأخرى ، كما تضمنت أخباراً من هنا وهناك وفصولا خاصة بمصر بعنوان « زهرة من تاريخ وطنى الغالى ونبذة من ترجمة حالى » (٢) كتبها بن صنوع ، وروى فيها المحاسن والمساوىء فى أسلوب بعضه عربى وبعضه عامى .

وقد دأب الكاتب على نشر رسائل مختلفة كانت ترسل إليه من مصر والبلاد العربية والشرقية الأخرى ، وكانت هذه الرسائل نثراً وشعراً ، وهى غاية فى الضعف من حيث أسلوبها وركاكة عباراتها ، حتى إن بعض الأشعار التى نشرها لجماعة من الشرقيين لم نستطع فهم معناها ، لأنها جاءت فى لهجة وعبارات لا يفهمها المصريون سواء فى جيلنا أو فى عصر ابن صنوع (٣)

وقد نهجت (المنصف) نهجاً عرفناه ليعقوب فى بعض سنوات صحيفته (توددأبى نظارة) إذ تكاد تقف صفحاتها على مدح كبار رجال الشرق من ملوكه وأمرائه وحكامه ، مما يعطينا صورة لعواطف الكاتب التى تلاعبت بها الصلات الأدبية والمادية كما أثر عن حياته فى أخريات أيامه ، لأن بعض من عرض لهم هنا ما كان يكتب لهم فى التاريخ سطر لولا أن يعقوب بن صنوع أرخ لهم تأريخاً قلما يؤمن به أحد ، فقد ظهرت فى هذا التأريخ أغراض الكاتب ، وليس تاريخاً ذلك الذى يبنى على الغرض

---

١ — المنصف — العدد الثانى فى ١٥ مارس ١٨٩٩
٢ — المنصف — العدد الثالث فى ١٥ أبريل ١٨٩٩
٣ — المنصف — العدد الخامس الصادر فى ١٤ يونيه ١٨٩٩

وتميزت السنة الثانية من حياة (المنصف) بالتعرض للشئون السياسية الصارخة إن صح التعبير ، وعاد الكاتب إلى حماسته الوطنية الملحوظة ، فجعل بعض الافتتاحيات حملات متصلة على الإنجليز وسياستهم فى وادى النيل ، وله فى هذا مقال ممتع عنوانه (الشهر الآتى الانكليز . تنجلى عن وطننا العزيز) (١) وهو يحدثنا فيه عن وعودهم فى الجلاء عن مصر وكذب هذه الوعود ، غير أنه يستنتج من هزيمتهم فى الترنسفال اضطرارهم إلى الجلاء عن وطنه ، وقد شرح ذلك فى ألفاظ لا يمكن أن ننشرها فى مطبوع ، بل لا يمكن أن تحكى على لسان ؟ !!

واحتلت سيرة البوير وحربهم للإنجليز مكاناً ملحوظاً من صحيفة المنصف فى سنة ١٩٠٠ وفيها من الشماتة بالبريطانيين شىء كثير ، وهو يربط دائماً فى التحدث عن البوير وثورتهم ، بين كفاحهم وكفاحنا ، وقد حدثنا فى ذلك حديثاً ممتعاً بعنوان (حقاً البوير جدعان . أما الإنكليز جديان) (٢) يبدؤه بالاعتذار عن تأخر المجلة عدة شهور ثم يتحدث عن مصر وينتقل أخيراً إلى شجاعة البوير فيقول « ياهل ترى وحشتك أنا وأخبارى ، مثلما وحشتنى أنت ياحضرة القارى ؟ لأن صارلنا شهر تمام (٣) . ماتحدثناش سوا يا ابن الكرام . فأن سألتنى عن سبب تأخير جرنالى ياصاح . أقول بأنه لانشغالى فى نشر مقالات فى صحف باريس الملاح . ترى مقالة منهم فى العدد ده بالفرنسيس . أظهرت فيها ما بتقاسيه مصر من جور المستربول الخنيس . والعوايد والفرد والضرايب والتغريمات . اللى بياخذها ظلماً وعدواناً من الفلاحين والذوات . والألوف اللى بيرفتهم اللورد كرنب من الدواير والدواوين . فلله الحمد مقالاتى دى الوطنية . وجدت أعظم قبول لدى أصحاب الجرايد الافرنجيه ... » إلى آخر ماجاء فى هذا المقال السياسى الطريف

ومما يذكر أن صحيفة (المنصف) دأبت فى بعض الأعداد على ترجمة مانشر باللغة العربية إلى اللغة التركية بجانب القسم الخاص باللغة الفرنسية ، غير أن خط الكاتب كان رديئاً بحيث يتعذر على كثيرين قراءته ، ومن ثم فهمه الفهم الصحيح ، غير أن ذلك لا يمنعنا من أن نذكر (للمنصف) — على قصر عمرها — أنها عاونت فى أداء رسالة المترجم له سواء اتصلت تلك الرسالة بمصر أو بغيرها من بلاد الشرق

---

١ — المنصف — العدد الأول فى ٢٠ فبراير ١٩٠٠ و ٢ — المنصف — العدد الثالث فى ٢٠ نوفمبر ١٩٠٠
٣ — الصحيح أن المنصف غابت عن قرائها ثلاثة شهور كاملة

العالم الاسلامى

نختم بهذه الصحيفة تاريخ النشاط الصحفى ليعقوب بن صنوع ، وهى صحيفة تتميز بأشياء جديدة ، تتميز بلغتها الفرنسية التى انفردت بها ولم تشاركها فيها لغة من اللغات الأخرى ، وتتميز بورقها ولونه الضارب إلى الحمـــرة ، وصورها الواضحة المعالم والأشخاص .

هى صحيفة (العالم الإسلامى) لمديرها ومحررها الأول « شاعر الملك الشيخ ج.سانوا أبو نظارة » وتقول أيضاً (L'Univers Musulman) فى رءوس أعدادها أنها صحيفة « أدبية ، تجارية ، صناعية ، مالية » وتشير الرسوم المنشورة دائماً فى رءوسها أنها صحيفة العالم الإسلامى حقاً ، فقد رسمت على جانبى إسمها قباباً ومئآذن وأشخاصاً باللباس العربى الأصيل ، وباللباس المصرى ، مما يعطى صورة عن أنها تعبر عن أصحاب تلك المـآذن والقباب ، وقد قررت عشرة فرنكات اشتراكا لهـا وعشرين فرنـكاً مع (أبو نظاره) وخمسة وعشرين فرنـكاً للصحيفتـــين وما يصدر عنهما من ملاحق .

أما أهداف الجريدة فقد بينها صاحبها وهو يحدثنا عن « مجموع أعداد » « أبى نظارة » و « العالم الإسلامى لسنة ١٩٠٧ فقـال « أهديك ياحضرة القارى فائق احترامى . وأرجوك قبول مجموع أعداد جريدة أبى نظارة ومجلة العالم الإسلامى . إيش قولك ياعزيزى فى هذا الـكراس الـكبير . ماهوش عال العال ومزين بأفخر التصاوير ؟ إتحفه بنظرة من أنظارك الجليلة . ترى فيه مقالات جميلة . كلهامدح وثناء فى جلالة مولانا السلطان . حفظه وحرسه ونصره الرحمن . وكـذا ترانى أبجل علماء وشعراء الترك والفرس والعرب . اللى أقوالهم كلها طرب . إنما الأعداد دى وردت لك فى مواعيدها ياصاح . واطلعت على ماحوته من الجمل والصور الملاح . ورأيتنى أقاوم الإنجليز . وأدافع بالباع والذراع عن حقوق وطننا العزيز . وليل ونهار أرفع عينى إلى السماء وأقول . يارب إنقذ مصرنا من مخالب المستر بول . لأن وادى النيل من الممالك العثمانية . فـكيف يتسلط عليه جيش الحـكومة البريطانية ؟ واليوم

ياحضرة القارى داعيك أصبح اختيار . وخايف أموت قبلما ينجلى عن وادينا الجراد الأحمر الغدار . وأعود لبلادى وأراها متمتعة بالحرية . وأشاهد رؤية سمو خديوينا البهية . شوقى لأبناء مصر والسودان يعجز عن وصفه أفصح لسان » .

4me ANNÉE · N° 1 · 15 FÉVRIER 1907

L'UNIVERS MUSULMAN

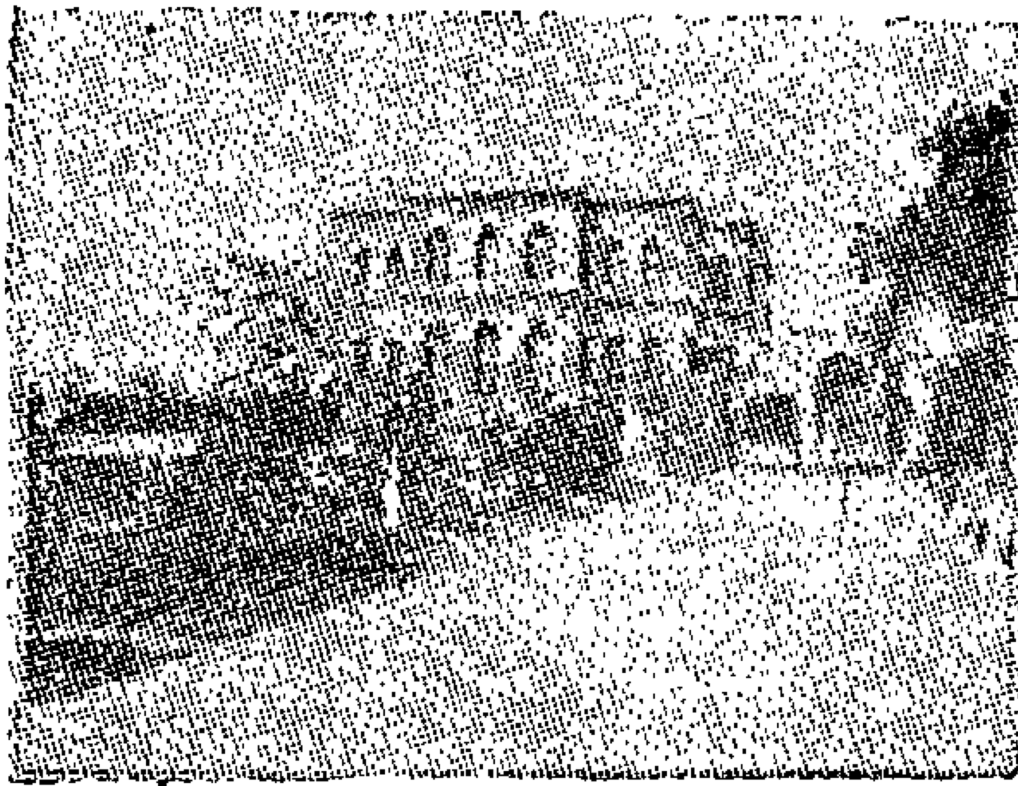
LITTÉRAIRE, COMMERCIAL, INDUSTRIEL, FINANCIER

DIRECTEUR ET RÉDACTEUR EN CHEF
LE CHEIKH J. SANUA ABOU NADDARA CHAER EL MOLK
SECRÉTAIRE DE LA RÉDACTION :
ABD-UL-HAMID, HILMI EFFENDI

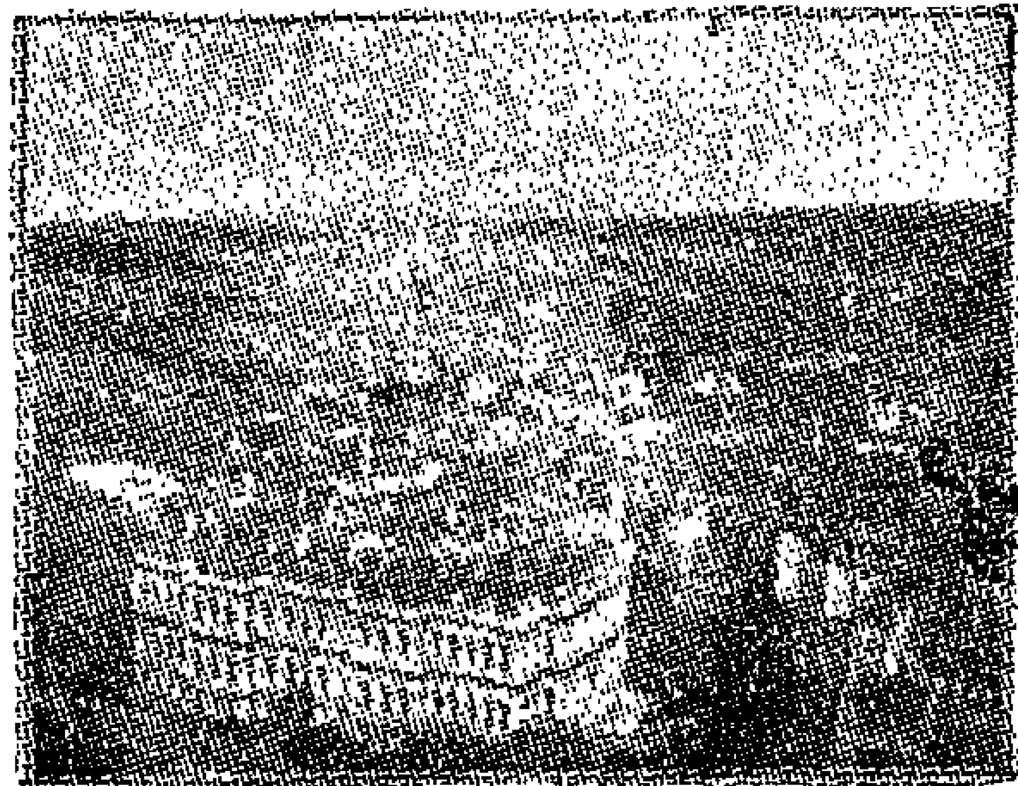
Direction et Administration :
43, RUE RICHER, 43
PARIS

ABONNEMENTS
Un an .... 10 francs
Avec « l'Abou Naddara » .... 20 —
Les deux journaux avec leurs suppléments 25 —

SOMMAIRE



Palais impérial de Yildiz



Le Bosphore

L'Univers Musulman

Dieu sage, juste et clément,
En qui mon âme espère,
Protège et rends prospère
Mon *Univers Musulman*.

Inspire-moi, bon Seigneur,
L'ardeur et l'éloquence
En m'accordant la chance
D'être agréable au lecteur.

Mon but, tu le connais bien :
Prouver que l'Islamisme
N'a pas de fanatisme,
Ni hait-il le chrétien ?

Car tolérante est sa loi,
Morale, humanitaire,
Et son Koran vénère
Tout bon culte et sainte foi.

Que Chrétiens et Musulmans
Se traitent donc en frères,
Car, étant adversaires,
Ils nuisent à leurs enfants !

En paix, Dieu leur donnera
Ce que leur cœur désire
Et, sur sa douce lyre,
Ma Muse les chantera

Au nom de ce Dieu de bonté, Dieu de toutes les nations, dont je viens d'invoquer l'aide, je vous salue, nobles lecteurs et futurs abonnés de ce journal et vous présente son premier numéro.

Ce numéro est consacré à la Turquie, siège vénéré du Grand Kalifat et chacun des numéros suivants s'occupera d'un des pays Mahométans, ou d'une des colonies européennes habitée par des Musulmans, pour montrer leur marche en avant dans la voie du progrès et de la civilisation et leur attirer les sympathies des nations occidentales.

Ce qui m'a encouragé à fonder cette nouvelle publication, c'est d'abord l'accueil vraiment cordial que, depuis cinquante ans, mes confrères d'Europe et d'Amérique ne cessent de faire à mes

من صحف يعقوب فى باريس

«إنما يرجع مرجوعنا للمجموع ده الغالى ، ولما فيه من لطايف وظرايف جرنالى . جرنالى القديم والجديد لأن اليوم ياقارى يانور العين . بانشر صحيفتين . أبو نظاره والعالم الإسلامى . أهديهم بضعه لجنابك السامى . وعلى شان ده كتبت لك بخط يدى هذه السطور . حتى أكون بعد وفاتى عندك مذكور . والآن أقول لك فى الختام

كل سنة وانت طيب ياابن الكرام » (١) .

هذا هو حديث يعقوب بن صنوع عن صحيفتيه فى سنة ١٩٠٧ ، وهما الصحيفتان الباقيتان من صحفه الكثار ، غير أن مجلة (العالم الإسلامى) لم تعمر طويلا ، ولم يصدر منها فى سنتها الأولى إلا ثمانية أعداد ، وفى سنتها الثانية لم يصدر صاحبها منها إلا أربعة أعداد فقط ، ثم اختفت ولم يبق من صحفه إلا (أبو نظاره) التى عاشت إلى سنة ١٩١٠ ولم تقف عن الصدور إلا بعد أن كاد أن يكون كفيف البصر ، وبعد أن عجزت صحته عن مداومة صدورها ، وثقل به المرض فأمضى فى سريره نحو سنتين يجاهد فى سبيل الحياة من غير نتيجة حتى نزل به قضاء الله فى سنة ١٩١٢ ونعته الصحف ووكالات الأنباء » (٢) .

أما رسالة (العالم الاسلامى) وأهدافها فكانت شيئا يختلف عن رسالة وأهداف صحفه الأخرى ، فهو يبدأ عدده الأول بقصيدة شعرية يبتهل فيها إلى الله أن يحفظ العالم الإسلامى وأن يهبه من الفصاحة مايجعله يثبت أن الإسلام دين يسر ولا يخاصم ديناً من الأديان ، ثم ينشر كلمات التشجيع التى تلقاها من تركيا وإيران وأبناء العرب وأحد محررى جريدة التيمس ، ويلاحظ على صحيفة العالم الإسلامى أنها تكاد أن تكون وقفاً على شئون تركيا .

إنه داعية السلطان فى هذه الصحيفة ،فهو يروى بالصور والرسوم مفاخر السلطنة ونشاطها الاقتصادى والاجتماعى والأدبى ، ويحكى تفاصيل شتى عن المصانع والمدارس ، وخاصة الأخيرة التى برهنت على أن المسلمين ليسوا أعداء للثقافة والتعليم (٣) ثم نجد نص بعض الخطب التى تحض المسلمين على مؤآخاة المسيحيين وخاصة الفرنسيين الذين أمرت حكومتهم بطبع القرآن الكريم على نفقتها على ورق فاخر ، وكلفت عالما فرنسيا بترجمته إلى لغتهم .

ولا يقف يعقوب بن صنوع عند حد وهو يدعو لخليفة المسلمين فى صحيفته ، فلا يقتصر على الرسوم التى نشرها ، ولا على المقالات التى دبجتها يراعته بل

---

١ ــ العالم الاسلامى ــ العدد الأول فى ١٥ فبراير ١٩٠٧

٢ ــ أعلام الصحافة العربية للمؤلف ــ الطبعة الثانية ص ٥٢ وما بعدها

٣ ــ العالم الاسلامي ــ العدد الثاني فى ٥ . مارس ١٩٠٧

ينقل مقالات المدح التى تنشر فى الصحف الأوروبية وخاصة الصحف الانجليزية ويفتش عما جاء فى تلك الصحف خاصاً بسلطان الأتراك فيرد على كل نقد يوجه إليه كما أنه لاينسى بين آن وآخر خديو مصر عباس الثانى ، فينشر أحاديثه للصحفيين وخاصة الانجليز منهم (١)

وتخصص العدد الرابع فى مسائل العلوم والفنون ، فقرأنا شعراً فارسياومسائل علمية وأمثالا عربية ونوادر عن ذكاء الأتراك (٢) ! ثم يحدثنا فى عدد آخر عن انتشار الإسلام فى أرجاء المعمورة وبناء المساجد فى استراليا (٣) ولا يفوت أبدا الحديث عن وطنه كلما جاءت مناسبة ، ومن ذلك نشره لمقالة مصطفى كامل التى قرأها فى صحيفة الفيجارو (٤)

أما سلطان زنجبار ، صديقه وحفيه ، فكانت له سطور بين آنوآخر ، وحديث عن أوسمته ونشاطه ، (٥) بجانب فصول أخرى منقولة من الصحف التركية عن نشاط السلطان واستقباله للأمراء وهداياه من «الفوانيس» للمدينة المنورة ، ورعايته للإسلام فى الصين (٦) وسهراته فى قصر يلدز (٧) ثم يحتفل بحلول أصدقاء السلطان فى باريس ، وهم من صحفيي الآستانة كمحرر الليفانت هيرالد مثلا ، هذا إلى مجموعة طيبة من القصص التركى نقلها عن صحفهم وترجمها إلى اللغة الفرنسية (٨) .وهكذا كتب وأنشأ كل مايهم السلطان وحكومته حتى لنحكم فى اطمئنان على أن (العالم الإسلامى) كانت صحيفة السلطان قبل أن تكون صحيفة أبى نظارة !!

---

١ ـ العالم الاسلامى ـ العدد الثالث فى ٢٥ أبريل ١٩٠٧
٢ ـ العالم الاسلامى ـ العدد الرابع فى ٥ يونيه ١٩٠٧
٣ ـ العالم الاسلامى ـ العدد الخامس فى ١٥ يوليه ١٩٠٧
٤ ـ العالم الاسلامى ـ العدد السادس فى ٢٥ أغسطس ١٩٠٧
٥ ـ العالم الاسلامى ـ العدد الثامن فى ٥ ديسمبر ١٩٠٧
٦ ـ العالم الاسلامى ـ العدد الأول السنة الثانية فى فبراير ١٩٠٨
٧ ـ العالم الاسلامى ـ العدد الثانى السنة الثانية فى أبريل ١٩٠٨
٨ ـ العالم الاسلامى ـ العدد الثالث السنة الثانية فى يونيه ١٩٠٨

ختام السيرة

إن خاتمة أبى نظارة فى سير المجاهدين والأحرار لترفع من قدر الوطن الذى أنجب هذا المواطن نادر المثال . . .

إن ابن صنوع قصة فى تاريخ الصحافة المصرية ، يفخر بها كل من احترف الصحافة أو سجل أحداثها ، أو أحس أنها مهنة القراع والنضال ، لا ينتظم فى صفوفها عبد ، ولا ينضوى تحت لوائها تاجر . . .

إن الصحافة دنيا يعبرها روادها فى أتون من الأعصاب الثائرة ، قد يفقد الإنسان فيها بصره ويعتصر دمه ، وتصرخ أمعاؤه من الجوع ، بيد أنه لا يفقد بصيرته أو يفتقد ضميره أو تهون مثله فى الحياة . . .

لقد كانت فى سيرة يعقوب العبر والعظات . . .

لقد أبى ابن صنوع أن يبيع ضميره ويحبس رأيه بالثمن الذى باع غيره من صحفيى جيله ذممهم وأقلامهم . . . لقد خير المواطن الحر بين متعة الحياة حيث نشأ ودرج ومباهج العصر حيث انحلت الأخلاق وهوت القيم ، وبين النفى والتشريد فى بطاح الأرض بلا أهل ومال ، فآثر أن يكون طريداً على أن ينتظم فى صفوف العبيد . . .

وفى حياة يعقوب ندرس جهالة المسئولين فينا ، فقد حورب الرأى الحر والفكرة الناضجة فى عهد إسماعيل ، وذهب العهد فى الضغط على الحريات إلى أقصى المدى ، حاول قصف الأقلام وتكميم الأفواه ، فسلت الفكرة عرشه ، وهوت أسنان الأقلام بسيرته ، ولم يستطع خلفاؤه من بعده أن يمحوه من التاريخ وحكمه . . .

ولم يتعظ ذلك الخلف بالصنم الذى تحطم ، فعاودوها نقمة على القلم والرأى جيلا بعد جيل ، ومع ذلك هوت الأصنام صنماً بعد صنم ، وبقى الرأى الحر مارداً لا تمس أقدامه ، وعاشت الفكرة السليمة عنقاء لا تنال حرمتها

لقد كشفت سيرة يعقوب بن صنوع عن ضعف حكام مصر فى العصر الحديث ، فلم يهضم واحد منهم حرية الرأى ولا قداسة القلم ، وإنما ساموا أصحابهما خسفاً وعالجوا أمورهم عسفا ، وكان الجهل بالقيم والمثل مسيطراً على عقولهم ، حتى طواهم

الردى ، وعرّاهم التاريخ ، فما حفظت لهم الدنيا إلا سوءات تحكى ، وما روى الناس عنهم إلا أقبح الأقاصيص . . .

إنه القلم الذى يسجل التاريخ ولن يسجل التاريخ سيف ولا مدفع . . .

لقد ذهب إسماعيل بخيره وشره ، وبقى أبو نظارة برأيه وقلمه ، ذلك أن « ولى النعم » استند إلى الحديد والنار ، بينما كان « أبو نظارة » يستند إلى قطعة من جريد وقرطاس من ورق ...

إن سن القلم أحمى من طرف السيف ...

إن صفحة الورق أخطر من رصاص الطاغية ...

إن الفكرة تصهرها المحنة وتلهبها الشدة ...

إن الفكرة من صنع الله ، والله فى كل مكان ...

حقاً إن أبا نظارة كان خطراً على إسماعيل وتوفيق ، وما كان لهما أن ينالا من إيمانه ، والحرية دينه ومبتغاه ، والحرية قبس من السماء ، وما كان لقوة أن تقضى على شىء التمس مكانه فى السماء ...

ما أكثر ما أعطانا أبو نظارة من عبر وعظات ؟! ...

* * *

وهل قصر يعقوب حياته على مكافحة الطغاة ومجالدة البغاة ، بالكتابة والخطابة ، ألم يكن له نشاط غير هذا النشاط ؟

سبق أن أجبنا على هذا فى فصول هذا الكتاب ، فقد شرحنا سيرة يعقوب بن صنوع ، وبينا دوره فى إنشاء أول مسرح عربى فى مصر الحديثة ، وذكرنا رسالته فى إنشاء الصحف الهزلية فى مصر والخارج ، ووصفنا تاريخ تلك الصحف وما احتوت عليه من معانى وأفكار ، وعرضنا الأنباء التى تشير إلى أن يعقوب بن صنوع لم يقصر نشاطه فى مصر وفى الخارج على المسرح والصحافة ، بل نشط إلى إلقاء المحاضرات وكتابة المؤلفات فى شتى الموضوعات ، ولهذا وجدنا من المناسب أن نختم سيرته ببيان عن الكتب التى ألفها ، ولا يعنى هذا البيان أن هذه الكتب هى كل ما ألفه المترجم له بل إنها — فيما نعتقد — أكثر الكتب التى أمكننا حصرها ، بعضها مطبوع وبعضها مخطوط ينتظر النشر ليرى النور على أوسع نطاق ، ومن بين الكتب التى افتقدناها بعض رواياته التمثيلية التى

عرضها على مسرحه فى القاهرة قبيل نفيه ، وإن كنا قد أشرنا فى الفصول الأولى إلى أسماء بعضها

ومؤلفات يعقوب بن صنوع متفرعة متباينة ، بعضها يتصل بالشئون العامة ، وبعضها الآخر يتحدث عن الكاتب ومامر بحياته من ألوان الكفاح والجهاد ، والبعض الآخر تمثيليات لم تر خشبة المسرح ، وهى جميعاً من المؤلفات القيمة التى تدل على أن الكاتب كان أستاذاً متمكناً من مادته ، عالماً بكثير من اللغات ، قادراً على التعبير بها جميعاً فى مستوى واحد من الكفاية وحسن العرض وسلامة العبارة .



أبو نظارة قبيل خروجه من وادى الدموع ؟ !
آخر صورة له قبيل مرضه فى ١٩١٠

وبيان هذه المؤلفات : —

١ — ملحق لأبى نظارة باللغة الفرنسية ، وهو عبارة عن قصيدة بتلك اللغة ، نشرت بباريس سنة ١٩٠٩ بمناسبة مرور سبعين سنة على مولد يعقوب بن صنوع ، وتحكى تلك القصيدة حياة (أبو نظارة) وما اكتنفها من أحداث سبق أن عرضنا لتفاصيلها بما لايحتاج إلى مزيد

٢ — حسن الإشارة فى مسامرات أبى نظارة : طبع سنة ١٩١٠ على نفقة الحاج محمد أمين دربال الكتبى ، وهذا الكتاب عبارة عن شرح لفرنسا وتاريخها وسيرة الفرنسيين ووسائلهم فى تناول الحياة وطرائق نظرهم إلى تلك الحياة ، وهو لايخرج عما اعتاد نشره فى صحفه عن فرنسا وطنه الثانى .

٣ — الأخوات اللاتينيات : وهو كتاب نشره منثورا ومنظوماً بعدة لغات . تأليف الشيخ . ج . سانوا أبو نضاره شاعر الملك . وقد طبع فى باريس سنة ١٩٠٥ . وقد أهدى المؤلف هذا الكتاب إلى المسيو أميل لوبيه رئيس

جمهورية فرنسا ، وهو يحتوى على قصائد مدح وكلمات ثناء وجهها صاحبه إلى رءوساء الدول اللاتينية ، وهم المسيو إميل لوبيه والملك فيكتور عمانويل الثالث ملك إيطاليا ، وألفونس الثالث عشر ملك أسبانيا ، ودون كارلوس الأول ملك البرتغال . كما تضمن الكتاب قصيدة ثناء على سلطان تركيا وشاه العجم بست لغات ، وقد طبع من هـذا الكتاب عشرة آلاف نسخة وزعت جميعا

٤ — موليير مصر وما يقاسيه : رواية تمثيلية هزلية بقلم الشيخ يعقوب صنوع المشهور بأبى نظاره المصرى ، شاعر الملك ومؤسس التياترات العربية فى وادى النيل طبعت بالمطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩١٢ . وقد أهديت هذه الرواية إلى الفيكونت فيليب دى طرازى مؤرخ الصحافة العربية . وفى مقدمة هذا الكتاب يقص أبو نظاره ماقاساه فى إنشاء المسرح المصرى ، وهى بيانات لاتخرج عما ذكرناه فى متن هذا الكتاب

٥ — فاطمة : كوميديا من ثلاثة فصول ألفها جيمس سانوا — أى أبو نظاره — باللغة الإيطالية ، ولم نعثر على تاريخ تأليفها غير أن المترجم له حدثنا فى موضع آخر عن هذه التمثيلية ، فتبين أنها مثلت على مسرحه بين سنتى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ ، ومعنى ذلك أنها ألفت فى تلك الفترة من نشاطه المسرحى ، ومما يذكر أنها ترجمت إلى اللغة الفرنسية ومثلت بها أيضا .

٦ — IL marito infedele كوميديا من فصل واحد ألفها يعقوب بن صنوع باللغة الإيطالية بمدينة القاهرة سنة ١٨٧٦ ، وأهداها إلى الكونتيس دى كفنهولر ، وطبعت بمطبعة السنترال بالأزبكية لصاحبها جول باربييه سنة ١٨٧٦

٧ — « غزوة رأس نور » وهى تمثيلية تسخر بالمداهنين أصحاب المظاهر

٨ — « غنائية باللغة العامية » من فصل واحد تضمنت كثيراً من الأغانى المعاصرة

٩ — « شيخ البلد » تمثيلية تدعو إلى أن يعنى الآباء بآراء بناتهم حين الزواج

١٠ - « زوجة الأب » تمثيلية حمل فيها على الكهول الذين يتزوجون من صبيات صغيرات

١١ - « زبيدة » وهى تمثيلية تنقد تقليد الشرقيات للغربيات دون وعى أو تفكير

١٢ - تمثيلية راستو وشيخ البلد والقواص

١٣ ـ تمثيلية حلوان والعليل والأميرة الاسكندرانية

١٤ ـ تمثيلية البورصة

١٥ ـ تمثيلية البربرى

١٦ ـ تمثيلية الحشاش

١٧ ـ الصداقة(١)

١٨ ـ Invo - Cazione : وهى مجموعة أشعار باللغة الإيطالية، ومعناها « دعاء » وهى من المخطوطات التى كتبها المترجم له بخط يده ولم تطبع بعد، ولا يعرف تاريخ تأليفها.

١٩ ـ السلاسل المحطمة : وهى تمثيلية وطنية عثمانية، نشرها يعقوب بن صنوع باللغة الفرنسية وأهداها إلى الصدر الأعظم حسين حلمى باشا، وقد طبعت بباريس فى سنة ١٩١١.

٢٠ ـ La Constitution Ottomane et ses Héros أى الدستور العثمانى وأبطاله وهى : رسالة لطيفة كتبها المؤلف بالشعر فى بعضها، وبالنثر المقفى فى البعض الآخر، وقد ألحقها بمجلته L'univers Musulman، وهى مطبوعة بباريس دون تاريخ.

٢١ ـ Ma Vie en Vers et mon Théatre en Prose أى حياتى بالشعر ومسرحى بالنثر! وهى حياته التى حدثنا عنها فى أكثر من موضع وشرحناها فى الفصول الأولى من هذا الكتاب، وقد طبعت بباريس دون تاريخ.

٢٢ ـ Les Conférennces du Sheikh Abou Naddara Chair - El- Molk . L'Exposition de 1900

وهى أحاديث شتى ومحاضرات تناولها المؤلف بالعرض أثناء معرض باريس سنة ١٩٠٠.

٢٣ ـ رحلة أبى نظارة بالآستانة العلية فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٠٨ هـ وقد طبعت

---

١ ـ هذه بعض تمثيلياته التى أمكننا حصرها، يضاف اليها ما أشرنا إليه من تمثيلياته الأخرى التى جاء ذكرها فى الفصول الأولى من هذا الكتاب، وقد ألفها بعد عودته من إيطاليا من البعثة التى أرسله فيها الأمير أحمد يكن.

هذه الرحلة بباريس فى شهر رجب سنة ١٣٠٩ هـ ١٨٩٢ ميلادية .

٢٤ - Sohaits d'Egypte أى تهانى مصر : وقد نشرها المؤلف باللغة الفرنسية بمناسبة أعياد ميلاد السلطان عبد الحميد خان الثانى ، وهى مكتوبة بالشعر والنثر .

٢٥ - Baliel Hotel مؤلف أصدره الكاتب شعراً ونثراً بست لغات .

٢٦ - Les Soupirs du Proscrit أى ذكريات المنفى : وهى بالنثر والشعر ، أصدرها بمناسبة مضى خمس وعشرين سنة على تأسيس (أبو نظارة) وفيها يروى يعقوب قصة حياته وموقف الإنجليز فى وادى النيل وتمنيات الشرق لفرنسا ، والحروب الإنجليزية فى مصر والسودان ، وتمنيات مصر للسلطان وحديث عن نفسه وصداقته لفرنسا .

٢٧ - ترجمة لجزء كبير من القرآن : مخطوط باللغة الإنجليزية لم يستكمله المؤلف نظراً لمرضه فى سنة ١٩١٠

مراجع البحث

١ — كتب عربية ومعربة

إبراهيم عبده	تاريخ الوقائع المصرية (١٨٢٨ — ١٩٤٢) الطبعة الثانية
إبراهيم عبده	أعلام الصحافة العربية — الطبعة الثانية
إبراهيم عبده	حول الصحافة فى عصر إسماعيل (حقائق غير مطوية) القاهرة ١٩٤٧
إبراهيم عبده	جريدة الأهرام — تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة القاهرة ١٩٥١
إبراهيم عبده	تطور الصحافة المصرية — الطبعة الثالثة
بلنت	التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر - ترجمة البلاغ - الطبعة الأولى
فيليب دى طرازى	تاريخ الصحافة العربية — أربعة أجزاء — بيروت ١٩١٣ — ١٩٣٣
محمود رشيد رضا	تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (ثلاثة أجزاء) مطبعة المنار ١٣٤٢ﻫ

٢ — مخطوطات

مذكرات يعقوب بن صنوع (وتحتفظ بالأصل كريمته السيدة لولى صنوع)

رسائل خاصة — أشرنا إليها فى المتن

٣ — الصحف والمجلات

صحف يعقوب بن صنوع (وقد أشرنا إليها فى المتن)

Saturday Review 26 July 1879

٤ — مراجع فرنجية

Baignières. P.	L' Egypte Satirique 1896
Blunt. W. S.	My Diaries. London 1919 - 1920
Hartmann. M.	Arabic Press of Egypt 1899
Sabry. M.	La Genèse de L'Esprit National Egyptien. Paris 1934

قاموس الأعلام

(ا)

فهرست الكتاب

تم طبع الكتاب بعون الله

في ١٨ مايو ١٩٥٣

